البعوث والغزوات

مرتبة بحسب السنوات

جمع وترتيب

الفقير إلى رحمة ربه عز وجل

أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي

المدرس سابقاً بالمسجد الحرام



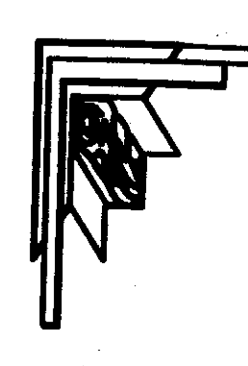
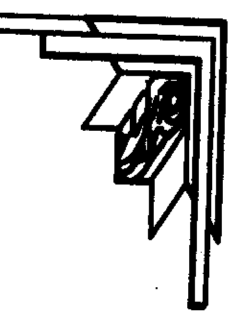
بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الشنقيطى، أحمد بن الأمين، 1872 هـ - 1913 م
البعوث والغزوات مرتبة بحسب السنوات
تأليف أحمد بن محمد بن أحمد المختار الشنقيطى
- ط ١ - القاهرة : دار الآفاق العربية 2006
ص 376 ؛ 24 سم
تدمك: 1695 - 344 - 977
١- الغزوات الإسلامية
٢- التاريخ الإسلامى
أ - العنوان
ديوى : 239.5
رقم الإيداع : 15289 / 2006

الطبعة الأولى
1427 هـ - 20006 م

دار الآفاق العربية
نشر - توزيع - طباعة
٥٥ ش محمود طلعت من شارع الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون: 2617339 تيلفاكس : 2610164
E-Mail: Daralafk@yahoo.com



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الحمد لله الهادي إلى الصواب منزل الكتاب على رسوله محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب النبي الأمي العربي الهاشمي أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ﷺ وعلى آله الطاهرين الطيبين وعلى أصحابه الغر الميامين الهداة المهديين وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فإن الله لما أراد إظهار دينه ونصر نبيه وإعلاء كلمته وجعلها هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى أمره بالهجرة عن دار الكفر التي بلغ أهلها من أذيته وأذية من أجاب دعوته ما تجاوزوا به الحد فهيأ له تبارك وتعالى أنصاراً أشداء مارسوا الحروب ودربهم عليها مائة وعشرين عاماً يتقاتلون بينهم لما يريد الله بهم من إعزاز دينه ونصر نبيه صفوته من خلقه ثم ألف بين قلوبهم وجعل تنافسهم الذي كان بينهم عداوة تنافساً فيما يرضي الله تعالى ونبيه ﷺ، ومن أمثلة ذلك قول البدوي في عمود النسب مبيناً تنافسهم فيما يرضى الله:

فاخرت الخزرج أوساً بنفر ... مع النبي حفظوا كل السور

زيد بن ثابت معاذ بن جبل ... ثم أبي وأبو زيد البطل

والأوس خزرجاً بذي الشهادة كانت شهادتين في الإفادة
وبحمي الدبر وبالقتيل هُشَّ له العرش وبالغسيل
خزيمة وعاصم وسعد حنظلة رابعهم في العد

ولما تهيأ أنصار الله لنصر نبيه ﷺ أمره بالهجرة إليهم وأذن له بالقتال لإعلاء كلمة الله، فأنزل عليه قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] الآية، وأخرج الأئمة عنه ﷺ أنه قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن يستقبلوا قبلتنا، ويؤتوا الزكاة، ويأكلوا ذبيحتنا، ويصلوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وحسابهم على الله**» قيل: وما حقها؟ قال: «**زنىً بعد إحصان، أو كفر بعد إسلام، أو قتل نفس فيقتل بها**» حديث صحيح. وقد أعد العدة للجهاد بعد وصوله المدينة وبعد أن أسس أصول الاستقرار للدولة الإسلامية حيث بنى مسجده ومساكنه وآخى بين أصحابه وكتب عهداً بين مَنْ بالمدينة مِنَ المسلمين وأهل الكتاب، فغزا بنفسه الشريفة غزوات اختلف في عددها، قيل: تسع وعشرون، وقيل: سبع وعشرون، وقيل: ست وعشرون، والذي ذكره ابن سعد أن غزواته ﷺ التي غزا فيها بنفسه كانت سبعاً وعشرين غزوة، وكانت سراياه التي بعث بها سبعاً وأربعين سرية، وكان ما قاتل فيه بنفسه تسع غزوات، هي: بدر القتال، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف.

والغزوات بتسلسلها هي: غزوة الأبواء وهي ودان، وبواط، وسفوان وهي بدر الأولى لطلب كرز بن جابر، والعشيرة، وبدر الكبرى وبني سليم بالكدر وهي قرقرة الكدر، والسويق، وغطفان وهي غزوة ذي أمر، والفُرع من بحران بالحجاز، وقينقاع، وأُحد، وحمراء الأسد، وبني النضير، وبدر الموعد، ودومة الجندل، والمريسيع، والخندق، وبني قريظة، وبني لحيان، والحديبية، وذي قرد، وخيبر، وذات الرقاع وهي غزوة محارب وبني ثعلبة، وعمرة القضاء، والفتح، وحنين، والطائف، وتبوك.

تنبيه: «ولا يفهم من قولهم: قاتل فيها بنفسه، أنه ـ بأبي هو وأمي ـ باشر القتال بنفسه فإنه لم يباشر القتال بنفسه إلا في غزوة أحد فقط، ولا يعلم أنه ضرب أحداً بيده إلا أُبيّ بن خلف ضربه بحربة في يده، بل المراد من قولهم: قاتل فيها بنفسه، أن هذه الغزوة حضرها وكان فيها قتال بين جيوشه والأعداء، تأمل!!».

ولقد اطلعت في خاتمة حماد على الغزوات تلخيص أعمال كل سنة من سنوات الهجرة على حدة تداخلاً للبعوث والغزوات وغيرها، فحفزني الاطلاع عليها على أن أتطفل على أولئك الأفاضل الذين كتبوا في السيرة فأدلي بدلوي بينهم لعلي أن أنال من رحمة الله باعتنائي بسيرته ﷺ فشرعت في تدوين ذلك معتمداً على الله تعالى ثم على نظم البدوي للغزوات وشرح حماد لهذا النظم وعلى نظم العلامة غالي بن المختار فال للبعوث وعلى ما كتبه العلامة محمد بن يوسف الصالحي في كتابه سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وأما في ترتيب الأحداث حسب سنوات الهجرة فإن اعتمادي فيه على الله ثم على ترتيب ابن كثير له في كتابه البداية والنهاية، علماً بأنه لا غنى لمن يكتب في السيرة عن إلقاء نظرة على طبقات ابن سعد وعلى سيرة ابن هشام وعلى ما كتبه السهيلي على سيرة ابن إسحاق.

من ذلك يعلم أنه ليس لي من هذا إلا الجمع والتنسيق ورجاء قبول ذلك من الله تعالى عملاً صالحاً أنال به إن شاء الله تعالى رضى الله وشفاعة رسول الله ﷺ، ولقد أسميت عملي هذا:

(البعوث والغزوات مرتبة بحسب السنوات).

وكأني بمن يطّلع على جمعي هذا للأحداث والوقائع النبوية، ينتقدني، وهو شيء تعودت عليه في هذا المجال، باعتمادي في بعض ما أذكر من ذلك على رواية أبي عبدالله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي، ويقول: الواقدي متروك، وكأنني في ذلك برواية يترتب عليها حكم شرعي، نعم، ينبغي التحري كل التحري في الأحكام، وجزى الله خيراً عن الإسلام أئمة النقد وتبيين العلل.

أما في أخبار المغازي والسرايا فإني أرى أنه يمكن عدم التحرّى فيها على ذلك النحو، علماً بأن محمد بن عمر الواقدي لم يتفق على ضعفه، والحمد لله على اختلاف العلماء.

فقد قال فيه إبراهيم الحربي: الواقدي أمين الناس على الإسلام، كان أعلم الناس بأمر الإسلام.

وقال مصعب الزبيري: والله ما رأينا مثل الواقدي قط.

وقال الداروردي: الواقدي أمير المؤمنين في الحديث.

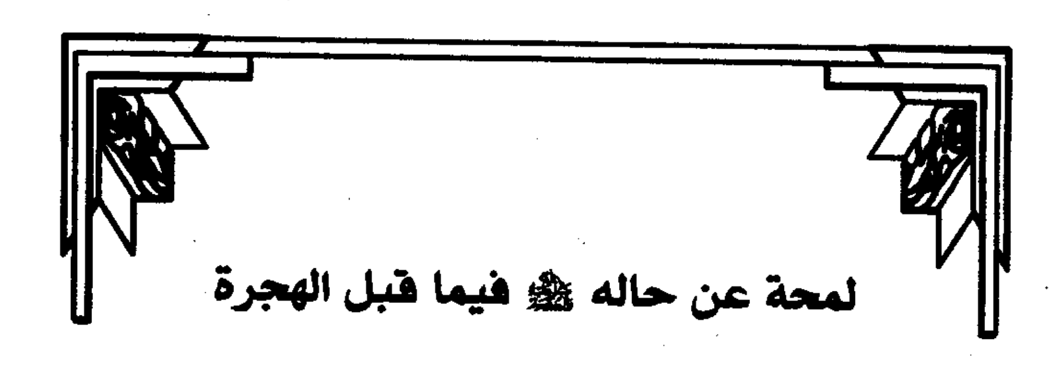
وقال الصاغاني: والله لولا أنه عندي ثقة ما حدثت عنه.

وسئل عنه معن القزاز فقال: أنا أُسأل عن الواقدي؟ الواقدي يسأل عني.

وقال يزيد بن هارون: الواقدي ثقة، ووثقه أبو عبيد القاسم بن سلام ولقد أثنى الخطيب عليه في تاريخه، انظر ميزان الاعتدال ج٦٦٥/٢. أما النقل عنه فقد سبقني إليه كل من الحافظ أبي نعيم والحافظ البيهقي في دلائلهما، والحافظ ابن كثير في السيرة من تاريخه، والحافظ ابن حجر في فتح الباري، والسيوطي في الخصائص الكبرى، وقال الصالحي في سبل الهدى: فقد اقتديت بهؤلاء في النقل عنه فيما ليس فيه شيء يتعلق بالحلال والحرام بل أخبارٍ عن مغازي رسول الله ﷺ وسرايا أصحابه ترتاح لها قلوب المحبين.

هذا، وأرجو التوفيق من الله تعالى لما فيه رضاه عزَّ وجلَّ، وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ينفعني به بعدما ينقطع عملي فيكون مما يجري عليَّ بعد موتي، وأن يختم لي بالسعادة، وأن يغفر لي ولوالدي ولوالديهم ولجميع المسلمين إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين.





لمحة عن حاله ﷺ فيما قبل الهجرة

ذكر الشيخ عبدالرؤوف المناوي في شرحه لألفية العراقي أن عم النبي ﷺ أبا طالب بن عبدالمطلب مات بعد خروج بني هاشم والمطلب من الشِّعْب بثمانية أشهر وواحد وعشرين يوماً، وقيل: أحد عشر يوماً. قال: وكان آخر كلامه: هو على ملة عبدالمطلب، وفي الصحيح ما يدل على موته كافراً، وأوصى به ﷺ عند موته، ومن جملة ما أوصى به: إني أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به، وقد جاءكم بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدّقوا كلمته وعظّموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، وقد محضته العرب ودادها، وأعطته قيادها دونكم، يا معشر قريش والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز، ودافعت عنه الدواعي. ثم قال:

ودعوتني وعلّمت أنك صادق ... ولقد صدقت وكنت ثَمَّ أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أغيب في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقرّ منه عيونا

فلما مات أبو طالب نالت قريش منه ﷺ ما لم تكن تناله ولا تطمع فيه، حتى اعترض سفيه من سفهائهم فنثر على رأسه الشريف تراباً فدخل ﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله ﷺ يقول لها: «لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباكِ» ويقول بين ذلك: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب». ولقد حاول أبو لهب أن يحل محل أبي طالب في الدفاع عنه ﷺ ولكن الله يأبى إلا ما أراد والعياذ بالله.

ثم انضم إلى ذلك وفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها، فإنها توفيت بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام، وقيل: بخمسة أيام، وقيل: توفيت قبله بأيام قليلة. والحاصل أنه لما تتابعت عليه ﷺ هاتان المصيبتان صعب عليه الأمر. وكان يسمى عام موتهما عام الحزن، ونالت قريش من أذيته ما لم تكن تطمع به، فحزن لموتهما حزناً شديداً ولزم بيته في أكثر حالاته، وخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان من أذية أهل الطائف له ما كان، وقرر عرض نفسه الكريمة على قبائل في المواقف بعرفة ومنى زماناً يقول: «ألاَ رجل يعرض على قومه فإن قريشاً منعوني أن أبلغ رسالة ربي»، يريد أن يحصل له إيواء، فكان الكل يعرض عنه ويرمي بمقالته، وكل ذلك والخبيث أبو لهب وراءه يكذبه ويحذرهم من أتباعه.

فلم يزل الأمر كذلك حتى أراد الله إظهار دينه ونصر نبيه، قيض له الأنصار لما قضى به في أزله من سعادتهم وكرامتهم، فانتهى إلى نفر منهم عند العقبة فدعاهم إلى الله فاستجابوا لله ولرسوله وآووه ونصروه، ولذلك لقبوا بالأنصار وهو لقب شرفهم به الله لإسلامهم وقد كانوا قبل ذلك يعرفون ببني قيلة وبالأوس والخزرج.

وجدير بالذكر أنه مما أهّلَ الأنصار لهذه السعادة أنهم جيران اليهود وكان اليهود يتوعدونهم بالسبق إلى المبعوث في آخر الزمن ويصفونه بصفاته، فنقتلكم به قتل عاد وثمود، فلما سمعوه يدعو إلى الله بالموسم ويعرض نفسه على الوفود قالوا: لعله الذي تهددنا به يهود، تعالوا نسبقهم إليه، وذلك لما أراد الله بهم من الكرامة، فكانت العقبتان الأولى والثانية بعد

ذلك وانتشر الإسلام بالمدينة، وحين ذلك شكى أصحاب رسول الله ﷺ إليه ما يجدونه من أذى المشركين واستأذنوه في الهجرة إلى المدينة فأذن لهم فخرجوا إليها أرسالاً، ولم يبق بمكة إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي رضي الله عنهما، أو من كان محبوساً أو مريضاً من المؤمنين ولما رأت قريش خروج من أسلم إلى المدينة بالذراري والأطفال خافت خروج رسول الله ﷺ لما علمت من وجود منعة للمسلمين وقوة فاجتمعوا للتشاور في أمره، ذلك التشاور والمكر الذي ذكره الله تعالى في سورة الأنفال بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠] فاتفقوا برأي من إبليس مؤيداً به فرعون هذه الأمة على أن يأخذوا من كل قبيلة من قريش رجلاً فيضربونه ضربة رجل واحد فيفرق دمه في القبائل فلا يمكن بني عبدمناف إذاً حرب الكل فيرضون بالعقل، وأخبر جبريل رسول الله ﷺ بالمؤامرة، فأمر علي بن أبي طالب بالنوم على فراش رسول الله ﷺ وأن يتسجى ببرده وقال له: «لن يخلص إليك شيء تكرهه»، وجاء أهل المكر فاجتمعوا على باب رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من التراب وخرج إليهم ولم يروه فوضع التراب على رؤوسهم وهو يتلو صدر سورة يس إلى قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩] ويقول أهل السيرة إن تلك التراب ما وقعت على رأس أحد منهم إلا قتل كافراً يوم بدر عدا حكيم بن حزام.

ولما انصرف رسول الله ﷺ أتاهم آت فقال: خرج محمد وما منكم من أحد ألا وضع تراباً على رأسه فاستخبروا فوجدوا التراب على رؤوسهم غير أنهم لما تطلعوا وجدوا أنه على فراشه لما يرون من مكان علي رضي الله عنه مسجى ببرده ﷺ فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي رضي الله عنه منْ فراشه.

أما رسول الله ﷺ فقد جاء بيت أبي بكر رضي الله عنه فقال: «إن الله قد أذن في الهجرة» فقال له: عندي ناقتان أعطيك إحداهما، قال: «بالثمن» فاستأجرا عبدالله بن الأريقط الديلي خريتاً ودفعا إليه الناقتين وواعداه غار ثور بعد ثالثة وخرجا ليلاً من خوخة ببيت أبي بكر وذهبا إلى الغار بجبل ثور

فدخلاه. ومما هو مأثور عند أهل السيرة أن عنكبوتاً خيم على باب الغار وباضت حمامة على بابه كذلك، وقامت قريش على ساق الجد في طلب رسول الله ﷺ، وجعلت مائة ناقة جعلاً لمن يدل عليه وجعلت تقفو أثره حتى أتوا باب الغار فوجدوه وقد نسجت العنكبوت على بابه، وعلى بابه كذلك بيض حمامة، لكن الأمر أعلى وأفخم فإن الله تعالى يحفظه وينصره نصراً أخبر عنه في كتابه العزيز بقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠] لذلك ولشدة ثقته بالله تعالى، فإنه قال لأبي بكر لما قال: لو نظر أحدهم إلى رجله لرآنا: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟». أما المشركون فإنهم لما رأوا الحمامتين والعنكبوت قالوا: ليس هنا شيء، وانصرفوا.

وكان آل أبي بكر يتعاقبون على خدمتهما في الغار: أما عبدالله بن أبي بكر فكان غلاماً يحضر مجالس قريش يستمع إلى ما تتحدث به الناس فيأتيهم ليلاً به، وأما أسماء فكانت تذهب إليهم بالطعام، وأما عامر بن فهيرة فكان يأتيهم بحلوبته يمحو بها أثر عبدالله وأسماء ويحلب لهما، ومكثا ثلاثاً في غار ثور حتى جاء ابن الأريقط في الموعد فخرجا من الغار وارتحلا وأخذ أبو بكر معه مولاه عامر بن فهيرة رديفاً له لخدمتهما في السفر فأخذ الخريت بهم طريق الساحل أسفل من عسفان.

وكان ما كان من أمر سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي من لحوقه بهم وما وقع لجواده أن ساخت يده في الأرض إلى بطنه فنادى رسولَ الله ﷺ بالأمان فدعا له فانطلق فرسه فجاء النبي وأخبره بما به قومه وأنهم قد جعلوا فيه الدية، فقال: اخف علينا، فرجع فوجدهم يلتمسونه فقال: ارجعوا فقد استبرأت لكم هاهنا، قال سراقة: فخرجت وأنا أحرص الناس على تحصيلهما ورجعت وأنا أحب الناس أن لا يعلم بهما أحد، وفي ذلك يقول سراقة يخاطب أبا جهل:

أبا حكم لو كنت والله شاهداً لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فإنني أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم بأن جميع الناس طراً تسالمه

وفي السيرة أنه طلب كتاباً له بالأمان في أديم فكتب له وأنه أتى به في الفتح فرحب به وأمنه.

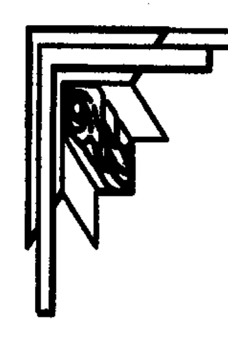
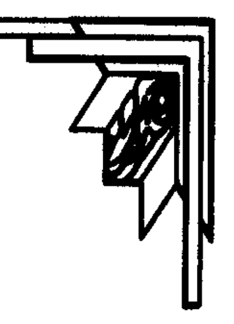
وكان مروره ﷺ على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وما كان من خبر شأنها وإسلامها وإسلام زوجها أكثم بن الجون.

ذكر وصوله ﷺ إلى قبا

كان أهل المدينة قد بلغهم توجهه ﷺ إليهم فكان المهاجرون والأنصار يغدون إلى قبا كل يوم ينتظرون قدومه في أول النهار، فإذا أضرَّ بهم حر الشمس رجعوا، ولما كان يوم قدومه ﷺ يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، إذا يهودي يصيح على أَطَم: يا بني قيلة هذا صاحبكم فتلقُّوه، فقدم حتى وصل قبا فنزل عند كلثوم بن الهدم، وقيل: نزل على سعد بن خيثمة، ويجمع بين القولين بأنه كان يجلس للناس في بيت سعد بن خيثمة، ونزل أبو بكر رضي الله عنه على خبيب بن إساف، وقيل: على خارجة بن زيد.

وأقام ﷺ بقبا الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ووضع في هذه المدة أساس مسجد قباء ثم خرج منها يوم الجمعة إلى المدينة فركب راحلته ومشوا حولها لا يزالون يتنازعون زمامها تنافساً على إكرامه فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف برانوناء فصلاها هناك في بطن الوادي، وسيأتي لذلك مزيد إيضاح إن شاء الله تعالى.



أحداث السنة الأولى
من الهجرة النبوية الشريفة

كان أول أعماله ﷺ في المدينة هو صلاته أول جمعة صلاها، فخطب بها أول خطبة خطبها في الإسلام، ففي تفسير القرطبي ما نصه: قدم رسول الله ﷺ مهاجراً حتى نزل بقباء على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين اشتد الضحى، ومن تلك السنة يعد التاريخ، فأقام بقباء إلى يوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة إلى المدينة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجداً فجمّع بهم وخطب، قال: وهي أول خطبته خطبها بالمدينة وقال فيها:

«الحمدُ للهِ، أحْمَدُه وأستعينُه، وأستغفِرُهُ وأسْتَهديه، وأومِنُ به ولا أكفُرُه، وأُعادي من يكْفُرُ به، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، والنور والموعظة والحكمة، على فترة من الرسل وقلّة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان، ودُنُوٌّ من الساعة، وقُرْب من الأجلِ. مَن يُطع اللّهَ ورسوله فقد رَشَد، ومَن يعْصِ الله ورسوله فقد غوى وفَرَّطَ وضلّ ضلالاً بعيداً.

أوصيكم بتقْوَى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، واحذَروا ما حذّركم الله من نفسه، فإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافةٍ من ربه عونُ صدقٍ على ما تبغون

من أمر الآخرة. ومَنْ يُصْلح الذي بينه وبين ربه من أمره في السرّ والعلانية، لا ينوي به إلاّ وجهَ الله يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدّم، وما كان مما سوى ذلك يودُّ أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد. هو الذي صدق قوله، وأنجز وعده، لا خُلْفَ لذلك، فإنه يقول تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾ [ق: ٢٩] فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السرّ والعلانية، فإنه مَن يتق الله ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥] ومن يتق الله ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١] وإن تقوى الله توقّي مقته وتوقّي عقوبته وتوقّي سخطه. وإن تقوى الله تبيضُ الوُجُوه وتُرضي الرَّبَّ وترفع الدرجة. فَخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، فقد علمكم كتابه، ونَهَجَ لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٧٨] و﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨] ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢] ولا حول ولا قوة إلا بالله، فأكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت، فإنه مَنْ يُصلح ما بينه وبين الله يَكْفِهِ الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ما لا يملكون منه، الله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». انتهى من الجامع لأحكام القرآن مجلد ١٨ صفحة ٩٨/٩٩.

بناء مسجده ﷺ ومساكنه

اتفق البخاري ومسلم على أن رسول الله ﷺ قال: «يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا» قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل. من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال حبيب الله في فتح المنعم:

ولفظ مسلم: إلا إلى الله تعالى بدل عز وجل، فلم يختلف لفظه مع لفظ البخاري إلا في هاتين الكلمتين.

قال في فتح المنعم على زاد المسلم: وهذا الذي في الصحيحين هو المشهور، أي كونهم لم يطلبوا ثمناً ولم يرضوا أولاً ببيعه لرسول الله ﷺ. قال: وذكر محمد بن سعد في الطبقات عن الواقدي أن النبي ﷺ اشتراه منهم بعشرة دنانير دفعها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ونحو هذا في كافة كتب السير كعيون الأثر لابن سيد الناس وغيره، ويقال: إن ذلك الموضع كان مربداً ليتيمين، فدعاهما رسول الله ﷺ فساومهما ليتخذه مسجداً، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وأمر أبا بكر أن يعطيهما ذلك. واليتيمان هما سهل وسهيل ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمرو من بني النجار كانا في حجر أسعد بن زرارة، وقيل: في حجر معاذ بن عفراء، ا هـ محل الغرض منه.

ثم إنه لما ملك المربد أمر بالنخل الذي كان فيه فقطع وقطع الغرقد الذي كان به، وأمر باللبن فضرب، وكانت فيه قبور جاهلية فنبشت وغيبت العظام وسويت الحفر، وأسس المسجد وجعل طوله مما يلي القبلة إلى المؤخر مائة ذراع وفي الجانبين مثل ذلك فهو مربع، وقيل: كان أقل من ذلك، وجعل أساسه نحو ثلاثة أذرع على الأرض من الحجارة ثم بنوه باللبن، وكان ﷺ ينقل معهم الحجارة بنفسه ويقول: **«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة»**. وقال قائل:

لئن قعدنا والنبي يعمل   فذاك منا العمل المضلل

وجعل قبلته لبيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: باباً في مؤخره، وباباً يقال له باب الرحمة، والباب الثالث هو الذي يدخل منه رسول الله ﷺ، وجعل عُمُدَه الجذوع وسقفه الجريد، وبنى بيوته بجنبه باللبن. قال ابن سعد: بجذوع النخل والجريد، فلما فرغ من البناء بنى بعائشة في البيت الذي بابه شارع إلى المسجد وجعل سودة بنت زمعة في البيت الآخر الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان.

وبعد أن استقر بالمدينة أرسل، بأبي هو وأمي، زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة زوجته، وأسامة بن زيد وأم أيمن أمه، وخرج معهم من مكة عبدالله بن أبي بكر بعيال فيهم عائشة فقدموا المدينة فأنزلهم في بيت حارثة بن النعمان، كل ذلك وهو ﷺ في بيت أبي أيوب رضي الله عنه.

ويقال إن حارثة بن النعمان كانت له حجرات بجنب المسجد وكان رسول الله ﷺ كلما استحدث أهلاً خرج له عن حجرة منها إلى أن استكملت حجراته. ذكر ذلك مؤرخ الخميس ونسبه إلى دلائل النبوة. وفي هذه السنة كان إسلام عبدالله بن سلام في أول قدومه ﷺ المدينة، يكنى أبا يوسف، وكان في الجاهلية اسمه الحصين فلما أسلم سماه النبي ﷺ عبدالله. قالوا: هو من ولد يوسف بن يعقوب.

قال مؤرخ الخميس ج١ ص٣٤٨: وفي الاكتفاء كان من حديث إسلام عبدالله بن سلام: وكان حبراً عالماً أنه قال: لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له فكنت مسرًاً لذلك صامتاً عليه حتى قدم المدينة فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر به وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة فلما سمعت بقدوم رسول الله ﷺ كبَّرت، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خيبك الله، لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت، فقلت لها: أيْ عمة، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بُعث بما بعث به، فقالت: أيِ ابنَ أخي، هو النبي الذي كنّا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ فقلت لها: نعم، قالت فذاك إذاً، ثم رحت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت إلى أهلي فأمرتهم فأسلموا وكتمت إسلامي.

قال أنس: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءه عبدالله بن سلام فقال: إني سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي، فإن أخبرتني بها آمنت بك وإن لم تعلمهن علمت أنك لست نبيًا، قال: «وما هنَّ؟» فسأله عن الشبه وعن أول شيء يأكله أهل الجنة وعن أول شيء يحشر الناس؟ فقال

رسول الله: «أخبرني بهنَّ جبريل آنفاً» قال عبدالله: ذاك عدو يهود، فقال النبي ﷺ: «أما الشبه فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة ذهب بالشبه وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل ذهبت بالشبه، وأما أول شيء يأكله أهل الجنة فزائدة كبد الحوت، وأما أول شيء يحشر الناس فنار تجيء من قبل المشرق فتحشرهم إلى المغرب»، فأمسك عبدالله وقال: أشهد إنك لرسول الله وأنك قد جئت بالحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم وسلهم عني قبل أن يعلموا أني أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ، فأرسل رسول الله ﷺ إليهم فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقًا وأني قد جئتكم بحق فأسلموا» قالوا: ما نعلمه، قال: «أيُّ رجلٍ فيكم عبدالله بن سلام؟» أو قال لهم: «أيُّ رجل فيكم حصين بن سلام؟» قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: «أفرأيتم إن أسلم؟» قالوا حاشا لله ما كان ليسلم، فكرر ذلك عليهم ثلاثاً وهو يكررون حاشا لله، قال: «يا ابن سلام أخرج عليهم» فخرج فقال: يا معشر يهود اتقوا الله، فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه لرسول الله وإنه لجاء بحق، فقالوا: كذبتَ، فأخرجهم رسول الله ﷺ وقال عبدالله بن سلام: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله. قال في الاكتفاء: قال ـ يعني ابن سلام ـ: فأسلمت وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي وأسلمَتْ عمتي خالدة فحسن إسلامها. ا هـ. من الخميس.

ومن أحداث هذه السنة الأولى الزيادة في صلاة الحضر ركعتين بينما أقرت صلاة السفر ركعتين، وكانت الصلاة ركعتين سواء كانت سفراً أو حضراً.

قال ابن كثير في البداية: وذلك بعد مقدم النبي ﷺ المدينة بشهر في ربيع الآخر لمضي ثنتي عشرة ليلة مضت، قال: وزعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه.

وقال عبدالرزاق المناوي على ألفية السيرة للعراقي ما نصه: أقام

رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب شهراً ثم بعده نزل عليه إتمام الصلاة، فإنه لما قدم المدينة كان يصلي هو والناس ركعتين فأكملت الفريضة أربعاً للمقيم وأقرت صلاة المسافر وتركت صلاة الفجر لطول القراءة، والمغرب لأنها وتر النهار، قال: وحديث عائشة في ذلك ثابت في الصحيح، فقال المصطفى ﷺ: **«أيها الناس اقبلوا فريضة ربكم»** وذلك ربيع الآخر[1] لاثنتي عشرة خلت منه.

وفي هذه السنة شرع الأذان للصلاة. وسبب ذلك رؤيا عبدالله بن زيد المشهورة، وذلك أنه لما استحكم أمر الإسلام وأقيمت الصلاة وكان يقع الاجتماع لها في مواقيتها بغير دعوة فاهتم رسول الله ﷺ في شيء يُعلم به الوقت، فذُكرت الراية وذُكر البوق وذُكر الناقوس فلم يعجبه شيء من ذلك، فبينما هم كذلك إذ رأى عبدالله بن زيد أن مر به رجل عليه ثوبان أخضران بيده ناقوس فقال له عبدالله: أتبيع النَاقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على خير منه؟ قال: وما هو؟ قال تقول: الله أكبر... إلخ ألفاظ الأذان، ثم استأخر غير بعيد، ثم تقول إذا قمت إلى الصلاة: الله أكبر... إلخ ألفاظ الإقامة. فأخبر عبدالله رسول الله ﷺ برؤياه فقال: **«إنها رؤيا حق إن شاء الله، قم مع بلال فألقها عليه فإنه أندى منك صوتاً»** ففعل، فلما سمعها عمر وهو في بيته خرج وهو يجر رداءه يقول: والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل ما رأى، فقال النبي ﷺ: **«الحمد لله»**.

قال ابن كثير: وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة من طرق عن محمد بن إسحاق به، يعني بسنده عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن محمد بن عبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبدربه عن أبيه. قال ابن كثير: قال أبو عبيد: وأخبرني أبو بكر الحكمي أن عبدالله بن زيد الأنصاري قال في ذلك:

---

(١) في المناوي: ربيع الأول، والظاهر أنه غلط لأنه ذكر في أول كلامه أن ذلك وقع بعد شهر، وقد قدم ﷺ في ١٢ من ربيع الأول.

الحمد لله ذي الجلال وذي الإ كرام حمداً على الأذان كبيرا
إذ أتاني به البشير من اللـ ه فأكرم به لدى بشيرا
في ليال والى بهن ثلاث كلما جاء زادني توقيرا

قال ابن كثير: وهذا الشعر غريب وهو يقتضي أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به النبي ﷺ فالله أعلم.

ومن حوادث السنة الأولى: موت أبي أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. قال ابن كثير: هو أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة وقد شهد العقبات الثلاث، وهو أول من جمع بالمدينة في نقيع الخضمات في هزم النبيت، مات رضي الله عنه والمسجد يبنى أخذته الذبحة أو الشهقة.

قال ابن كثير: وذكر محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة، أن بني النجار سألوا رسول الله ﷺ أن يقيم لهم نقيباً بعد أبي أمامة أسعد بن زرارة فقال: «أنتم أخوالي وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم» وكره أن يخص بها بعضهم دون بعض، فكان من فضل بني النجار الذي يعتدون به على قومهم أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم.

قال: وقال ابن جرير في التاريخ: كان أول من توفي بعد مقدمه عليه الصلاة والسلام المدينة من المسلمين، صاحب منزله كلثوم بن الهدم لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات، ثم توفي بعده أسعد بن زرارة وكانت وفاته في سنة مقدمه قبل أن يفرغ من بناء المسجد.

قال: وكلثوم هو ابن الهدم بن امرىء القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف، قد كان شيخاً كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة، ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل في قباء نزل بمنزله بالليل وكان يتحدث في النهار مع أصحابه، على رواية ابن كثير في بيت سعد بن الربيع رضي الله عنه، إلى أن ارتحل إلى بني النجار،

وقيل: إنه أول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله ﷺ، ثم بعده أسعد بن زرارة، ذكره الطبري ا هـ. البداية.

وفي شوال من السنة الأولى من هجرته ﷺ أعرس بأمنا عائشة رضي الله عنها ففي تاريخ ابن كثير ما نصه: قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أمية عن عبدالله بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: تزَوجَني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأي نساء رسول الله ﷺ أحظى عنده مني؟ وكانت عائشة تحب أن تدخل نساؤها في شوال.

وهذا الحديث رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان الثوري به، وقال الترمذي: حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثوري. قال ابن كثير: فعلى هذا يكون دخل بها عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة بسبعة أشهر أو بثمان، وقد حكى القولين ابن جرير.

ومن أحداث السنة الأولى: أن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة، ولد فيها، ولما ولد كبر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحاً بمولده لأنه كان قد بلغهم أن اليهود سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد، فأكذب الله اليهود فيما زعموا.

وأخرج ابن كثير في تاريخه، قال البخاري: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء، أنها حملت بعبدالله بن الزبير، قالت: فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل في جوفه ريقُ رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرّك عليه فكان أول مولود ولد في الإسلام.

وقال: تابعه خالد بن مخلد عن علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها هاجرت إلى النبي ﷺ وهي حبلى. حدثنا قتيبة عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: أول مولود ولد في الإسلام

عبدالله بن الزبير، أتوا به النبي ﷺ فأخذ تمرة فلاكها ثم أدخلها في فيه، فأول ما دخل بطنه ريقُ النبي ﷺ.

قلت: يكون هذا حجة على من زعم أنه ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً، رواه الواقدي عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حيثمة عن أبيه عن جده، وزعموا أن النعمان بن بشير ولد قبل ابن الزبير بستة أشهر، والصحيح ما تقدم، وبالله التوفيق.

دعاء رسول الله ﷺ أن ينقل حماها إلى الجحفة

نقل ابن كثير: قال البخاري: حدثنا عبدالله بن وهب بن يوسف، حدثنا مالك بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعِكَ أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما، فقلت: كيف تجدُكَ يا أبتِ؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرىء مصبَّحٌ في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل ابيتنَّ ليلة بوادٍ وحولي أذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنَّةٍ وهل يبدونْ لي شامة وطفيل

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها في الجحفة**» ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام مختصراً.

وفي رواية البخاري له عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، فذكره، وزاد بعد شعر بلال: ثم يقول: اللهم العن عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، كما أخرجونا إلى أرض الوباء. فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها وصححها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة»** قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض، وكان بطحان يجري نجلاً، يعني ماء آجناً. ومما نقله ابن كثير بهذا الخصوص: قال البيهقي: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو، قالا حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أحمد بن عبدالجبار، حدثنا يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، قالت: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله وواديها بطحان نَجِلٌ. قال هشام: وكان وباؤها معروفاً في الجاهلية، وكان إذا كان الوادي وبيئاً فأشرف عليها الإنسان قيل له أن ينهق نهيق الحمار، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادي، وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة:

لعمري لئن عشرت من خيفة الردى ... نهيق حمار إنني لجزوع

وروى البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: **«رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة»** وهي الجحفة **«فأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهيعة وهي الجحفة»**. هذا لفظ البخاري ولم يخرجه مسلم، ورواه الترمذي وصححه، والنسائي وابن ماجه، من حديث موسى بن عقبة؛ قال ابن كثير: وقال يونس عن ابن إسحاق: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيئةٌ فأصاب أصحابَه بها بلاءٌ وسقم حتى أجهدهم ذلك، وصرف الله ذلك عن نبيّه ﷺ. وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة ـ يعني مكة ـ عام عمرة القضاء، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حمى يثرب، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا وأن يمشوا بين الركنين، ولم يمنعهم أن يرملوا بالأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم. اهـ من البداية لابن كثير باختصار وتصرف.

ومن أحداث السنة الأولى من الهجرة: مؤاخاته ﷺ وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة.

ذلك أن كل من يريد بناء دولة لا بد له من أن يطمئن على اقتصادها وأمنها في الداخل قبل كل شيء، فنظر عليه الصلاة والسلام إلى المهاجرين من حيث الاقتصاد وأنهم أزيد من ثمانين أسرة خرجوا من ديارهم وأموالهم تركوها في سبيل الله، ونظر إلى أمن المدينة الداخلي فوجد أن يهود بني قينقاع بشمال المدينة ويهود بني النضير بجنوبها وأن يهود بني قريظة بشرقها، فقرر عليه الصلاة والسلام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وقال: **«تآخوا في الله أخوين أخوين»** ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: **«هذا أخي»** فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب أخوين، وكان حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة أخوين، وكان أبو بكر رضي الله عنه وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين، وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين، وكان عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين. وقيل: كان الزبير وعبدالله بن مسعود أخوين، وكان عثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجاري أخوين، وكان طلحة بن عبيدالله وكعب بن مالك أخوين، وكان سعيد بن زيد وأبي بن كعب أخوين، وكان مصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين، وكان أبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين، وكان عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين. وقيل: كان عمار بن ياسر وثابت بن قيس أخوين، وكان أبو ذر جندب بن جنادة والمنذر بن عمرو أخوين، وكان حاطب بن أبي بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين، وكان سلمان بن الإسلام وأبو الدرداء أخوين، وكان بلال وأبو رويحة عبدالله بن عبدالرحمن الخثعمي أخوين. هذا، وقد اعترض ابن كثير على بعض هذه المؤاخاة من حيث ثبوتها ومثل لما يعترض على صحته بمؤاخاة أبي عبيدة وسعد بن معاذ. قال: يخالف ما رواه أحمد: حدثنا عبدالصمد، حدثنا حماد، حدثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ آخى بين أبي عبيدة بن الجراح وأبي طلحة. قال: وكذا رواه مسلم منفرداً به عن حجاج بن

الشاعر عن عبدالصمد عن عبدالوارث به، وهذا أصح مما ذكره ابن إسحاق والله أعلم.

وقال البخاري: باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه، وقال عبدالرحمن بن عوف: آخى النبي ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع لما قدمنا المدينة، وقال أبو جحيفة آخى النبي ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما. حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن حميد عن أنس قال: قدم عبدالرحمن بن عوف فآخى النبي بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبدالرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق، فربح شيئاً من أقط وسمن، فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه أثر من صفرة، فقال عليه الصلاة والسلام: «مَهْيَمْ يا عبدالرحمن؟» قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار، قال: «فماذا سقتَ فيها؟» قال وزن نواة من ذهب، فقال النبي ﷺ: «أَوْلِمْ ولو بشاة» قال ابن كثير تفرد به من هذا الوجه وقد رواه أيضاً في موضع آخر، ورواه مسلم من طرق عن حميد به.

قال ابن كثير في البداية: وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا حميد عن أنس قال: قال المهاجرون: يا رسول، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلاً من كثير، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في الْمَهْنَإ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله؛ قال: «لا، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم» قال ابن كثير: هذا حديث ثلاثي الإسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه، وهو ثابت في الصحيح. قال: وقال البخاري: أخبرنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: «لا» قالوا: أتكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا. تفرد به ا هـ. منه باختصار.

قلت: وهذا غيض من فيض من كرم أنصار الله الذي أثنى الله تعالى

عليهم بقوله في سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩] الآية، وأثنى عليهم رسول الله ﷺ بقوله: **«إنكم لتكثرون عند الجزع وتقلون عند الطمع»**.

والحاصل: أنه ـ بأبي هو وأمي ـ لما اطمأن بعض الشيء على الحالة المالية الاجتماعية التفت إلى الحالة الأمنية الداخلية، فكتب عهداً بين المهاجرين والأنصار واليهود بالمدينة وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط لهم وعليهم. وفيما يلي نص ذلك الكتاب كما أثبته ابن كثير في البداية: **«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي الأميّ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم: إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم»** يعني الحالة التي جاء الإسلام وهم عليها **«يتعاقلون وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين»**.
ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار: بني ساعدة، وبني جشم، وبني النجار، وبني عمرو بن عوف، وبني النبيت، إلى أن قال: **«وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً بينهم»** يعني بالمفرح المثقل بالدين والعيال **«أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل، ولا يحالف المؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمناً بكافر ولا ينصر كافراً على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس»**.

«وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرٍ عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم. وإن كل غازية غزت معنا

يعقب بعضُها بعضاً، وإن المؤمنين يُنبيء بعضُهم بعضاً بما نال دماءهم في سبيل الله» يعني أنهم سواسية في ذلك.

«وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قودٌ به» يعني من قتله بغير حق «إلاّ أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيامٌ عليه، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وإن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ، وإن اليهود يتفقون مع المؤمنبن ما داموا محاربين، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين؛ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتِغ» أي لا يوبق ويهلك «إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار، وبني الحارث، وبني ساعدة، وبني جشم، وبني الأوس، وبني ثعلبة، وجفنة، وبني الشُطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، ولا ينحجز على أثر جرح، وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم، وإن الله على أبر هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تُجارُ حرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشتجار يخاف فساده فإن مردَّه إلى الله وإلى محمد رسول الله، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرِّه، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن عليهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دَعَوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم

الذي قبلَهم، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن برَّ واتقى» قال ابن كثير: كذا أورده ابن إسحاق بنحوه، وقد تكلم عليه أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب الغريب وغيره بما يطول. ا هـ. من البداية ج١ ص٢٤٦/٢٤٧.

هذا، ولما اطمأن رسول الله ﷺ على البنية الداخلية في المدينة، حيث أتم بناء مسجده ومساكنه وآخى بين الأنصار والمهاجرين وأقر اليهود على دينهم وأموالهم وشرط لهم وعليهم، بدأ يفكر في أمر الحرب مع أعدائه حيث أُذن له في الجهاد بعدما نزل عليه قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [الحج: ٣٩] الآية.

وقال عليه الصلاة والسلام: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله. . .»** الحديث.

فكان من أحداث السنة الأولى الهجرية من ذلك: إرساله حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه إلى سيف البحر من ناحية العيص على رأس سبعة أشهر من مقدمه المدينة في ثلاثين رجلاً من المهاجرين، قال ابن سعد: والمجمع عليه أنهم كانوا جميعاً من المهاجرين، ولم يبعث رسول الله ﷺ أحداً من الأنصار في بعث حتى غزا بهم بدراً، فكان أول لواء عقده رسول الله ﷺ لواء أبيض عقده لعمه حمزة رضي الله عنه حمله أبو مرثد كَنَّاز بن الحصين الغنوي حليف حمزة بن عبدالمطلب. قال محمد بن يوسف الصالحي في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، قال: إنه أول لواء عقد في الإسلام كما قال عروة وابن عقبة ومحمد بن عمر، وابن سعد وابن عائذ والبيهقي وابن الأثير والدمياطي وغيرهم وصححه أبو عمر. قال: وذكر ابن إسحاق أن أول لواء عقده رسول الله ﷺ لواء عبيدة بن الحارث بن المطلب، قال: واختلف الناس في راية حمزة وراية عبيدة: أيتهما الأولى؟ وذلك أن رسول الله ﷺ شيعهما جميعاً، فأشكل ذلك على بعض الناس.

فخرج حمزة بمن معه رضي الله عنه يعترض عير قريش التي أقبلت

من الشام تريد مكة وفيها أبو جهل وثلاثمائة رجل، وقيل مائة وثلاثون، فبلغ حمزة رضي الله عنه سيف البحر ناحية العيص من أرض جهينة، فلما تصافُوا حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفاً للفريقين، فقبلوا منه وانصرفوا ولم يقتتلوا، فتوجه أبو جهل بعيره إلى مكة وانصرف حمزة رضي الله عنه بأصحابه إلى المدينة وأخبر النبي ﷺ بما حجز بينهم مجدي بن عمرو وأنهم رأوا منه نصفة، وقدم مجدي وجماعته على رسول الله ﷺ فكساهم.

ثم أرسل بعد ذلك في شوال من السنة الأولى للهجرة الشريفة ابن عمه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبدمناف شهيد بدر رضي الله عنه في ستين راكباً من المهاجرين إلى بطن رابغ وعقد له لواءً أبيض، حمله مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبدمناف البدري رضي الله عنه، فخرج فلقي أبا سفيان بن حرب في أناس من أصحابه على ماء يقال له أحياء من بطن رابغ، على عشرة أميال من الجحفة وأنت تريد قديداً على يسار الطريق، وإنما نكبوا الطريق ليرعَوْا ركابهم، وأبو سفيان في مائتين من المشركين، قال محمد بن عمر: وهو الثبت عندنا، وقيل: على المشركين مكرز بن حفص، وقيل: عكرمة بن أبي جهل، فكان بينهم الرمي ولم يسلوا سيفاً ولم يصطفُّوا لقتال وإنما كانت بينهم المناوشة، إلا أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه نثر كنانته يومئذ وتقدم أمام أصحابه وقد تترسوا عنه فرمى عشرين سهماً ما منها إلا جرح إنساناً أو دابة، فكان أول من رمى سهماً في سبيل الله ولم يكن بينهم يومئذ غير ذلك.

تنبيه: لقد كان مع المشركين يومئذ كل من المقداد بن عمرو البهراني وعتبة بن غزوان بن جابر المازني وكانا مسلمين خرجا مع المشركين ليتوصلا بهم إلى المسلمين، وفرّا ذلك اليوم والتحقا بأصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهما وأرضاهما.

قلت: وقد ذكر هذين البعثين العلامة غالي بن المختار فال البصادي في بعوثه مقدماً بعث عبيدة، فقال:

أول مَــن بَــعَــثَــهُ الـنـبـيُّ عُـبَـيْـدَةُ بـنُ الـحَـارِثِ الْـبَـدْرِيُّ
مَــرْجِــعَــه مِــن غــزوةِ الأبْــواءِ صَــلَّـى عَــلَـيْـهِ رافِـعُ الـسَّـمَـاءِ
وجَـيْـشُـهُ سِـتُّـونَ أو يــزيــدُ عِـشْـرِيـنَ كُـلٌّ فَـاضِـلٌ مَـجِـيـدُ
أول سَـهْـم قـدْ أصَـابَ عَـاصِـي سَـهْـمٌ رَمَـاهُ ابْـنُ أبـي وقّـاصِ
يَـوْمَـئِـذٍ فَـقَـدْ رَمـى سِـهَـامَـا مُـصـيـبـةً فـيـا لِـذَا إكـرَامَـا
وقـيـلَ قـبـلـهُ لِـسَـيْـف الْـبَـحْـرِ بَـعْـثَ حَـمْـزَةَ الـرفـيـعَ الـذِّكْـرِ
مَـعَ ثـلاثـيـنَ وَقِـيـلَ بَـلْ مَـعَـا بَـعْـثُـهُـمَـا كـانَ وحَـمْـزَةُ ادَّعَـى
سَبْقَ عُـبيدَةَ قَـريضٌ قَـدْ نُـسِـبْ لَـهُ وحَـازَ مَـفْـخَـراً ومَـا صَـحِـبْ
كِـلاَهُـمـا مِـن قـيـلـةٍ إنْـسَـانـا ومَـا لَـقُـوا ضَـرْباً ولاَ طِـعَـانَـا

ا هـ.

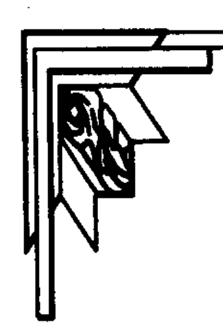
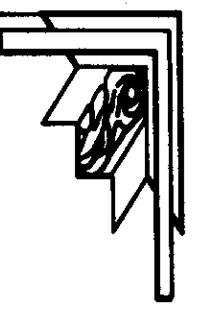
وفي ذي القعدة من السنة الأولى للهجرة الشريفة عقد رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص لواء أبيض يحمله المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة، وخرج في عشرين رجلاً على أقدامهم وكانوا يمشون الليل ويكمنون النهار حتى صبحوا الخرار صبح خامسة، وكان رسول الله ﷺ عهد إليهم أن لا يتجاوزوا الخرار، فوجدوا أن العير قد سبقتهم قبل ذلك بيوم، وكان كلُّ مَنْ مع سعد من المهاجرين.

قلت: وقد ذكر العلامة غالي بن المختار فال سرية سعد هذه ببيت واحد قال:

ثـمَّـتَ سَـعْـدُ بـن أبـي قـاصـي فَـآبَ وَهْـوَ لَـمْ يَـنَـلْ مِـنْ عَـاصِـي

ملحوظة: قول العلامة غالي بن المختار فال: مرجعه من غزوة الأبواء يجعل به أن هذه البعوث من أحداث السنة الثانية وهو خلاف ما عليه المحققون ممن كتب في السيرة كابن كثير ومحمد بن يوسف الصالحي.



أحداث السنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة

غزوة الأبواء وهي غزوة ودّان

أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ربيع الأول الشهر الذي قدم فيه وباقي العام كله إلى صفر من سنة اثنتين من الهجرة، ثم خرج غازياً في صفر من سنة اثنتين، وحمل لواءه حمزة بن عبدالمطلب، وكان لواءه أبيض، واستعمل على المدينة ـ فيما قال ابن سعد وأبو عمر ـ سعد بن عبادة، وخرج بالمهاجرين ليس إلاً ليعترض عيراً لقريش، ورجع من غير أن يلقاه كيد، ووادع في غزوته هذه بني ضمرة بن عبدمناة بن كنانة وعقد ذلك معه سيدهم على أن بني ضمرة لا يغزونه ولا يُكَثِّرون عليه جمعاً ولا يعينون عليه عدوًا، وكتب بينه وبينهم كتاباً هذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصرة على من رامهم إلا أن يحاربوا في دين الله ما بلّ بحر صوفة، وأن النبي ﷺ إذا دعاهم لنصره أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ولهم النصر على من برَّ منهم واتقى» ثم رجع إلى المدينة، وكانت غيبته خمسة عشر يوماً، وهي أول غزوة غزاها بنفسه الكريمة ﷺ.

قلت: وقد ذكر البدوي هذه الغزوة في غزواته حيث قال:

أولُ غَزْوَةٍ غزَاهَا المُصْطفى   وَدَّانُ فالأبواءُ أوْ تَرَادَفَا

قال حماد في شرحه للغزوات: الترادف أن يكون اللفظان مختلفين والمعنى متحد، أي: أو هما غزوة واحدة يقال لها غزوة ودان ويقال لها غزوة الأبواء، وهما موضعان بينهما ستة أميال خرج على رأس اثني عشر شهراً من الهجرة يريد قريشاً وبني ضمرة واستعمل على المدينة سعد بن عبادة. ا هـ. منه.

غزوة بواط

قال الصالحي: خرج إليها رسول الله ﷺ في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجَرِهِ في مائتين من المهاجرين، وحمل لواءه ـ وكان أبيض ـ سعد بن أبي وقاص، واستخلف على المدينة في رواية ابن سعد، سعدَ بن معاذ، وفي رواية: ابن إسحاق السائب بن عثمان بن مظعون وتابعه على ذلك أبو عمرو، وقال به غيرهما.

خرج ـ بأبي هو وأمي ـ يعترض عيراً لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش عندهم ألفان وخمسمائة بعير، فبلغ ﷺ بواطاً وهو جبل من جبال جهينة من ناحية رضوى بينه وبين المدينة أربعة برد، ثم رجع إلى المدينة بسلامة الله ولم يلق كيداً.

قال الشيخ أحمد البدوي في المغازي:

ثُمَّ بُواطٌ خَرجُوا لِعيرِ   أميةَ بنِ خَلَفِ السُّفْسِيرِ

السفسير بالكسر: السمسار، والخادم، والبايع، وتطلق على القائم بالأمر المصلح له. وذكر حماد في شرح الغزوات: أن لواء رسول الله ﷺ في غزوة بواط حمله سعد بن معاذ ووافق ابن إسحاق وغيره في أنه إنما خلف على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون.



غزوة العُشيرَة

خرج إليها رسول الله ﷺ في رواية ابن سعد في جمادى الأخيرة على رأس ستة عشر شهراً من مهاجَرِه، وقال ابن إسحاق وابن حزم وغيرهما: في جمادى الأولى، وحمل لواءه ـ وكان أبيض ـ حمزةُ بن عبدالمطلب رضي الله عنه، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبدالأسد، وخرج في مائة وخمسين، وقيل: في مائتين، ولم يُكْرِه أحداً على الخروج. وخرجوا يعتقبون ثلاثين بعيراً، يعترضون عيراً لقريش ذهبت من مكة تريد الشام، وقد جمعت قريش أموالها في تلك العير، فبلغ العشيرة ببطن ينبع فوجد العير قد مضت قبل ذلك بأيام، قالوا: إنها هي العير التي خرج إليها حين رجعت من الشام وكان بسببها وقعة بدر الكبرى. قال أبو عمرو: أخذ رسول الله ﷺ طريق ملل إلى العشيرة فأقام هناك بقية جمادى الأولى وليالي من جمادى الثانية ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

ويقال: إن فيها كَنَّى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أبا تراب. قال الشيخ أحمد البدوي في الغزوات:

ثـمَّ الـعُـشَـيـرَةُ إلـى عـيـر أبـي سُـفـيَـانَ فـي ذَهَـابِـهَـا لِـلأَرَبِ

ثم جاء حماد في شرحه للغزوات بنص العهد مع بني ضمرة الذي قدمنا أنه وقع معهم العهد في غزوة الأبواء وودَّان. وذكر حماد هنا أن سبب تكنية رسول الله عليًا رضي الله عنه من حديث ابن إسحاق عن عمار، أنه وجده نائماً هو وعمار بن ياسر، وقد عَلِقَ به تراب كثير، فأيقظه عليه السلام برجله وقال: **«ما لك أبا تراب؟»** لما يرى عليه من التراب، ثم قال: **«ألا أخبرك بأشقى الناس رجلين؟»** فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: **«أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه»** فوضع يده على قرنه **«حتى يبل منها هذه»** وأخذ بلحيته. قال حماد: وأصح من حديث ابن إسحاق ما رواه البخاري في جامعه، وهو: أن رسول الله ﷺ وجده في

المسجد مُغَاضِباً لفاطمة رضي الله عنها. قال: إلا أن يكون رسول الله ﷺ كناه بها مرتين: مرة في المسجد ومرة في الغزوة، فالله أعلم. ا هـ. من حماد على الغزوات.

غزوة بدر الأولى وهي غزوة سفوان

قال الصالحي: قال ابن إسحاق لم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشرة، فخرج ﷺ في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجَرِه في إثر كرز بن جابر الفهري لإغارته على سرح المدينة، وكان يرعى بالجماء ونواحيها، وحمل لواءه ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان أبيض، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، فطلب رسول الله ﷺ كرزاً حتى بلغ سفوان من ناحية بدر، فلم يدركه، فرجع ولم يلق كيداً.

قلت: وقد ذكر الشيخ أحمد البدوي غزوةَ بدر الأولى بقوله:

فَبَدْرٌ الأولى بأثرِ نَاهِبِ سَرْحِ المدِينَة مُغذٌّ هَارِبِ
كُرزُ بْنُ جَابرٍ وَبَعْدُ اسْتَنقَذَا لِقَاحَهُ ممن عَلَيْهَا اسْتَحْوَذَا

قال حماد بن الأمين في شرح غزوات عمه: يعني أن كرز بن جابر بن حسل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر، بعد نهبه سرح المدينة أسلم وصحب رسول الله ﷺ وهاجر وجعله النبي ﷺ على طلب النفر العرنيين فاستنقذ منهم اللقاح وجاء بهم أسارى إلى رسول الله ﷺ، وسيأتي خبرهم إن شاء الله. قال: ثم قتل كرز شهيداً مع رسول الله ﷺ يوم الفتح بمكة، فكان هو وحليس بن خالد الخزاعي في خيل خالد فشذًا عنه فأخذا طريقاً غير طريقه فقتلا رضي الله عنهما.



سرية عبدالله بن جحش رضي الله عنه

قال حماد بن الأمين رحمه الله في شرحه لغزوات عمه: بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش منقلبَه من بدر الأولى ومعه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمر به، ولا يستكره أحداً من أصحابه، قال: ومن هذا الكتاب أخذ العلماء جواز المناولة.

وكان أصحاب عبدالله هم: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وعكاشة بن محصن ابن عم عبدالله وهما حليفا بني عبدشمس، وعتبة بن غزوان المازني حليف بني نوفل بن عبدمناف، وسعد بن أبي وقاص وعامر بن ربيعة العنزي، وواقد بن عبدالله التميمي ثم اليربوعي حليفا بني عدي، قال: وعامر هذا هاجر إلى الحبشة والمدينة مع امرأته ليلى بنت أبي حتمة بن غانم وهي أول ظعينة قدمت المدينة ومن أول المهاجرات إلى الحبشة. وقد شهد هذه السرية وبدراً وما بعدها واستشهد بالطائف هو وابنه عبدالله الأكبر. قال: ومن أصحابه، يعني عبدالله بن جحش خالد بن البكير وسهيل بن بيضاء. فلما سار عبدالله يومين فتح الكتاب فنظر فيه فإذا فيه: «**إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم**» فلما نظر في الكتاب قال: سمعاً وطاعة، ثم قال ذلك لأصحابه وقال: قد نهاني أن أستكره أحداً فيكم، فمضوا ولم يتخلف منهم أحد، فسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفُرع يقال له نجران أضلّ سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه فتخلفا عليه في طلبه ومضى عبدالله بن جحش وأصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نوفل المخزوميان والحكم بن كيسان مولى هاشم بن المغيرة، فلما رآهم القوم هابوهم. وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف عليهم عكاشة بن محصن وكان حلق رأسه، فلما رأوه أمِنوا

وقالوا: عُمّارٌ لا بأس عليكم، فتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم في هذه الليلة ليدخلُنَّ الحرم فيتمنعُنَّ منكم ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام، فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معه، فرمى واقد بن عبدالله التميمي عمرو بن الحضرمي فقتله واستأسر عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبدالله فأعجزهم وأقبل عبدالله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة. وقد ذكر آل عبدالله بن جحش أن عبدالله قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمس، وذلك قبل أن يفرض الخمس من الغنائم، فعزل لرسول الله ﷺ وقسم سائر العير بين أصحابه، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال: «**ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام**» فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سُقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا قالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدماء وأخذوا الأموال وأسروا الرجال، فقال من يرد من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان، وقالت اليهود تتفاءل بذلك على رسول الله ﷺ: عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عمرو عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب، وواقد وقدت الحرب، فجعل الله ذلك عليهم لا لهم، فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ﴾... الآية ففرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه، وقبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين فبعث إليه قريش في فداء عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان، فقال رسول الله ﷺ: «**لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا**» يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان «**فإنا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم**»، فقدم سعد وعتبة فأفداهم رسول الله ﷺ منهم، فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن

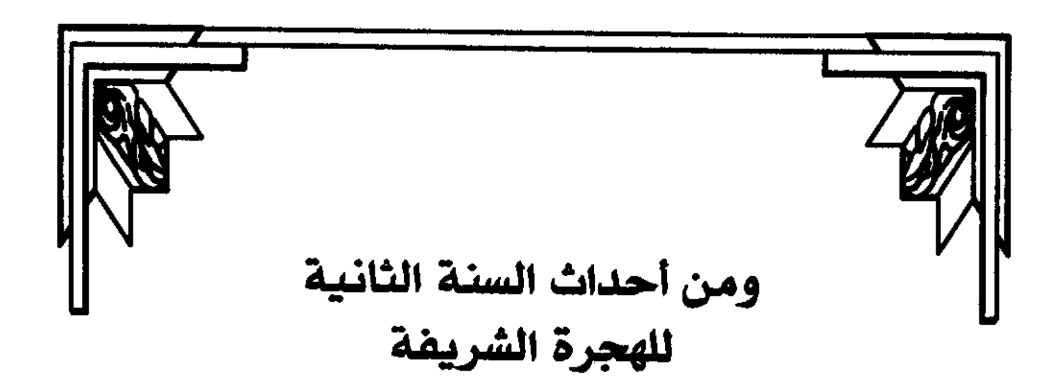
عبدالله فلحق بمكة ومات يوم أحد كافراً. فلما تجلى عن عبدالله وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر فقالوا: يا رسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾... الآية فوضعهم الله في ذلك على أعظم الرجاء، وهي أول غنيمة غنمها المسلمون، وعمرو بن الحضرمي أول من قتله المسلمون، وعثمان والحكم أول من أسره المسلمون، وفي هذه السرية يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

تعدون قتلاً بالحرام عظيمةً ... وأعظم منها لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد ... وكفرٌ به والله راءٍ وشاهدُ
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا ... بنخلة لما أن أوقد الحرب واقدُ
دَما وابن عبدالله عثمان بيننا ... ينازعه من غل من القيد عاقدُ

قال حماد: وفي هذه السرية سمى عبدالله بن جحش أمير المؤمنين. ا هـ. حماد مخطوط.

قلت: وأيضاً قد ذكر العلامة غالي بن المختار فال هذه السرية في بعوثه فقال:

ثُمَّ المُجَدَّعُ ابْنُ جَحْش بن رِئابْ ... بَعَثَهُ وكَانَ أعْطَاهُ كِتَابْ
يَقْرَؤُهُ إنْ سَارَ يَوْمَيْنِ ولا ... وكُلَّما فِيهِ جَمِيعاً فَعَلاَ
فَسَارَ طائِعاً وَقَادَ الجَيْشَا ... وَرَصَدُوا بِنَخْلَةٍ قُرَيْشا
وبِهِمُو مَنْ قَلْبُهُ بِهِ مَرَضْ ... أرْجَفَ إذْ مَا رَجَبٌ قَدِ انقَرَضْ
ووَقَّفَ الْعِيرَ النبيُّ أوْ نَزَلْ ... في أمْرِهِمْ كَلامُه عزَّ وجَلْ
أي يَسْألُونَك عَنِ الشَّهْرِ الحرامْ ... فَخَرَجُوا مِن كُلِّ كرْب وَمَلاَمْ



ومن أحداث السنة الثانية للهجرة الشريفة

تحويل قبلة المسلمين إلى البيت الحرام

قال ابن كثير: قيل كان في شعبان منها، يعني كان تحويل القبلة في شعبان من السنة الثانية للهجرة، قال ابن إسحاق: بعد غزوة عبدالله بن جحش، لقد صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدَم رسول الله ﷺ المدينة. حكى هذا القول ابن جرير من طريق السدي، فسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة، قال الجمهور الأعظم إنما صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة، وحكى محمد بن سعد عن الواقدي أنها حولت يوم الثلاثاء النصف من شعبان، قال ابن كثير: وفي هذا التحديد نظر والله أعلم.

قلت: وفي شرح المناوي لألفية العراقي ص ٣٢: أن القبلة حولت يوم الثلاثاء نصف شعبان في الركوع الثاني من صلاة الظهر فاستدار إلى الكعبة حال الركوع واستدارت الصفوف خلفه فصلى بهم بمسجد القبلتين ركعتين للقدس وركعتين للكعبة ا هـ. الغرض منه.

قال ابن كثير في البداية: والحاصل أن رسول الله ﷺ كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه، كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما،

فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمة المدينة واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وهذا يقتضي أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية للهجرة والله أعلم.

وكان عليه الصلاة والسلام يحب أن تصرف قبلته نحو الكعبة قبلة إبراهيم، وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله عز وجل؛ فكان يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلاً ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾... الآية، فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله ﷺ المسلمين وأعلمهم بذلك كما رواه النسائي عن أبي سعيد بن المعلى، وأن ذلك كان وقت الظهر.

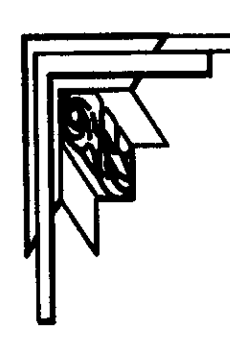
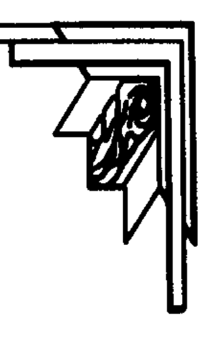
وقال بعض الناس كان تحويلها بين الصلاتين، قاله مجاهد وغيره، ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين عن البراء أن أول صلاة صلاها عليه الصلاة والسلام إلى الكعبة بالمدينة العصر. قال: والعجب أن أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثاني كما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر، قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلةَ قرآن، وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبِلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك مثل ذلك. ولما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ونسخ الله به حكم الصلاة إلى بيت المقدس، طعن السفهاء والجهلة والأغبياء وقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾، على الرغم من أن أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله تعالى، لما يجدونه من صفة محمد ﷺ في كتبهم من أن المدينة مهاجَرُه وأنه سيؤمر بالاستقبال إلى الكعبة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ الآية، ولقد أجابهم الله تعالى مع ذلك عن تساؤلهم فقال عز وجل: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الآية، أي: هو المالك للملك المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، يفعل ما يشاء ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ويضل من

يشاء عن الطريق القويم، وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرضى والتسليم، ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي خياراً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ الآية، أي وكما اخترنا لكم أفضل الجهات في صلاتكم وهديناكم إلى قبلة أبيكم إبراهيم والد الأنبياء التي كان يصلي إليها ومن بعده[1] من المرسلين، كذلك جعلناكم خيار الأمم وخلاصة العالم، وأشرف الطوائف، وأكرم التالد والطارف، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لإجماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليكم، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد مرفوعاً من استشهاد نوح بهذه الأمة يوم القيامة. قال ابن كثير: وإذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه فمَنْ بعده بطريق الأولى والأحرى.

والحاصل أن اعتراضهم على تحويل القبلة إنما كان لأجل الحسد، فقد روى الإمام أحمد: حدثنا علي بن عاصم، حدثنا حصين بن عبدالرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الأشعث عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ - يعني في أهل الكتاب -: «فإنهم لم يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله إليها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين» ا هـ. ملخصاً بتصرف من ابن كثير (البداية).



(١) في البداية: فمن قبله، والظاهر أن الصواب من بعده.

ومن أحداث السنة الثانية للهجرة الشريفة

- فريضة صوم رمضان -

لقد فرض صيام شهر رمضان في سنة اثنتين من الهجرة، وقيل: في شعبان منها؛ أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وجد أن اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم عنه فقالوا: هذا يوم نجى الله فيه موسى فقال ﷺ: «نحن أحق بموسى منكم» فصامه وأمر الناس بصيامه، قال ابن كثير: وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن ابن عباس، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

إنه من حكمة التشريع الإسلامي أنه يرد بالتدريج في تحريم ما يصعب على النفوس تركه أو يجاب ما يصعب فعله، لا جرم لما أراد تحريم الخمر

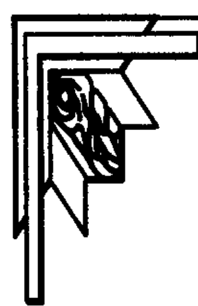
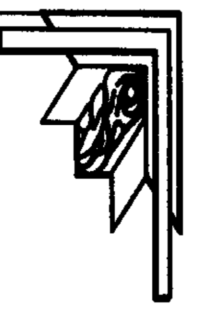
وهو يعلم تعلق نفوس المجتمع بها أنزل فيها: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ الآية فكان سبباً أن تركها بعض الناس لمّا كان أثمها أكثر من نفعها، ثم أنزل فيها بعد ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ الآية فصاروا لا يشربونها إلا فيما بين الصبح وصلاة الظهر أو ما بين صلاة العشاء وصلاة الصبح، فلما استأنست النفوس لتركها حرمها بتاتاً بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، وهكذا فرض الصيام بالتدريج. قال ابن كثير ما حاصله: أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة جعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، ويصوم عاشوراء، ثم إن الله فرض عليه الصيام بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ الآية، فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأ عنه ذلك، ثم إن الله تعالى أنزل الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ الآية فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر، وأثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع.

ـ ومن أحداث هذه السنة: أمر الناس بزكاة الفطر، قاله ابن جرير. قيل: إن رسول الله ﷺ خطب الناس بيوم أو يومين قبل الفطر فأمرهم بها.

ـ وفي هذه السنة كانت صلاة العيدين، خرج رسول الله ﷺ بالناس إلى المصلى فكان أول صلاة عيد صلاها وخرجوا بين يديه بالحربة التي وهبها النجاشي للزبير فكانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ في الأعياد.

ـ وذكر المناوي على ألفية العراقي ص ٨٩ أن زكاة الأموال فرضت في هذه السنة، وقال ابن كثير: وفيما ما ذكر غير واحد من المتأخرين أن الزكاة ذات النصب فرضت في هذه السنة، قال وسيأتي تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.



واعظم ما حدث
في السنة الثانية للهجرة الشريفة

بدر الكبرى، يوم الفرقان
يوم التقى الجمعان

قال العلامة الشيخ أحمد البدوي الموريتاني ثم المجلسي في غزواته:

فبدر الكبرى لعير صخرِ آتيةً من شامها بالكثرِ
واعتقبوا في ذلك المسيرِ كُل ثلاثةٍ على بَعيرِ
ولم يكونوا أوْعَبُوا للْحَرْبِ إذْ مَا غَزَوْا لغير نهب الركبِ
وليس عندهم من السيوف غيرُ ثَمانٍ للعدى حُتُوفِ
ولاَ مِنَ الخَيْلِ سِوى اثْنَتَيْنِ وقد كَفتْهُم أهْبَةَ التَّمكِينِ
واسْتَنفَر النفير صخرٌ لهمُ

يقول شبل هذا الناظم ابن أخيه حماد بن الأمين البادلي في شرحه لغزوات عمه، للّهِ دَرُّهما من رجلين عظيمين عَلَمين كريمين. يقول حماد: صخر هذا هو أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف، يكنى أيضاً أبا حنظلة بابنه الذي قتل يوم بدر كافراً، وهو شقيق أمنا أم حبيبة، أمهما صفية بنت أبي العاص بن أمية، وأم أبي سفيان هي صفية بنت حزن عمة أمنا ميمونة وأختها أم الفضل. وكانت وقعة بدر هذه يوم الجمعة

سابع عشر رمضان في العام الثاني من الهجرة، خرج رسول الله ﷺ حتى عسكر على بئر أبي عنبة وهو على ميل من المدينة ورد من هناك من استصغر وخرج في ثلاثمائة وخمسة عشر، وكان لواء المهاجرين أبيض بيد مصعب بن عمير، وكان لواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ.

خرج يعترض عير أبي سفيان التي خرج يعترضها حتى بلغ العشيرة ثم لم يزل يتحراها حتى سمع بها مقبلة من الشام فندب الناس للخروج إليها، قال ﷺ: **«هذه عير قريش فيها أموالهم اخرجوا إليها لعل الله يُنفِلَكموها»** وبعث سعيد بن زيد وطلحة بن عبيدالله يتحسسان خبر هذه العير؛ وكانت العير فيها ثلاثون أو أربعون رجلاً من قريش منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص ومعهم ألف بعير ورأس مالها خمسون ألف دينار.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يعتقبون كل ثلاثة على بعير ذكروا أن رسول الله ﷺ كان يعتقب مع كل من علي ومرثد بن أبي مرثد بعيراً، وأبو بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً، وكان عدد إبلهم سبعين بعيراً، وكان أكثرهم مشاة لا ظهر لهم، ولم يكن القوم خرجوا يريدون قتالاً، ولم يخرجوا بأجمعهم بل خرج بعضهم وتثاقل بعض، ولو علموا أنه ﷺ يلقى كيداً لأوعبوا رضي الله عنهم، لكن خرجوا لمجرد الرغبة في غصب العير، وليس عندهم غير ثمانية سيوف وفَرَسان: فَرَسٌ للمقداد بن عمرو وفرس لمرثد بن أبي مرثد، وقيل: كانت عند الزبير فرسه اليعبوب، وليس ذلك بمؤكد ولكن القوم ما جاهدوا بعَدد ولا عُدد ولكنهم يجاهدون بالتوكل على الله تعالى والإيمان المخلص به.

وقد كان أبو سفيان في رجوعه من الشام يتحسس الأخبار حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فحذر عند ذلك واستأجر رجلاً من غفار هو ضمضم بن عمرو بعثه إلى مكة حتى إذا كان ببطن الوادي وقف على بعيره وقد جدعه وحول رحله وشق قميصه وهو يصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، اللطيمةَ اللطيمةَ، أموالكم مع أبي

سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى أن تدركوها، الغوثَ الغوثَ، فتجهز الناس سراعاً وهم يقولون: يظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي، كلا والله ليعلمن غير ذلك، وأوعبت قريش ولم يتخلف من أشرافهم إلا أبو لهب تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكان لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه أفلس بها، ولما فرغوا من جهازهم قالوا إنا نخاف بني بكر بن كنانة أن يأتونا من خلفنا، فظهر لهم إبليس عليه لعنة الله في صورة سراقة بن مالك المدلجي، وكان من أشراف كنانة فقال: أنا لكم جار أن تأتيكم كنانة وإنه ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨] ولقد رآه أحد الرجلين: الحارث بن هشام أو عمير بن وهب حين نكص على عقبيه عند نزول الملائكة وهو يقول ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨] فلم يزل بهم حتى أوردهم وأسلمهم، وفي حيلته هذه عليهم يقول حسان رضي الله عنه:

سرنا فساروا إلى بدر لحينهم ... لو يعلمون يقين الحين ما ساروا
دلاهمو بغرور ثم أسلمهم ... أن الخبيث لمن والاه ضرار

قال: وجاء خيرٌ مُرْسَل إليهم:

فأَخْبَرَ النَّاسَ بِهِمْ مُمْتَحِناً ... وقال سعدٌ ما رأى أو أحسنا
وكان من رواية المِقْدَادِ ... أنْ رَضِي السَّير إلى الْغِمَادِ

لقد كانت الأنصار ليلة العقبة قالوا لرسول الله ﷺ: إنا براء من ذمتك حتى تصل إلى ديارنا، فإذاً نمنعك مما نمنع منه أزرنا، لذلك جَلَّى للناس أمرهم لما جاء الوحي بخروج قريش لحماية عيرهم ثم قال: **«أشيروا عليَّ أيها الناس»** فقام أبو بكر فتكلم فأحسن فأسكته رسول الله ﷺ ودعا له، ثم قال ﷺ: **«أشيروا عليَّ أيها الناس»** فقام عمر بن الخطاب فتكلم فأحسن فأسكته رسول الله ﷺ ودعا له، ثم قال: **«أشيروا عليَّ أيها الناس»** فقام المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة فقال: والله يا رسول لا نقول لك ما قال بنو إسرائيل لنبيهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا

﴿قَٰعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، والله لا تخوض بنا لجة إلا خضناها معك ولو بلغت بنا برك الغماد، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير وقال: **«أشيروا عليَّ أيها الناس»** فقال سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبدالأشهل الأوسي الأشهلي: لعلك تريدنا معشر الأنصار يا رسول الله؟ قال: **«أجل»** قال: آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع الطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، والذي بعثك بالحق بشيراً ونذيراً لو استعرضت بنا هذا البحر فخضتَه لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لقوم صبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تَقَرُّ به عينك، فسر بنا على بركة الله.

ملحوظة: المقداد هو ابن عمرو البهراني حليف بني زهرة، تبناه الأسود بن عبديغوث وكان يدعى لذلك المقداد بن الأسود إلى أن نسخ التبني انتسب إلى أبيه وقبيلته فقال أنا المقداد بن عمرو البهراني، تزوج ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب فولدت له، انظر ترجمتها في التعريف بالنسب الشريف وبالله تعالى التوفيق.

قال البدوي في مغازيه:

واسْتَبَقُوا صَخْراً لِبَدْرٍ وَانْتَحى ... وأَخَذُوا وارِدَةً وزَخْزَحَا
عنها النبي الضرب إذ قال هُما ... واردةُ النفير واستفتاهما

يقول حماد: يعني أنه لما قال سعد ما قال للنبي ﷺ سُرَّ لقوله ونشط وارتحل من ذفران وادٍ كان نازلاً به حين بلغه خروج قريش يريدونه حتى نزل قريباً من بدر، فركب هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى وقفوا على شيخ من العرب فسألاه عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما، فقال رسول الله ﷺ: **«تخبرنا ونخبرك»** أو كما قال ﷺ، فقال الشيخ: ذاك بذاك؟ قال: **«نعم»**، قال الشيخ: بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق

الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره قال: من أنتما؟ قال رسول الله ﷺ: **«نحن من ماء»** ثم انصرفا، قال الشيخ: ما من ماء؟ من ماء العراق؟ ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجّاج وعريض أبو ياسر غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما وسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالوا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكرهوا خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما، فلما أذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان فتركوهما، وركع ﷺ وسجد سجدتين ثم سلم وقال: **«إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش، أخبراني عن قريش»** قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، قال: **«كم هم؟»** قالا: كثير، قال: **«ما عدَّتهم»** قالا: ما ندري، قال: **«كم تنحرون كل يوم؟»** قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً، قال ﷺ: **«القوم ما بين التسعمائة والألف»**، ثم قال لهما: **«فمن فيهما من أشراف قريش؟»** قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي والنصر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل وأمية بن خلف وابنه ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو، ومات هؤلاء كلهم ذلك اليوم إلا حكيم بن حزام وسهيل بن عمرو أسلما يوم الفتح، فقال رسول الله ﷺ: **«هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»** وأول من نحر لهم أبو جهل، نحر عشراً يوم خروجهم، وآخر مقيس الجمحي نحر لهم على ماء بدر تسعاً، ثم شغلتهم الحرب فأكلوا من أزوادهم، وقد كان أيماء بن رحضة الغفاري بعث ابنه خفافاً إلى قريش بجزائر أهداها لهم وقال إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا، فأرسلوا إليه مع ابنه أن وصلتك رحم، قد قضيت الذي عليك فلعمري لئن كان إنما نقاتل الناس فما بنا من

ضعف عنهم وإن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة، وأسلم بعد هذا خفاف وأيماء ورحضة جده.

هذا، وقد كان أبو سفيان قد ساحل بعيره وتجنب ورود ماء بدر، ذلك أن رسول الله ﷺ لما وصل قريباً من الصفراء أرسل بسبس بن عمرو الجهني، حليف بني ساعدة وعديّ بن أبي الزغباء حليف بني النجار إلى بدر يتحسسان الأخبار عن العير فأناخا بعيريهما يغترفان ماء وسمعا من أخبار العير ورجعا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فاتفق أنه لما غادرا بدراً راجعين أقبل أبو سفيان يستخبر مجدي بن عمرو عن خبر عدوه وقال: والله إن كتمتنا خبر عدونا لا يصادقك قرشي ما بَلَّ بحرٌ صوفة، فقال: ما عندنا من خبر محمد شيء وليس بيننا وبين يثرب أحد ولو كان لعلمناه، إلا أني رأيت رجلين أناخا بعيرهما هناك يغترفان ماء، فقال: أرني مناخ بعيريهما، فلما أخذ بعر البعيرين فَتَّهُ فوجد نواة العلوفة فقال علوفة يثرب ورب الكعبة، فرجع يشتد إلى عيره وساحل به فتجنب بذلك رسول الله ﷺ وأصحابه.

وكانت عاتكة بنت عبدالمطلب رأت قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة أيام رؤيا أفزعتها وحكتها على أخيها العباس وقالت: تخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة، فاكتم عليَّ ما أحدثك به. قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غُدر لمصارعكم في ثلاث، فاجتمع الناس إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها: إلا انفروا يا آل غُدر لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى كانت بأسفل الجبل ارْفَضَّتْ فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة. قال العباس: والله إنها لرؤيا وأنت فاكتميها، ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان له صديقاً فذكرها له واستكتمه، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ثم فشا خبرها حتى تحدثت قريش به. قال العباس: فغدوت إلى البيت لأطوف به وأبو جهل في رهط من الناس قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رآني أبو

جهل قال: يا أبا الفضل إذا انتهيت من طوافك فأقبل علينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقال أبو جهل يا بني عبدالمطلب متى حدثت فيكم هذه النبيّة قال: قلت وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة، قلت: وما رأت؟ قال يا بني عبدالمطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم؟ قد زعمت عاتكة أنه قال: انفروا في ثلاث، فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقًّا ما تقول فسيكون، وإلا يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب، قال العباس: فوالله ما كان مني إليه شيء إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً. قال: فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبدالمطلب إلا أتتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم تكن عندك غيرة لشيء مما سمعت؟ قال: قلت: قد والله فعلت، وأيم الله لا تعرضن له فإن عاد لأكفيكنه. قال: فغدوت في اليوم الثالث لرؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أنه قد فاتني منه أمر أحب أن أدرك منه، قال: فدخلت المسجد فرأيته، والله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به، إذا هو خارج من المسجد يشتد، وقد سمع ما لم أسمع، صوت ضمضم الغفاري يصرخ في بطن الوادي واقفاً على بعيره، لصراخه الذي تقدم والذي استنفر به الناس فأوعبوا في الخروج إلا أن أبا لهب تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة.

ولقد عزم أمية بن خلف على التخلف فجاءه عقبة بن أبي معيط في المسجد بين ظهراني قومه، بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر حتى وضعها بين يديه فقال: يا أبا علي استجمر، فأنت من النساء، قال: قبحك الله وقبح ما جئت به، ثم تجهز وخرج مع الناس. هذه رواية ابن إسحاق.

وقد روى البخاري محاولة أمية بن خلف التخلف عن النفير على نحو آخر. قال: حدثني أحمد بن عثمان، حدثنا شريح بن مسلمة ثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق، حدثني عمرو بن ميمون أنه سمع عبدالله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ أنه كان صديقاً لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على

أمية بن خلف، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بمكة، قال سعد لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلي أطوف فيها البيت فخرج به قريباً من نصف الليل فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا معك؟ قال: هذا سعد، قال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أوتيتم الصُّباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، فقال له سعد، ورفع صوته عليه، أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنَّك ما هو أشد عليك منه، طريقَك على المدينة، فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي، قال سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إنهم قاتلوك، قال: بمكة؟ قال: لا أدري، ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً، فلما رجع إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم تَريْ ما قال لي سعد؟ قالت وما قال لك؟ قال: زعم إن محمداً أخبرهم أنهم قاتليَّ، فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدري، فقال أمية: والله لا أخرج من مكة. فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس، فقال: أدرِكوا عِيرَكم، فكره أمية الخروج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس تخلفتَ وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما والله إذ غلبتني فوالله لأشترينَّ أجود بعير بمكة، ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني، فقالت: يا أبا صفوان أوقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال لا وما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلاً إلا عقل بعيره ولم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر. ا هـ. من البداية لابن كثير.

وقال يونس عن ابن إسحاق: خرجت قريش بالصعب وبالذلول في تسعمائة وخمسين مقاتلاً يقودون مائتي فرس، ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين، وذكر المطعمون لهم يوماً يوماً، قال: إن أول من نحر لهم أبو جهل حين خرجوا من مكة نحر عشراً، ثم نحر أمية بن خلف تسعاً بعسفان ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشراً، وبعد قديد مالوا المياه نحو البحر ظلوا بها، ونحر لهم شيبة بن ربيعة تسعاً، ثم أضحوا بالجحفة

فنحر لهم عتبة بن ربيعة عشراً ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشراً، ونحر لهم العباس عشراً، ونحر لهم على ماء بدر أبو البختري عشراً ثم أكلوا من أزوادهم. ا هـ. بنقل ابن كثير. هذا ما كان عن خروج قريش تحادّ الله ورسوله بخيلائها. أما خروج رسول الله ﷺ وأصحابه فقد قدمناه بنقل عن حماد على الغزوات المسمى بروض النهاة.

وأقبلت قريش بخيلائها حتى نزلوا الجحفة فرأى جُهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبدمناف رؤيا فقصها عليهم: إني رأيت فيما يرى النائم رجلاً قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان وعد رجالاً ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش، قال: ثم رأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية هذا العسكر إلا أصابه نضخ من دمه، فقال أبو جهل: وهذا نبي آخر بني المطلب، ستعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا.

أما أبو سفيان فإنه لما رأى أن الله نجى عيره، أرسل لقريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم عليه ثلاثاً ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمع العرب بمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً، فامضوا.

قال ابن كثير يعزوه لابن إسحاق: قال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة، قال وهو في الجحفة: يا بني زهرة قد نجى الله لكم أموالكم وخلَّص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل، إنما نفرتم لتمنعوه وما له، فاجعلوا بي جبنها وارجعوا، فرجعوا وأطاعوه وهكذا لم يشهد بدراً زهري واحد ولا عدوي من كفار قريش، أما بنو زهرة فرجعوا من الجحفة كما علمت، وأما بنو عدي فلم يخرجوا من مكة أصلاً.

قال ابن كثير: وكان بين طالب بن أبي طالب وبعض قريش محاورة،

فقالوا: يا بني هاشم، وإن خرجتم إنا لنعلم أن هواكم لمع محمد، فرجع مع من رجع وأنشد:

لا هـمَّ أمـا يـغـزون طـالـب في عـصـبـة مـخـالـفٌ مـحـارب
في مقنب من هذه المقانب فليكن المسلوب غير السالب
وليكن المغلوب غير الغالب

قلت: والشائع عند أهل السيرة أن طالباً هذا لما علم أن محمداً ﷺ هو الهدف من غزاة قريش عطف جواده عنهم ولم يوقف له على خبر بعد ذلك، والله تعالى أعلم.

وفي رسالة أبي سفيان إلى النفير بالرجوع قال الشيخ أحمد البدوي في مغازيه:

وعِنْدَمَا أمِنَ صَخْرٌ أرْسَلاَ إلى النَّفير أن يؤوبَ قَفَلاَ
ورَدَّ الأَخْنَسُ المسوَّدُ على حِلْف بَني زهرة فازْدَادَ عُلاَ
وابنُ هِشَام قال لا أوْ يردَا بَدْراً فينحَرَ ويُرْهِبَ العِدَا
فَطَاوَعُوهُ ومَضَوْا وبَاتُوا بِشرِّ مَا بَاتَ بِهِ بُغَاةُ
عن كثبٍ وأصبَحُوا بِوَحْلِ ثَبَّطَهُمْ وبَاتَ خَيْرُ مُرْسَلِ
بِخَيْرِ لَيْلَةٍ وأصبَحَ عَلَى أثبَتِ أرْضٍ لِلْخُطَا وَارْتَحَلاَ
فَنَزَلُوا أدْنَى المياه لِلْعِدَى وغَوَّرُوا جَمِيعَهُنَّ مَا عَدَى
قليبِهِمْ وَجَعَلُوا الأَوَانِي في جَدْوَلٍ فَهْيَ لَهُمْ دَوَانِ
وأَقْبَلَتْ بالخُيَلاَ والكبريا إلى المَصَارِعِ الزُّحُوفُ الأشْقِيَا
لوْ طاوعُوا عتبة أو حَكِيما أو ابْنَ وَهْبٍ مَا رَأوَا ألِيمَا
لكونهم إلى القفُول أرشَدُوا مِن بَعْد ما أشْفَوْا على ما وَرَدُوا
وقال عمرو بأنفِهِ شَمَخ ثانية سَحَرُ عتبة انتَفَخ
واسْتَنْشد ابنُ الحضرمي الثأرا فَحَشَّ حَرْباً بينهم وشَرَّا

قال: فطاوعت قريش أبا جهل ومضوا حتى نزلوا بالعدوة القصوى من

الوادي خلف العقنقل، وبطن الوادي بين بدر وبين العقنقل يعني الكثيب الذي خلفه قريش، والقليب ببدر في العدوة الدنيا ببطن يَلْيَلْ، وهو وادي بدر. قال ابن كثير: وفي هذا قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي من ناحية الساحل: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾. قال: وكان الوادي دهساً، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبَّدِ لهم الأرض ولم يمنعهم من السير، وأصاب قريشاً ما لم يقدروا معه على أن يرتحلوا. قال ابن كثير: وفي هذا نزل قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ الآية من الأنفال، فذكر أنه طهرهم ظاهراً وباطناً وأنه ثبت أقدامهم وشجع قلوبهم، وأذهب عنهم تخاذيل الشيطان وتخويفه للنفوس ووسوسته للخواطر، وهذا تثبيت الظاهر والباطن؛ وأنزل عليهم النصر من فوقهم في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي اضربوهم على الرأس ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي لئلا يستمسك السلاح بأيديهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ الآيات من الأنفال.

وذكر ابن جرير بسنده عن علي بن أبي طالب قال: أصابنا من الليل طشٌّ من المطر، يعني الليلة التي كانت صبيحتها بدر، أي: وقعته، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ قائماً يصلي، وحرض على القتال.

وروى الإمام أحمد بسنده عن علي أيضاً قال: ما كان فارس يوم بدر إلا المقداد، ولقد رأتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح.

ونقل ابن كثير عن ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء فنزل بأدنى ماء من بدر، وذكرت بنو سلمة أن الحباب بن المنذر بن

الجموح قال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: **«لا، بل الرأي والحرب والمكيدة»** قال: يا رسول فإن هذا ليس بمنزل، فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزل به ثم نغور ما وراءه من القُلُب ثم نبني عليه حوضاً نملأه ماء ثم نقاتل القوم، نشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: **«لقد أشرت بالرأي»** وذكر بعض أهل السيرة أن الحباب بن المنذر لما أشار بما أشار به على رسول الله ﷺ، نزل ملك من السماء وجبريل مع النبي ﷺ، فقال الملك: يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن الرأي ما أشار به الحباب، فنظر رسول الله إلى جبريل فقال: **«ليس كل الملائكة أعرفهم، وإنه ملك وليس بشيطان»**.

ولما أصبحت قريش أقبلت، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوَّب من العقنقل إلى الوادي قال: **«اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك، اللهم فنصرَك الذي وعدتني اللهم أحِنْهُمُ الغَدَاةَ»**.
ولما رأى ﷺ عتبة بن ربيعة في القوم وهو على جمل أحمر قال: **«إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا»**.

قال ابن كثير: وعندما تقابل الفريقان قلل الله كُلاً منهما في أعين الآخرين ليجترىء هؤلاء على هؤلاء، وهؤلاء على هؤلاء، لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وليس هذا معارضاً لما في قوله تعالى في آل عمران: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ الآية. فإن المعنى في ذلك على أصح القولين أن الفرقة الكافرة ترى المؤمنة مِثْلَيْ عدد الكافرة على الصحيح، وبذلك عند التحام الحرب والمسابقة أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا، فاستدرجهم أولاً بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلاً ثم أيد المؤمنين بنصره فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغُلبوا، ولذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ قال إسرائيل عن أبي إسحاق

عن أبي عبيد وعبدالله: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى إني لأقول لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ فقال: أراهم مائة. ذكر ذلك ابن كثير في البداية.

ولقد قالوا لعمير بن وهب الجمحي: احزرْ لنا القوم، فصوَّب بفرسه في الوادي وصعَّد ورجع فقال القوم ثلاثمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر: أللقوم كمين أو مدد؟ فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً فرجع إليهم وقال: ما رأيت شيئاً، ولكن يا معشر قريش إني رأيت البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتل رجلاً منكم ولئن أصابوا منكم بعددهم فلا خير في الحياة بعد ذلك، فَرَوْا رأيكم، فعندها بعث أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي وقال: انشد خفرتك، هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ورأيت ثأرك ومقتل أخيك عمرو، فقام عامر فاكتشف وقال: واعمراه، فحميت الحرب.

هذا، وكان حكيم بن حزام أقبل إلى عتبة بن ربيعة وقال: أبا الوليد، هل لك أن تذكر بخير في قريش ما بقيت الدنيا؟ قال: وما ذاك؟ قال: ترجع بالناس وتلتزم لقريش ما أخذ لهم بنخلة ودية حليفك ابن الحضرمي، والله ما تريدون من محمد وأصحابه غير ذلك، فقال: أنا بذلك وأنت حميل عليَّ، اذهب إلى ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - فقل له إني أمرت الناس بالرجوع والتزمت دية حليفي وما أخذ منهم يوم نخلة، فلما أخبر حكيم أبا جهل بقرار عتبة قال: لا والله لا نرجع، ثم قال: انتفخ سحر عتبة، ثم صاح في الناس: أتدرون لم يأمر عتبة الناس بالرجوع؟ لأن محمداً ابن عمه، ولأن ولده مع محمد وهو لا يريد أن يقتل ولده ولا أن يقتل ابن عمه، فغضب عتبة وقال: ستعلم يا مُصَفِّرُ الأست من الذي انتفخ سحره، وخرج بين ابنه الوليد وأخيه شيبة يريد المبارزة. وهو عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن عبدمناف وأمه هو وأم أخيه شيبة هند بنت الظرب بن وهب العامرية عامر بن لؤي، وأما حكيم فهو ابن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، وأمه فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن.

عبدالعزى، ولدته في جوف الكعبة وطرحت ثيابها التي ولدته فيها في الحطيم وكان ذلك شرع الجاهلية وتسمى تلك الثياب اللقى.

رجوع إلى خبر عتبة: وقوله لأبي جهل يا مصفرَّ الأست: قال حماد ابن الأمين في روض النهاة: لم يخترعها عتبة وليس هو بأبي عذرها، قد قيلت قبله لقابوس بن المنذر لأنه كان مُرَفَّهاً لا يغزو في الحروب فقيل له: مصفرٌ أسته، يريدون صفرة الخلوق والطيب، وقالها أيضاً قيس بن زهير لحذيفة بن بدر يوم جفر الهباءة، قال: وسادات العرب لا تستعمل الطيب إلا في الدعة وتعيبه في الحروب أشد العيب، قال السهيلي: وأحسب أن أبا جهل لما سلمت العير وأراد أن ينحر على بدر وتعزف له القينات ويشرب الخمر استعمل الطيب أو همَّ به، فلذلك قال له عتبة هذه الكلمة، ألا ترى إلى قول الشاعر يهجو بني مخزوم:

شقيت بكم وكنت لكم جليساً ... ولست جليس قعقاع بن شور
ومن جهل أبو جهل أخوكم ... غزا بدراً بمجمرة وتور

أما قول الشاعر: (ولست جليس قعقاع بن شور)، يشير به إلى أن قعقاع بن شور بن عمرو دخل يوماً على معاوية رضي الله عنه فأمر معاوية بمال وزع على من كان في مجلسه فأصاب قعقاع بن شور منه جام فيه مال ويجنبه أعرابي قد ساءه أن لم يصبه شيء من ذلك المال، فأعطاه قعقاع الجام الذي أصابه فخرج وهو يقول:

وكنت جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقى لقعقاع جليسُ
ضحوك السن إن نطقوا بخير ... وعند الشر مطراق عبوسُ

ولما تقدم عتبة وأخوه وابنه يطلبون المبارزة تقدم لهم ـ على ما أخرجه حماد ـ كلٌ من عبدالله بن رواحة وعوف ومعوِّذ ابنا الحارث بن أبي رافع وهما ابنا عفراء، فقال عتبة: من أنتم؟ قالوا رهط من الأنصار، قال: لا حاجة لنا بكم. وقيل: قال: أكفاء كرام ولكننا نريد قومنا. قال حماد: وقيل كره رسول الله ﷺ أن تكون في غير بني عمه لأنه أولُ قتال

بين المسلمين والمشركين ورسول الله ﷺ شاهد معهم فناداهم أن ارجعوا إلى مصافّكم، ثم نادى مناديهم: يا محمد، أَخْرِجْ إلينا أكفاءنا، فقال ﷺ: «قُمْ يا عبيدة، قُمْ يا حمزة، قُمْ يا علي»، فلما دنوا منهم قالوا: من أنتم؟ فعرف كل واحد منهم بنفسه، فأما حمزة وعلي فلم يمهلا صاحبيهما، وأما عبيدة فقد اختلف مع عتبة بضربتين أثخن كل منهما صاحبه، فكَرّ كلٌّ من حمزة وعلي على عتبة فأجهزا عليه وحملا صاحبهما إلى النبي ﷺ، فلما أتاه قال: يا رسول الله، ليت أبا طالب حي حتى يرى مصداق قوله حيث يقول:

كذبتم وأيم الله نبزي محمداً ... ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع دونه ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فحمل رضي الله عنه إلى الصفراء فمات فدفن بحمراء الأسد وهو ابن ثلاث وستين سنة، وهو القائل يومئذ:

فإن تقطعوا رجلي فإنّني مُسْلِمٌ ... أرجو بها عيشاً من الله عاليا

ولعبيدة أخوان شقيقان: الطفيل والحصين رضي الله عنهما، شهدا المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وماتا في خلافة عثمان في سنة واحدة.

وكان رسول الله ﷺ يصف أصحابه للقتال فامتثل، أي تقدم الصف قليلاً سواد بن غزية بن وهب البلوي حليف بني عدي بن النجار فطعنه رسول الله ﷺ برمحٍ في يده، طعنه في بطنه وقال: «استوِ يا سواد»، قال: أوجعتني يا رسول الله وقد بعثك الله بالحق والعدل فأَقِدْني، فكشف له ﷺ عن بطنه الشريفة وقال: «استقِدْ مِنّي» فاعتنقه وقبل بطنه، قال ﷺ: «ما حملك على هذا؟» فقال: يا رسول حضر ما ترى من أمر الله، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدك جلدي، فدعا له رسول الله ﷺ بخير.

قال حماد: كان سواد هذا عامل رسول الله ﷺ على خيبر وأتاه بتمر

جنيب قد أخذ الصاع منه بصاعين [[1]والمعروف أن رسول الله ﷺ رده لأنه ربا] قال: وشهد سواد هذا، كل المشاهد رضي الله عنه.

قال العلامة الشيخ أحمد البدوي في مغازيه:

فقام للوليد نجل عتبة   حيدرة وحمزة لشيبة
نجل ربيعة وعتبة أخوه   قام له عبيدة إذ رشحوه
وقطعت قدمه واحتملوه   وهو أسن الجيش فيما نقلوه
وهو إذا أخذت في نعم النسب   عبيدة بن الحارث بن المطلب
وشهد المشهد هذا أخواه   أعني الطفيل والحصين مشبهاه
وابنُ غُزَيَّة سَوَادُ اسْتَنْتَلا   مِن صَفِّه وَرَامَ أن يَعْتَدِلا
نبينا ومسَّهُ في كشحه   وقال إذْ آلم مَسُّ قِدْحِهِ
أوجعتني نخساً فأعطى القود   وَجدٌ في أنْ كان باشر الجَسَدْ
وخفق النبيُّ حينَ المعركةْ   وفي عرشه رَأى الملائكة
عَلى ثَنَايَا جَبْرَئيل النَّقْعُ   ولم يقَاتل في سِوَاها الجمْعُ
وقيل لم تقاتل الملائكة   إذْ ريشةٌ لهم لقوم مُهْلِكَه
لكنَّهُمْ لِعَدَدٍ ومَدَدِ   وطَبْلُهُم هُنَاك طُولَ الأبَدِ

وجاء: أن النبي ﷺ لما سوّى صفوفه رجع إلى عريشه وليس معه فيه إلا أبو بكر رضي الله عنه، وجعل يناشد ربه إنجاز ما وعده من النصر وهو يقول: **«اللهم إن تهلك هذه العصابة فلا تعبد أبداً»**، وأبو بكر رضي الله عنه يقول: يا رسول الله صلى الله عليك وسلم، خَلِّ بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك، فخفق رسول الله ﷺ خفقة ثم انتبه فقال: **«أبشر أبا بكر، فقد أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع»**، وجاءت ريح لم ير مثلها شدة فذهبت وجاءت ريح أخرى ثم ذهبت فجاءت ريح أخرى، فكانت الأولى جبريل في ألف من الملائكة مع

---

(١) ما بين القوسين ليس عبارة حماد.

رسول الله ﷺ والثانية ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميمنة رسول الله ﷺ، والثالثة ألف من الملائكة عليها إسرافيل عن ميسرة رسول الله ﷺ، وأنزل الله تعالى قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الآية.

وكان أبو جهل يومئذ يستفتح بقول: اللهم أقطعُنا للرحم وآتانا بما لا يعلم فأَحِنه الغداةَ، فكان سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ الآية ولقد أخذ رسول الله ﷺ حفنة من تراب فرمى بها قريشاً وقال: «**شاهت الوجوه**» وقال لأصحابه: «**شدوا**» فكانت الهزيمة والحمد لله، فكانت تلك الحصباء عظيماً شأنها لم تترك من المشركين أحداً إلا ملأت عينيه وجعل المسلمون يقتلون ويأسرون وانهزموا كل رجل منهم يعالج التراب ينزعه من عينيه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ الآية، أي: عم التراب جميعهم وما في يدك إلا ما يبلغ بعضهم، فالله هو الذي رمى سائرهم. وكان الرجل يومئذ يرى الملك في صورة رجل يعرفه يثبته ويقول: ما هم بشيء، وذلك قوله تعالى: ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وفي مثل هذا يقول حسان رضي الله عنه:

ميكال معك وجبريل كلاهما مَدَدٌ لنصرك من عزيز قادر

وعن ابن عباس أن عمائم الملائكة يوم بدر كانت بيضاً قد أرسلوها في أكتافهم، ويوم حنين عمائم حمر، وكان شعارهم يوم بدر: أَحَدٌ أَحَدْ، اهـ. من حماد بتصرف. ولقد لاحظ رسول الله ﷺ يومئذ في وجه سعد بن معاذ، وكان على حرس رسول الله ﷺ على باب العريش الذي ابتناه له، لاحظ رسول الله كراهة أسر الأعداء، فقال ـ بأبي هو وأمي ـ «**لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم؟**» قال: أجل والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الإثخان في القتل أحبَّ إليَّ من استبقاء الرّجال.

وكان عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب، أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن

عبدالله بن عمر بن مخزوم. كان رضي الله عنه كره استحياء الأسرى كما كرهه سعد بن معاذ، لذلك لما قال رسول الله ﷺ: «**ماذا ترون في الأسرى؟**» أو كما قال ﷺ، قال عمر: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك، اضرب أعناقهم، وقال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله إنك بواد كثير الحطب، أضرمه ناراً ثم ألقهم فيه، قال العباس: قَطَعَ الله رحمك، قال أبو بكر: يا رسول الله، عترتك وأصلك وقومك، تجاوَزْ عنهم يستنقذهم الله بك من النار. ثم دخل رسول الله ﷺ، فمن قائل يقول: القولُ ما قاله عمر، ومن قائل يقول: القولُ ما قاله أبو بكر، فخرج رسول الله ﷺ وقال: «**ما قولكم في هذين الرجلين؟**» إن مثلهم كمثل إخوة لكم قبلكم، قال نوح: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ الآية. وقال موسى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ الآية، وقال عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ الآية، وقال إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ الآية، وإن الله يشد قلوب رجال حتى يكون مثل الحجر ويلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن، وإن بكم عيلة فلا ينقلب منهم أحد إلا بفداء أو ضربة عنق. قال عبدالله بن مسعود: فقلت: يا رسول الله إلاّ سهل بن بيضاء، وقد كنت سمعته يذكر الإسلام، فسكت فجعلت أنظر إلى السماء متى تقع الحجارة علي، قلت: أُقدِّمُ القول بين يدي رسول الله ﷺ، وقال النبي ﷺ: «**إلاّ سهل بن بيضاء**» ففرحت بذلك. وإلى كراهة عمر وسعد بن معاذ للأسر أشار الشيخ أحمد البدوي بقوله:

وابن معاذ مبتنى العريش	وحارس النبيّ من قريش
يكره إبقاء الأسارى ويرى	إهلاكهم أول قَتْل أجدرا
وهكذا عمر كان وهي من	موافقاته التي بَعْدُ تَعِنْ

ثم إن رسول الله ﷺ نهى عن قتل نفر من قريش، ذُكِرَ منهم أبو البختري العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبدالعزى وأمه أُروى بنت الحارث بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بنت خال آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ، وإنما نهى ﷺ عن قتله لأنه لم يؤذه قط بمكة بل كان يذبُّ عنه

وكان كثير الإكرام لبني هاشم لا سيما أيامهم في الشعب يبعث إليهم بالطعام الكثير، ولامه أبو جهل على فعله ذلك فقال له أبو سفيان: دعوه، إنه كريم وصل رحماً، وكان من ناقضي الصحيفة الآثمة التي كتبها بغيض بن عامر بن هاشم العبدري بإملاء من قريش فُشلَّتْ يده، لهذا نهى رسول الله ﷺ عنه ولكن الكتاب سبق بشقاوته نسأل الله السلامة والعافية من ذلك لنا ولجميع المؤمنين، فقد وجده مجذر بن ذياد بن عمرو بن مرة البلوي حليف بني عمرو بن عوف الخزرجي القواقلة، فقال: يا أبا البختري، قد نهانا رسول الله ﷺ إن أنت ألقيت بيدك، قال: وزميلي؟ قال: ما نهانا عن قتله، قال والله لا تتحدث نساء مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة، ثم حمل على مجذر بالسيف وهو يرتجز:

لا يسلم ابن حرة زميله — حتى يموت أو يرى سبيله

فقاتله المجذر وهو يقول:

بَشِّرْ بيُتْم إن لقيتَ البختريُّ — أو بشِّرَنْ بمثلها مني بَنِيّ
أنا الذي أزعم أصلي من بلى — أضرب بالحربة حتى تنثني

فقتله مجذر ثم أتى رسول الله ﷺ وقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت أن يستأسر فآتيك به فأبى إلا أن يقاتلني.

عارضه: كان مجذر بن زياد رضي الله عنه قتل سويد بن الصامت في الجاهلية يوم بعاث بالعين المهملة أو بالمعجمة، فلما دارت الحرب يوم أحد بين المسلمين والمشركين عدل الحارث بن سويد بن الصامت إلى مجذر فقتله غيلة بأبيه ولحق بمكة ثم جاء تائباً، وكان جبريل أخبر رسول الله ﷺ بالحادث، فلما رجع الحارث بن سويد قدم النبي ﷺ على أهل قباء في وقت ما كان يأتيهم فيه فتلقاه رجال فيهم الحارث بن سويد وعليه ثوب مورس فأمر ﷺ عويم بن ساعدة بضرب عنقه ففعل، ورجع رسول الله ﷺ ولم ينزل عندهم.

قال الشيخ أحمد البدوي في المغازي يشير إلى قضية نهيه ﷺ عن قتل بعض الناس وأبي البختري بالذات:

عن قتل آله نهى إذ خرجوا ... وفي خروجهم عليهم حرجُ
وعن أبي البختري إذ لم يؤذه ... وصكُّ نبذهم سعى في نبذه
وجاءه المجذر بن زياد ... فقال عنك قد نهى خير العباد
قال والزميل قال المصطفى ... لم ينه عن قتل الزميل الحنفا
فقال والنخوة تأبى والإبا ... عن تركه جبناً وحكّم الظبا
لا يسلم ابن حرة زميله ... حتى يموت أو يرى سبيله

وممن نهى ﷺ عن قتله: عمه العباس رضي الله عنه، فقال أبو حذيفة قيس بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن عبدمناف، أمه أم صفوان بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانية. قال أبو حذيفة رضي الله عنه: أنقتل آباءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس؟ والله لئن لقيته لألجمنه السيف، فبلغت النبي ﷺ مقالته فقال: «**يا أبا حفص**» يعني عمر بن الخطاب «**أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف؟**» قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنقه فوالله لقد نافق، وكان أبو حذيفة رضي الله عنه يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة إلا أن يكفرها الله عني بالشهادة، فاستشهد رضي الله عنه يوم اليمامة هو ومولاه سالم مولى أبي حذيفة في وقت واحد. وعن عمر رضي الله عنه أن ذلك اليوم هو أول ما كناه رسول الله ﷺ أبا حفص، والحفص ولد الأسد، يكنّي به ﷺ عن شدة عمر وبأسه، والله أعلم.

وكان أبو حذيفة وقت جر الناس جيف النتنى أموات قريش ليُرموا في القليب تمعَّر وجهه لما رأى والده يجر بلحيته، فقال ﷺ ما معناه النهي عما يؤذي أبا حذيفة، فقال رضي الله عنه: والله ما نافقت ولا أحببت بقاء كافر، ولكن كنت أعرف في أبي من العقل ويُمْنِ الرأي ما أضمرت به في قلبي أنه لا يموت كافراً.

وأشار البدوي إلى هفوة أبي حذيفة واعتذاره بقوله:

وإذ نهى عن قتل عمه هفا ... أبو حذيفة وقال سخفا
وكَفَّرَتْ هفوته الشهادهْ ... يوم اليمامة لها إرادهْ

وإذ رآه المصطفى تضجرا من جر عتبة أبيه اعتذرا
بأنه كان يرى أن أباه يحجزه عن ميتة الشر حجاه



أبو جهل كيف قتل؟ عليه لعنة الله

لقد كانت الأنصار لا تعرف قريشاً. قال معاذ بن عمرو بن الجموح بن حرام بن كعب بن غنم بن سلِمة بكسر اللام، وليس في العرب: سلِمة بكسر اللام غيره. قال معاذ: سمعت الناس يقولون أبو الحكم لا يخلص إليه، وقد جعلوه في مثل الحرجة، فلما سمعت ذلك جعلته من شأني فلما أمكنني الله منه ضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقة، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلاَّ بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى. قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فعلقت بجلدة من جنبي وأجهضني القتال عليها، فلقد قاتلت عامة يومي ذلك وأنا أسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها، فجاء يحمل يده إلى رسول الله ﷺ فبصق عليها رسول الله ﷺ فلصقت بإذن الله. قلت: ولا يستغرب هذا، فقد وقع كثير من مثله، كعين أبي قتادة ووشاح خبيب بن يساف والسهم الذي أصاب المنحور، وذلك من دلائل نبوته ﷺ. ولقد عاش معاذ بن عمرو بن الجموح حتى مات في خلافة عثمان رضي الله عنهما. قال حماد: وحين أطن معاذ ساق أبي جهل قال: الفحل يحمي شوله، وهو معقول. وأنشد يرتجز:

ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث السن
لمثل هذا ولدتني أمي

قال حماد: وحدث صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف عن جده أنه قال: إني لواقف يوم بدر في الصف نظرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بين غلامين حديثة أسنانهما تمنيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزني

أحدهما وقال: يا عم،هل تعرف أبا جهل بن هشام؟ قال قلت: نعم، وما حاجتك به يا ابن أخي؟ قال: بلغني أنه يسب رسول الله ﷺ، فوالذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. قال: فغمزني الآخر فقال مثلها، فعجبت لذلك. قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت لهما: ألا تريان؟ هذا صاحبكما، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: **«أيكما قتله؟»** فقال كل منهما: أنا قتلتُه، قال: **«هل مسحتما سيفيكما؟»** قالا: لا، فنظر فقال: **«كلاكما قتله»** وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء.

قلت: هكذا ذكر حماد وغيره، ولكن يشكل، لأن الناس لم تتنازع في الأسلاب إلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وابنا عفراء اللذان قتلا عدو الله من الشهداء، وهما معوِّذ وعوف رضي الله عنهما فكيف يتنازعان في قتل عدو الله وقد استشهدا فيمن استشهد وفازا برضى الله؟ ولعل اللذين تنازعا سلبه هما معاذ بن عمرو بن الجموح وعبدالله بن مسعود، فأعطى سلبه لمعاذ لأنه هو الذي أثخنه وأما ابن مسعود فقد ذافَّه لما أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى، قال: فعرفته فوجدته بآخر رمق فوضعت رجلي على عنقه، قال: وقد خبث بي مرة في مكة فآذاني ولكزني، ثم قلت له: لقد أخزاك الله يا عدو الله، قال: وبم أخزاني؟ وهل أعمد من رجل قتلتموه؟ أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قال: قلت: لله ولرسوله، قال: ثم احتززت رأسه وأتيت به النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، هذا رأس عدو الله أبي جهل، فقال ﷺ: **«آللَّهِ الذي لا إله غيره؟»** وكانت يمين رسول الله ﷺ، فقلت: نعم والله الذي لا إله غيره، ثم ألقيت رأسه بين يديه فحمد الله. ثم أن رسول الله ﷺ لما وضعت الحرب أوزارها أقام على بدر ثلاثاً وأمر بتسعة وعشرين من صناديد قريش أُلقُوا في طوى من أطواء بدر، ثم أمر براحلته فرُحِّلَت، ثم قلنا: هو منطلق لحاجته، فانطلق حتى وقف على شفا الركيِّ فجعل يقول: **«يا عتبة بن ربيعة، ويا أبا جهل بن هشام»** وفلان بن فلان **«هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقًّا؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقًّا؟»** فقال عمر: يا رسول الله، كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ فقال: **«ما أنتم بأسمع**

منهم لما أقول غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً». وأنكرت عائشة أن يكون رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: لقد سمعوا ما قلت لهم. قال السهيلي: وعائشة لم تحضر وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه عليه الصلاة والسلام. قال حماد: وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين، إما بآذان رؤوسهم إذا قلنا إن الروح يعود إلى الجسد أو إلى بعضه عند المسألة، وهو قول الأكثرين من أهل السنة، وإما بآذان الروح أو القلب على مذهب من يقول بتوجه السؤال إلى الروح من غير رجوع منه إلى الجسد أو إلى بعضه. وقد روي أن عائشة احتجت بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ الآية، أي أن الله تعالى هو يهدي ويوفق ويدخل الموعظة إلى آذان القلوب لا أنت، وجعل الكفار أمواتاً وصمًّا على سبيل التشبيه بالأموات وبالصم، فالله هو الذي يسمع على الحقيقة إذا شاء لا نبيه. فإذاً لا تَعَلُّقَ بالآية لوجهين، أحدهما: أنها نزلت في دعاء الكفار إلى الإيمان، الثاني: أنه إنما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم، وصدق في أنه لا يسمعهم إذا شاء إلا هو ويفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير. اهـ. من حماد على الغزوات بتصرف قليل.



كيف قتل أمية بن خلف؟

أخرج ابن إسحاق بسنده عن عبدالرحمن بن عوف قال: كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة وكان اسمي عبد عمرو، فتسميت حين أسلمت عبدالرحمن، فكان يلقاني ونحن بمكة فيقول يا عبدعمرو أرغبت عن اسم سماك به أبوك؟ قال: فأقول نعم، قال: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف، أفأنت عبد الإله؟ قلت: نعم، قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبدالإله، فأجيبه فأتحدث معه، حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه عليّ وهو آخذ بيده، قال: ومعي أدراع لي

قد استلبتها فأنا أحملها، فلما رآني قال: يا عبدعمرو، فلم أجبه، فقال: يا عبدالإلّه، قلت: نعم، قال: هل لك في اللبن هل لك فيَّ؟ فأنا خير لك من هذه الأدراع، قلت: نعم هاالله إذاً، قال: فطرحت الأدراع وأخذت بيده وبيد ابنه عليّ وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة في اللبن؟ ثم خرجت أمشي بهما؛ قال لي أمية بن خلف، وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: يا عبدالإلّه، من الرجل منكم المعلن بريش نعامة في صدره؟ قال قلت: ذاك حمزة بن عبدالمطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل، قال عبدالرحمن: والله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي، وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على الإسلام، فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوتُ إن نجا. قال: قلت: أيْ بلالُ، أبأسيري؟ قال: لا نجوت إن نجا، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله أمية بن خلف رأس الكفر لا نجوت اليوم إن نجا، فأحاطونا حتى جعلونا في مثل المسكة، وأنا أذب عنه فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط، قال قلت: انج بنفسك لا نجاء بك، فوالله ما أغني عنك شيئاً، قال: فهبّروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما، قال: فكان عبدالرحمن يقول: يرحم الله بلالاً فجعني بأدراعي وبأسيري.
ا هـ. البداية بتصرف.

وفي قتل أمية بن خلف يقول بلال رضي الله عنه:

ولما التقينا لم نكذب بحملة	عليهم بأسياف لنا كالعقائق
ومطرورة حمر الظبات كأنها	إذا رفعت أشطان ذات الأبارق
بني جمح قد حلّ قَعْصٌ بشيخكم	على ماء بدرٍ رأس كل منافق
هَجمنا عليه الموت واستجرت له	مصاليت للأنصار غير رواهق
هوى حين لاقانا وفوق جمعه	على وجهه في النار من رأس حالق

ا.هـ.



والخبيث
عقبة بن أبي معيط كيف قتل؟

كان عقبة بن أبي معيط، فيما ذكر محمد بن عمر الواقدي، أرسل إلى رسول الله ﷺ يقول:

يا راكب الناقة القصواءَ هاجرنا عما قليل تراني راكب الفرس
أعِلُّ رمحي فيكم ثم أنهِلُه والسيف يأخذ فيكم كل ملتبس

قال الواقدي: أنشدنيها ابن أبي الزناد، فقال النبي ﷺ، وبلغه شعره: «اللهم أكِبَّهُ لمنخره واصرعه»، قال فجمح به فرسه يوم بدر فأخذه عبدالله بن سلمة العجلاني، قال الواقدي: فلما كان رسول الله ﷺ بعرق الظبية أمر عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أن يضرب عنق عقبة بن أبي معيط، فجعل عقبة يقول: يا ويلي على ما أُقتل، يا معشر قريش من بين مَنْ ههنا، فقال رسول الله ﷺ: **«لعداوتك لله ولرسوله»**، قال: يا محمد مَنُّك أفضل فاجعلني كرجل من قومي إن قتلتهم قتلتني وإن مَنَنْت عليهم مَنَنْت عليَّ، وإن أُخذ منهم الفداء كنتُ كأحدهم، يا محمد مَنْ للصبية؟ قال رسول الله ﷺ **«النار، قدمه يا عاصم فاضرب عنقه»** فضرب عاصم عنقه، فقال رسول الله ﷺ: **«بئس الرجل كنتَ، والله ما علمت كافراً بالله وبرسوله وبكتابه، مؤذياً لنبيه فأحمد الله الذي هو قتلك وأقر عيني منك»**.

وعدو الله ورسوله
النَّضر بن الحارث بن كلدة كيف قتل؟

كان المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة هو الذي أسر النضر بن الحارث، قال الواقدي: فلما كان رسول الله ﷺ بالأُثَيْل، عرض عليه

الأسرى فنظر إلى النضر بن الحارث فأبدَّه البصر فقال لرجل إلى جنبه: محمد والله قاتلي، لقد نظر إليَّ بعينين فيهما الموت، فقال الذي إلى جنبه: والله ما هذا منك إلاَّ رعب منك، فقال النضر لمصعب بن عمير: يا مصعب، أنت أقرب مَنْ هاهنا بي رحماً، كلم صاحبك أن يجعلني كرجل من أصحابي، هو والله قاتلي إن لم تفعل، قال مصعب: إنك تقول في كتاب الله كذا وكذا وتقول في نبيِّ الله كذا وكذا، قال: يا مصعب فليجعلني كأحد أصحابي إنْ قُتِلوا قُتلتُ، وإنْ مَنَّ عليهم منَّ عليَّ قال مصعب: إنك كنت تعذب أصحابه، قال: أما والله لو أسرتك قريش ما قُتلتَ أبداً وأنا حي، قال مصعب: والله إني لأراك صادقاً ولكني لست مثلك، قطع الإسلام العهود، فقال المقداد: أسيري، قال النبي ﷺ: «**اضرب عنقه، اللهم أغن المقداد من فضلك**» فقتله علي بن أبي طالب صبراً بالسيف بالأُثَيْل والحمد لله ا هـ. الواقدي بتصرف وهو الذي رثته ابنته على التحقيق، قتيلة بنت النضر ـ وقيل أخته ـ بقولها:

يا راكباً إن الأُثيل مظنة	من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ به ميتاً بأن تحية	ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني إليه وعبرة مسفوحة	جادت بوابلها وأخرى تخنق
هل يسمعن النضر إن ناديته	أم كيف يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه	لله أرحام هناك تشقق
قسراً يقاد إلى المنية موثقاً	رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد يا خير ضِنْءِ كريمة	في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو منَنْتَ وربما	منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من أسرتَ قرابة	وأحقهم إن كان عُتِقًا يَعْتِقُ

هذه رواية حماد بن الأمين في روضه، وزاد بعضهم:

أو كنت قابِلَ فديةٍ فلنأتين	بأعز ما يحلو لديك ويعشق

ا هـ.

وزعم ابن الونان في حديقته أن رسول الله ﷺ عندما بلغه شعرها بكى شفقة ورد لها سلبه، قال:

وعندما سمع من قتيلة رَثْيَ قتيلِها الذي لم يعتق
رد لها سلبه وقد بكى شفقة بدمعه المنطلق

قلت: ولم أقف على أنه رد لها سلبه في غير قصيدة ابن الونان هذه، فالله تعالى أعلم.



وكيف مات طعيمة بن عدي؟

نقل الواقدي، قال علي رضي الله عنه: إني يومئذ حين ارتفع النهار ونحن والمشركون قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم، خرجت في أثر رجل منهم، فإذا رجل من المشركين على كثيب رمل وسعد بن خيثمة يقتتلان حتى قتل المشرك سعد بن خيثمة رضي الله عنه، والمشرك مقنع في الحديد وكان فارساً فاقتحم عن فرسه، فعرفني وهو معلم ولا أعرفه، فناداني: هلم يا ابن أبي طالب للمبارزة، قال فعطفت إليه فانحط إليَّ مقبلاً، وكنت رجلاً قصيراً، فانحططت راجعاً لكي ينزل إليَّ فكرهت أن يعلوني بالسيف، فقال: يا ابن أبي طالب فررتَ؟ فقلت: قريباً مفر ابن الشتراء! قال: فلما استقرت قدماي وثبت أقبل فلما دنا مني ضربني فاتقيت بالدقة فوقع سيفه فلجِجَ - يعني لزم - فأضربه على عاتقه وكان دارعاً فارتعش، ولقد فضّ سيفي درعه، فظننت أن سيفي سيقتله، وإذا بريق سيف من ورائي، فطأطأت رأسي ويقع السيف فأطن قِحْفَ رأسه بالبيضة، وهو يقول خذها وأنا ابن عبدالمطلب، فالتفتُّ من ورائي فإذا حمزة بن عبدالمطلب، انتهى الواقدي.



ونوفل بن خويلد؟

وقد قال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفني شر نوفل بن خويلد» كيف كفاه الله شره؟

قال الواقدي في مغازيه: أقبل نوفل يومئذ وهو مرعوب، قد رأى قتل أصحابه وقد كان في أول ما التقوا مع المسلمين يصيح بصوت له جزل رافعاً صوته: يا معشر قريش، إن هذا اليوم يوم العلاء والرفعة، فلما رأى قريشاً قد انكسرت، جعل يصيح بالأنصار: ما حاجتكم إلى دمائنا؟ أما ترون ما تقتلون؟ أما لكم في اللين من حاجة؟ فأسره جبار بن صخر وساقه أمامه فجعل نوفل يقول لجبار ورأى عليًا مقبلاً نحوه، قال: يا أخا الأنصار مَن هذا؟ واللات والعُزَّى إنه ليريدني، قال: هذا علي بن أبي طالب، قال: ما رأيت كاليوم رجلاً أسرع في قومه منه، فيصمد له علي فيضربه فنشب سيف علي في جحفته ساعة ثم نزعه فيضرب ساقيه، وكانت درعه مشمرة، فقطعهما ثم أجهز عليه فقتله، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ له علم بنوفل بن خويلد؟» فقال عليّ: أنا قتلته، فكبَّر رسول الله ﷺ وقال: «الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه».



وعبيدة بن سعيد بن العاص
أبو ذات الكرش؟

لقد قتله الزبير بن العوام، قال: لما كان يومئذ لقيت عبيدة بن سعيد بن العاص على فرس عليه لأمة كاملة لا يرى منه إلا عيناه، وهو يقول أنا أبو ذات الكرش، قال: وفي يدي عنزة فأطعن بها عينه فوقع، وأطأ برجلي على خده حتى أخرجت العنزة من حدقته وأخرجت حدقته. قال: وأخذ رسول الله ﷺ العنزة فكانت تحمل بين يديه، وأبو بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم.



وأبو يزيد سهيل بن عمرو رضي الله عنه كيف أسر؟

لقد أسره مالك بن الدخشم وكان معه، فلما كان بشنوكة: بين السقيا وملل قال لمالك بن الدخشم: خلِّ سبيلي أقضِ حاجتي، فتركه يقضيها ووقف قريباً منه، فقال إني أحتشم فاستأخِرْ عني، فاستأخر عنه، فمضى سهيل لسبيله فلما أبطأ سهيل على مالك أقبل فصاح في الناس، فخرجوا في طلبه وخرج عليه الصلاة والسلام في طلبه وقال: «من وجده فليقتله»، فوجده رسول الله ﷺ قد دفن نفسه بين سمرات، فأمر به فربطت يداه إلى عنقه ثم قرنه إلى راحلته حتى وصل المدينة على تلك الحالة، ولقد نزل ﷺ ببيت سودة بنت زمعة أم المؤمنين وكانت عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ، فأخبرت أن رسول الله ﷺ نزل في بيتها فلما رجعت إلى بيتها ورأت سهيلاً بتلك الحالة لم تتمالك إن قالت: أبا يزيد ألقيتم بأيديكم؟ هلا متم كراماً؟ وما انتهت إلا ورسول الله ﷺ يقول: «**يا سودة أعلى الله ورسوله تحرضين؟**» فقالت: أستغفر الله، واللّهِ ما هو إلا أن رأيت أبا يزيد بهذه الحالة فكان ذلك من غير شعور مني يا رسول الله.



وعمير بن وهب كيف أسلم؟

عمير بن وهب بن خلف بن حذافة بن جمح كان يدعى في الجاهلية شيطان العرب، هو الذي حزر أصحاب رسول الله ﷺ فقال: القوم ثلاثمائة، يزيدون قليلاً أو ينقضون قليلاً، ثم صوّب في الوادي وصعَّد ينظر: هل للقوم كمين؟ ثم رجع فقال: ما رأيت شيئاً، القوم لا كمين لهم ولا مدد ولكنني رأيت نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، رأيت قوماً خرساً يتلمظون تلمظ الأفاعي لا منعة لهم إلا سيوفهم، واللّهِ ما أرى أن يُقتل منهم

رجل قبل أن يقتل منا رجلاً، ولئن أصابوا منا بقدر عددهم فلا خير في الحياة بعد ذلك. ولذلك قال البدوي في مغازيه:

لو طاوعوا عتبة أو حكيماً   أو ابن وهب ما رأوا أليما
لكونهم إلى القفول أرشدوا   من بعد ما أشفوا على ما وردوا

عمير هذا أسر ولده وهب يوم بدر، فجلس يوماً إلى جنب ابن عمه صفوان بن أمية في الحجر، فقال صفوان: قبح الله العيش بعد قتلى بدر، فقال عمير بن وهب: أجل، واللّهِ ما في العيش بعدهم خير، ولولا دين عليَّ لا أجد له قضاء، وعيال لا أدع لهم شيئاً، لرحلت إلى محمد حتى أقتله إن ملأت عيني منه، فإني بلغني أنه يطوف في الأسواق، فإن لي عندهم علة، أقول: قدمت على ابني هذا الأسير، ففرح صفوان لقوله ذلك وقال: يا أبا أمية، وهل تراك فاعلاً؟ قال: إي ورب هذه البنية، قال صفوان: فعليَّ دينُك وعيالك أسوة عيالي فأنت تعلم أنه ليس بمكة رجل أشد توسعاً على عياله مني ودينك عليَّ وعيالك مع عيالي، وحمله صفوان على بعير وجهزه، وأجرى على عياله مثل ما يجري على عيال نفسه، وشحذ عمير سيفه وسمَّه وخرج حتى أتى المدينة فأناخ بعيره بباب المسجد وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في جماعة يتحدثون بناحية من المسجد، فقال: يا رسول الله هذا عدو الله عمير بن وهب الذي أحزرنا للقوم يوم بدر أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد، فأتى رسول الله ﷺ وعمر آخذ بمقبض سيفه المتوشح به وهو آخذ بتلابيبه وأفراد من أصحاب رسول الله ﷺ كل منهم آخذ منه بعضاً، فقال رسول الله ﷺ: **«أرسلوه»** فارسلوه فقال: **«ادنه»** فلما وصل بين يدي رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: **«ماذا جاء بك؟»** قال: جئت في أسير عندكم، قال: اصدُقْ، ماذا جاء بك؟ قال: هو ذاك يا محمد، قال رسول الله ﷺ: **«ما بال السيف في عنقك؟»** قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً يوم بدر؟ قال رسول الله ﷺ: **«أين ما شرطت لصفوان في الحجر وشرط لك؟»** قال: وماذا شرطت له وشرط لي؟ فقص عليه رسول الله ﷺ ما دار بينه وبين

صفوان حرفاً بحرف، فقال عمير بن وهب: صدقتَ، كان ما ذكرت ووالله ما علم به غيري وغيره، ووالله ما أخبرك به إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، الحمد لله الذي سيرني هذا المسار. وقال حماد أنه لم يرجع إلى مكة إلا مع رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، وقيل غير ذلك، ففرح المسلمون بإسلامه وقال رسول الله ﷺ: **«خذوا أخاكم علموه القرآن»**.



وأبو العاص بن الربيع كان بين الأسرى

قال الإمام أحمد البدوي في مغازيه:

وابن الربيع صهر هادي الملّةِ ... إذ في فداه زينب أرسلتِ

بعقدها التي به أهدتها ... له خديجةٌ وزفَّفتها

سرحه بعقدها وعهدا ... إليه أن يردها له غدا

فردَّها وبعد ذاك تجرا ... لنفسه وساكني أُمِّ القرى

فانتهب الأصحاب عير القُلَّبِ ... فجاء واستجار بابنة النبي

فصرخت ولم تجمجم البتول ... بأن أجارته وأمضاه الرسول

فَرُدَّ ما لهُ عليه أجمعُ ... تلك الصهارة بها يستشفعِ

أوصى به من حيث الإكرامُ ابنته ... لكن نهاها أن تكون بَعْلَتَهْ

وما ارتضى من بعد إسلام ابنته ... وكفره إبقاءها في عصمته

لو أنه يُحِلُّ أو يحرِّم ... بمكة عنها الحليل يحسم

وسئل الإيمانَ كي يحوزا ... مال قريش وبه يفوزا

فهاب أن يبدأ بالخيانة ... إيمانه ويدع الأمانة

فردَّها لأهلها وأسلما ... وآب إذْ إلى قريش أسلما

فـردهـا عــلـيــه خـيـر مـرسـل   بالعقد الأول على القول الجلي
وأمــه هــالــة أخـــت صـبــهــرتــه   والمصطفى رضى عن صهارته

يقول إن أبا العاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي القرشي العبشمي صهر رسول الله ﷺ على ابنته زينب أكبر بناته كان من بين الأسرى يوم بدر وهو ابن خالة زينب أمه هالة بنت خويلد شقيقة أمنا خديجة رضي الله عنها أمهما فاطمة بنت زائدة بن الأصم وأمها قلابة بنت سعيد بن سهم تعرف بالعرقة لطيب ريحها وهي التي ينسب لها حبان بن العرقة. قاتل سعد بن معاذ يوم الأحزاب وقاتل حارثة بن سراقة يوم بدر.

يقول ابن الأثير في ترجمته: كان أبو العاص ممن شهد بدراً مع الكفار وأسره عبدالله بن جبير بن النعمان الأنصاري، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم قدم في فدائه عمرو بن الربيع بمال دفعته إليه زينب بنت رسول الله ﷺ، من ذلك قلادةٌ لها كانت خديجة قد أدخلتها بها على أبي العاص فقال رسول الله ﷺ: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا**» نعم، وكان أبو العاص مصاحباً لرسول الله ﷺ مصافياً له، وكان قد أبى أن يطلق زينب بنت رسول الله ﷺ لما أمره المشركون أن يطلقها، فشكر له رسول الله ﷺ ذلك. ولما أطلقه رسول الله ﷺ من الأسر شرط عليه أن يرسل زينب إلى المدينة، فعاد إلى مكة وأرسلها إلى النبي ﷺ بالمدينة ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي**»، وأقام أبو العاص بمكة على شركه حتى كان قبيل الفتح خرج بتجارة إلى الشام ومعه أموال من أموال قريش وجماعة منهم، فلما رجع من الشام لقيته سرية لرسول الله ﷺ أميرها زيد بن حارثة رضي الله عنه فأخذ المسلمون ما في تلك العير من الأموال وأسروا أناساً وهرب أبو العاص بن الربيع ثم أتى المدينة ليلاً فدخل على زينب فاستجار بها فأجارته، فلما صلى النبي ﷺ صلاة الصبح صاحت زينب: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سلم رسول الله ﷺ أقبل على الناس وقال: «**هل**

سمعتم ما سمعت؟» قالوا: نعم، قال: «أما والذي نفسي بيده ما علمت بذلك حتى سمعته كما سمعتم» وقال: «يجير على المسلمين أدناهم» ثم دخل رسول الله ﷺ على ابنته فقال: «أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له» قالت: إنه قد جاء في طلب ماله، فجمع رسول الله ﷺ تلك السرية وقال: «إن هذا الرجل منا بحيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً هو مما أفاء الله عليكم، وأنا أحب أن تحسنوا وتردوا عليه الذي له، فإن أبيتم فأنتم أحق به»، فقالوا: بل نرده عليه، فردوا عليه ماله أجمع، فعاد إلى مكة وأدّى إلى الناس أموالهم ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، والله ما منعني من الإسلام إلا أن تظنوا بي أكل أموالكم، ثم قدم على رسول الله ﷺ مسلماً وحسن إسلامه، قال: ورد عليه رسول الله ﷺ زينب بنكاح جديد، وقيل: بالنكاح الأول، انتهى من أسد الغابة لابن الأثير.

قال حماد في روض النهاة: فرد النبي عليه زينب بلا تجديد عقد عند ابن عباس، وبه عند غيره، وأهل الحديث يرجحون سند حديث ابن عباس على سند غيره، لكن الفقهاء لم يعملوا بحديث ابن عباس وإنما العمل عندهم على حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ ردها عليه بنكاح جديد، قال: ومن جمع بين الحديثين قال في حديث ابن عباس: ردها عليه بالنكاح الأول في الصداق والحباء لم يحدث فيه شيئاً من زيادة ولا شرط ولا غيره، انتهى من حماد على الغزوات.

قلت: أما الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث حجاج بن أرطأة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رد بنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد، فقد قال الإمام أحمد فيه: هذا حديث ضعيف واه، ولم يسمعه حجاج بن أرطأة عن عمرو بن شعيب وإنما سمعه من محمد بن عبيد العزرمي، والعزرمي لا يساوي حديثه شيئاً، قال: والحديث الصحيح هو الذي رواه ابن عباس أن النبي ﷺ أقرها على النكاح الأول.

وإذا تقرر ضعف حديث عمرو بن شعيب وأن حديث ابن عباس

صحيح فما هي الحاجة التي تضطرنا إلى الجمع بينهما؟ فهل يعارض صحيح بضعيف؟ وهكذا قال الدارقطني في حديث عمرو بن شعيب: لا يثبت هذا الحديث، والصواب حديث ابن عباس أن النبي ﷺ ردها بالنكاح الأول، وقال ابن كثير: ففي قضية زينب والحالة هذه، دليل على أن المرأة إذا تأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدتها، لا ينفسخ نكاحها بمجرد ذلك، بل تبقى بالخيار؛ إن شاءت تزوجت غيره، وإن شاءت تربصت وانتظرت إسلام زوجها أيَّ وقت كان، وهي امرأته ما لم تتزوج، قال: وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة الفقه. ا هـ. من البداية والنهاية.

على أنه يمكن القول إن مسألة زينب هذه وقعت قبل نزول أحكام العدد والله تعالى أعلم.



وكيف علم أهل مكة بما وقع ببدر؟

قال ابن إسحاق: أول من قدم مكة بمصاب قريش هو الحيسمان بن عبدالله الخزاعي، قالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وقتل أبو الحكم بن هشام، وقتل أمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام، فلما جعل يعدد أشراف قريش هكذا قال صفوان بن أمية: هذا لا يعقل ما يقول، سلوه عني، قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هو ذاك جالساً في الحجر ورأيت أباه وأخاه حين قتلا. ونقل ابن كثير عن السهيلي عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال: لما كانت وقعة بدر سمع أهل مكة هاتفاً من الجن يقول:

أزار الحنيفيون بدراً وقيعة ... سينقض منها ركن كسرى قيصرا

أبادت رجالاً من لؤي وأبرزت ... خرائد يضربن الترائب حُسَّرا

فيا ويح من أمسى عدو محمد ... لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا



أمُّ الفضل تشج أبا لهب!

ذكر ابن إسحاق، أن أبا لهب كبته الله وأخزاه لما سمع مصاب أصحاب بدر من قريش، وكان أبو رافع مولى رسول الله ﷺ ينحت أعواداً في خجرة زمزم وعنده أم الفضل جالسة، وقد سرهما ما سمعاه، إذ أقبل أبو لهب فجلس في الحجرة في طُنُبها، فجاء أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب فقال له أبو لهب: هلم إليَّ فعندك لعمري الخبر، قال أبو رافع: فجلس إليه والناس قيام حوله، فقال أبو لهب: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلاَّ أن لقيناهم فمحناهم أكتافنا يقتلونا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا، وأيمُ الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، والله لا يقوم لها شيء، قال أبو رافع: فرفعت طُنُب الحجرة بيدي ثم قلت: تلك والله الملائكة، قال فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة، وكنت رجلاً ضعيفاً فثاورته فاحتملني وضرب بي الأرض، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة شجته بها شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب سيده عنه، فقام فولى ذليلاً وما عاش بعدها إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته، ولقد ترك ثلاثاً حتى أنتن ثم أسند إلى جدار ثم رضم عليه بالحجارة عليه لعنة الله.

ومن الأسرى يوم بدر: أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه، أمهما أم الخناس بنت مالك بن الظرب العامرية وشقيقتهما هند بنت عمير أم شيبة بن عثمان صاحب مفتاح البيت وأخوهم للأم فقط أبو هاشم عتبة بن ربيعة بن عبدشمس. قال حماد: وليس بشيء قول من يقول إن أبا عزيز بن عمير قتل كافراً يوم أحد، فقد قيل بإسلامه، ولا خلاف في إسلام أخيهما للأب أبي الروم بن عمير فهو ممن هاجر إلى الحبشة بعد مصعب؛ ولقد مر مصعب على رجل من الأنصار يأسر أخاه أبا عزيز فقال: اشدد يدك به فإن له أمًّا بمكة ذات متاع لعلها تفديه، فقال أبو عزيز: أهذه وصيتك بأخيك؟ فقال: هو أخي من دونك. قال البدوي:

وابنُ عُمَيْر مُصْعَبٌ مَرَّ علي ... شقيقه مُسْتَأسِراً لِلْفُضَلاَ
فَحَضَّهُمْ أنْ شَدِّدُوا إنَّ له ... أمَّا مَلِيَّةً تَفُكُّ كُبْلَهُ

مصعب بن عمير ويقال له مصعب الخير هو ابن عمير بن هاشم بن عبدمناف بن عبد الدار يكنى أبا عبدالله كان قبل الإسلام من المترفين فلما أسلم أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه حتى كان رسول الله ﷺ ينظر إليه وعليه رقعة قد رقعها فيبكي لما كان يعرف من تنعمه في الملبس والمأكل، وكانت أمه حلفت لما أسلم لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل حتى يرجع إليها، قالوا: فكانت تقف للشمس حتى تسقط مغشيًا عليها، وكان بنوها يفتحون فاها بعود فيصبون فيه الحسا لئلا تموت؛ لقد هاجر رضي الله عنه مع أول من هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة، وكان ليلة العقبة سأل الأنصار النبي ﷺ أن يرسل معهم من يقرئهم القرآن ويرشدهم في الدين فأرسله معهم هو وابن أم مكتوم فنزلا على أبي أمامة أسعد بن زرارة رضي الله عنهم وكان أسلم على يديه كثير من الأنصار، ولم يعقب مصعب إلا ابنته زينب بنت مصعب أمها حمنة بنت جحش، وكان مصعب أول من لقب المقرىء وكان معه لواء المهاجرين يوم بدر عند الأكثر، وكان معه اللواء يوم أحد قطعاً، فلما قتل عليه رضوان الله ظنوه النبي ﷺ لشبهه به إذا لبس لأمته. ولما استشهد يوم أحد ما وجدوا عنده إلا نمرة كانوا إذا غطوا بها رأسه ظهر رجلاه وإذا غطوا بها رجليه بدا رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «**غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الإذخر**» اهـ ملخصاً من حماد وبتصرف.



ذكر مشاهير الأسرى

قال العلامة أحمد البدوي في مغازيه:

ومن مشاهير الأسارى عمرو ... نجل أبي سفيان ثم الصهر

والعم وابنا أخويه وهما عقيل نوفل وبعْدُ أسلما
وخالد أخو أبي جهل وقد أسلم أيضاً وسهيل الأسد
ومكرز ركز في مركزه حتى أتى فداؤه لعزه
وابن أبي وأبو وداعة أول مفديٍّ من الرباعة
وخالد بن الأعلم الذي افتخر فكان قبل كل هوهة عجر

قال: إن من مشاهير أسرى قريش يوم بدر عمرو بن أبي سفيان بن حرب، فقيل لأبي سفيان ألا تفدى عمروًا!؟ فقال: أيجمع عليّ الدم والمال فيقتل حنظلة وأفدي عمروً ولكن انتظر حتى أصيب منهم رجلاً فأفديه به، فأصاب سعد بن النعمان بن أكال أحد بني عمرو بن عوف جاء مكة معتمراً فلما قضى عمرته أسره أبو سفيان وقال:

أرهط أكال أجيبوا دعاءه تفاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فإن بني عمرو بن عوف أذلة إذا لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

وليس لعمرو بن أبي سفيان عقب ولا له ذكر يعد هذا بإسلام ولا غيره.

ومن مشاهير الأسرى العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه وابنا أخويه: عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، أما العباس فقد أسره أبو اليسر كعب بن عمرو الخزرجي وكان رجلاً قصيراً فقيل للعباس لو أخذته لوسعه كمك، فقال: ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة. واختلف في إسلام العباس، قيل: أسلم يوم بدر حين قال له النبي ﷺ: «**افد نفسك**»، قال: ليس لي مال أفدي به نفسي، فقال النبي ﷺ: «**الذهب الذي تركت عند أم الفضل وقلت لها كيت وكيت؟**» فقال أشهد أنك رسول الله، والله ما حضرنا إلا الله. وفي خبر أبي رافع أنه أسلم قبل ذلك وكان يكتم إسلامه مهابة لقومه وكراهة لإظهار خلافهم، والله تعالى أعلم. وتوفي العباس في خلافة عمر في طاعون عمواس.

وأما عقيل بفتح العين هو ابن أبي طالب كان يكنى أبا يزيد أسلم عام

الحديبية وقال له النبي ﷺ: «**يا عقيل إني أحبك حبين: حبًا لقرابتك مني، وحبًا لما أعرف من حب عمي إياك**» أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أم جميع بني أبي طالب وبناته.

ونوفل هو ابن الحارث بن عبدالمطلب أمه عزيزة بنت قيس بن طريف من بني الحارث بن فهر، أسلم رضي الله عنه عام الحديبية، وقيل أسلم حين أسر وذلك أن النبي ﷺ قال له: «**افد نفسك**» قال: ليس عندي مال أفدي به نفسي، قال: «**افد نفسك بأرماحك التي بجدة**»، قال: والله ما علم أن لي بجدة أرماحاً إلا الله، أشهد أنك رسول الله، وكان نوفل ممن ثبت مع النبي ﷺ يوم هوازن، ولقد أعان رسول الله ﷺ في الخروج إلى حنين بثلاثة آلاف رمح مات رضي الله عنه بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر رضي الله عنه.

وأما خالد هو ابن هشام بن المغيرة أمه الشفاء بنت خالد بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم قال حماد: ذكره صاحب الإصابة في المؤلفة، قال: وفيه نظر.

وأما سهيل فهو ابن عمرو بن عبدشمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي الأعلم الخطيب المفوه يكنى أبا يزيد وقد كان من أشراف الملإ من قريش، أسر يوم بدر وَجَاءَ في فدائه مكرز بن حفص بن الأخيف من بني معيص وقال: اجعلوا رجلي مكان رجله في القيد حتى يبعث إليكم الفداء، ففعلوا وبعث سهيل بفدائه، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم السَّالمي فأطلقوا مكرزاً. وفي ذلك يقول:

فديت بأذواد ثمان سباقتي ينال الصميم غرمها لا المواليا
وقلت سهيل خيرنا فاذهبوا به لأبياتنا حتى تدير الأمانيا

قال حماد: ولم نجد لمكرز هذا ذكراً في الصحابة إلا أن صاحب نور النبراس ذكر أن ابن حبانة ذكر له صحبة والله تعالى أعلم.

وسيأتي لسهيل بن عمرو خبر في الحديبية وفي الفتح بإذن الله.

وأما ابن أبيّ فهو عبدالله بن أبي بن خلف بن حذافة بن جمح وأمه أم

عامر بنت الحجاج أخت منبه ونبيه السهميين، أسلم عبدالله عام الفتح وقتل رضي الله عنه يوم الجمل. وأما أبو وداعة فهو الحارث بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم، ولما أسر قال رسول الله ﷺ: «**إن له ابنا بمكة كيساً تاجراً ذا مال، وكأنكم به قد جاء في فداء أبيه**»، يعني المطلب بن وداعة، فلما قالت قريش: لا تعجلوا في فداء أسراكم، انسل هو من الليل فجاء فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ثم أسلم هو وأبوه يوم الفتح، قال حماد: ومن ذريته عبدالرحمن بن محيصن قارىء مكة.

وابن الأعلم عقيلي حليف لبني مخزوم قتل يوم أحد كافراً نعوذ بالله، قال والهوهة الجبان، وعجر ثني عنقه وفر مسرعاً. قال حماد: إنه أنشد يوم بدر:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ثم فر قبل كل جبان، ا هـ. منه باختصار وتصرف.

قال حماد: ذكر بقية من أسلم من الأسارى:

أبو العاص بن الربيع، وأبو عزيز بن عمير، والسائب بن أبي حبيش، وعبدالله بن أبي السائب والمطلب بن حنطب، وقيس بن السائب مولى مجاهد بن جبير القارىء وكان مجاهد يقول في مولاي قيس نزل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ الآية فأفطر وأطعم عن كل يوم مسكين وعتبة بن زمعة أخو أمنا سودة، ونسطاس مولى أمية بن خلف أسلم بعد أحد ومنهم وهب بن عمير بن وهب وتقدم إسلامه أبيه. ا هـ. منه باختصار.



مشاهير
من قتل من المشركين يوم بدر

قال الإمام أحمد البدوي في مغازيه:

ومن مشاهير الممات حنظلة مُنَبِّهٌ وصِنْوُهُ وابْنَانِ لَهْ

وهـم نـبـيـهٌ حـارثٌ والـعـاصـي	أحـد رهـط غـيـر ذي خـلاص
مـن مـكـة لـكـونـه مـسـتـضـعـفـاً	فـي زعـمـه ويـوم بـدر زَحَـفَـا
مـع قـريـش وتـوفـت ظـالـمـي	أنـفـسـهـم مـلائـكُ الـمـلاحـمِ
وهـم عـلـي بـن أمـيـة الـرَّدِي	والـحـارثُ بْـنُ زمـعـة بـن الأسـودِ
وابـنـان لـلـفـاكـهِ والـولـيـدِ	وأيـن هـم مـن ابـنـه الـمـجـيـدِ
سَـمِـيِّـهِ وأخـوي فـرعـونـا	شـقـيـقـاً أو لـلأم ذاقـا الـهـونـا
سـلـمـة عـيـاش الـمـسـتـضـعـفـيـن	قـنـت بـاسـتـنـقـاذهـم طـه الأمـيـن

وقال حماد: من مشاهير من قتل أهل البراز، يعني عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وأبو جهل، وأبو البختري بن هشام. والحاصل أنه قتل يومئذٍ من بني عبدشمس بعدما ذكر في النظم ابنا سعيد أبي أحيحة: العاصي وعبيدة، وعقبة بن أبي معيط، ومن بني نوفل بن عبدمناف:

طعيمة بن عدي بن نوفل، والحارث بن عامر بن نوفل.

ومن بني أسد بن عبدالعزى:

نوفل بن خويلد أخو أمنا خديجة، وزمعة وعقيل ابنا الأسود.

ومن بني عبدالدار:

النضر بن الحارث الذي أمر النبي ﷺ بقتله صبراً.

ومن بني تيم بن مرة:

مالك بن عبيدالله أخو طلحة وكان أسن منه ومات في الأسر، وابنه عثمان، وعمه عمير بن عثمان، وعمرو بن عبدالله بن جدعان.

وأما بنو مخزوم فقد أسر منهم أربعة وعشرون نفراً.

وقتل منهم عتيق بن هالة السابق لأمنا خديجة، وابنا أخيه رفيع ورافع ابنا أمية بن عائذ بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، وحذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة، ومسعود بن أبي أمية، والأسود بن عبدالأسد.

ومن بني سهم بعد من ذكر قتل منهم.

أبو العاص بن قيس بن عبدقيس، ومرة بن قيس بن حذافة بن سعد بن سهم، وقتل منهم عامر بن أبي عوف بن صبيرة.

وبالجملة فقد أصاب رسول الله ﷺ من قريش يوم بدر مائة وأربعين، قتل منهم سبعين وأسر سبعين والحمد لله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.



ذكر الشهداء يوم بدر

من المهاجرين:

١ ـ عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبدمناف.

٢ ـ وعمير بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبدمناف بن زهرة، كان رضي الله رده النبي ﷺ لصغره فبكى فقبله وقتله العاص بن سعيد.

٣ ـ وقتل عاقل بن البكير الليثي حليف بني عدي.

٤ ـ وذو الشمالين بن عبدعمرو الخزاعي ثم العبشاني حليف بني زهرة.

٥ ـ ومهجع بن صالح، وكان أول قتيل يوم بدر، وقيل قتل قبله حارثة بن سراقة.

٦ ـ وصفوان بن بيضاء وهو صفوان بن ربيعة بن هلال بن مالك ومنبه بن الحارث بن فهر، وبيضاء أمه وأم أخويه سهل وسهيل واشتهر ببيضاء واسمها دعد بنت جحدم بن عمرو بن معاذ بن النضر بن الحارث.

ومن الأوس اثنان هما:

١ ـ مُبَشِّرُ بن عبدالمنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

٢ ـ وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن غنم بن أسلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس، قتله طعيمة بن عدي وقتل طعيمة حمزة بن عبدالمطلب.

والشهداء من الخزرج ستة:

١ ـ يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك، قال حماد: لم يشهد بدراً من بني الخزرج بن الحارث بن الخزرج غيره.

٢ ـ ٣ ـ وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد بن غنم بن مالك بن النجار اشتهروا بأمهم عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك. ولقد شهد بدراً بنو عفراء: معاذ ومعوذ وعوف، وقد كان عوف سادس أهل العقبة الأولى وكان معاذ سابع السبعة الذين جاؤوا معهم من قابل للعقبة الثانية رضي الله عن الجميع.

٤ ـ وحارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي بن النجار قتله حيان بن العرقة، أمه الرُبَيِّعُ بنت النضر أخت أنس وعمة أنس بن مالك والبراء بن مالك بن النضر وهي التي يعني أخوها في حديث القصاص: والله لا تكسر ثنية الربيع.

٥ ـ والخامس رافع بن المُعَلَّى بن لوذان.

٦ ـ والسادس عمير بن الحمام بن زيد بن حرام من بني مسلمة وهو ابن أخي عمرو بن الجموح، قتله خالد بن الأعلم حليف بني مخزوم وقد قتل يوم أحد كافراً، ولما قتل مهجع وحارثة بن سراقة قام النبي ﷺ يحرض الناس فيقول: «**والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً إلا أدخله الله الجنة**» فقال عمير: وكان بيده تمرات يأكلهن: بخ! بخ! فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل رضي الله عنه، وأبوه الحمام صحابي.

وقال ابن كثير: جميع من حضر بدراً من المهاجرين والأنصار ثلاثمائة

وأربعة عشر رجلاً: من المهاجرين ثلاثة وثمانون، ومن الأوس واحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون، وقد سردها البخاري مرتبة على حروف المعجم بعد البداءة برسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم، وقد سردهم ابن كثير كذلك في البداية والنهاية وأحيل القارىء إلى هناك وبالله تعالى التوفيق - غير أني أذكر أسماء من قسم لهم رسول الله ﷺ في الأجر والمغنم ولم يحضروا المعركة لعذر، وهم:

١ - طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب أحد العشرة، أمه الصعبة بنت الحضرمي وتوفي رضي الله عنه يوم الجمل.

٢ - وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي وأمه فاطمة بنت بعجة بن خلف الخزاعية، يكنى أبا الأعور كان قديم الإسلام توفي رضي الله عنه في خلافة معاوية سنة إحدى وخمسين أو خمس وخمسين وهو ابن بضع وسبعين سنة، أرسلهما رضي الله عنهما يتحسسان خبر العير.

٣ - عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف، أمه أروى بنت كريز بالتصغير بن حبيب بن عبدشمس وأم أمه البيضاء بنت عبدالمطلب توأمة عبدالله والد رسول الله ﷺ، خلفه رسول الله ﷺ على تمريض زوجته رقية بنت محمد ﷺ.

٤ - الحارث بن الصمة بن عمر بن عتيك الأنصاري ثم النجاري ثم المبذولي يكنى أبا سعيد، مات رضي الله عنه يوم بئر معونة، قد كان مع عمرو بن أمية في السرح فوجدوا قومهم صرعى فقال الحارث: ما ترى؟ قال عمرو: نلحق بالنبي ﷺ ونخبره، قال الحارث: أما إني لا أرغب عن مكان قتل فيه المنذر بن عمرو، فأخذ سلاحه وناجز القوم حتى قتل رضي الله عنه، وهو أخو صهيب بن سنان بالمؤاخاة.

٥ - خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس الأوسي البكري أخو عبدالله بن جبير قيم الرماة يوم أحد، يكنى أبا صالح، وقد

رده ﷺ إلى المدينة لما كسر بالصفراء، توفي رضي الله عنه سنة أربعين وهو ابن إحدى وسبعين سنة.

٦ ـ عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان بن ضبيعة البلوي حليف بني زيد بن مالك بن ضبيعة، يكنى أبا عمرو ويكنى أبا عبدالله، توفي سنة خمس وأربعين وهو ابن مائة وعشرين سنة، كان رضي الله خلفه رسول الله ﷺ على العوالي وقباء.

٧ ـ أبو لبابة بن عبدالمنذر أحد سادات بني عمرو بن عوف خلفه رسول الله ﷺ على المدينة.

٨ ـ الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن عمرو بن عوف يكنى أبا عبدالله شهد أحداً والخندق والحديبية وقتل شهيداً بخيبر رده رسول الله ﷺ من الروحاء إلى المدينة لإصلاح شأن بها.

قال العلامة الشيخ أحمد البدوي مشيراً إلى ذلك:

في الأجر والمغنم قسم النبي	لنفر عن الزحاف غُيّب
لطلحة ولسعيد أرسِلاَ	للركب ينظران أين نزلاَ
ولابن عفان ولابن الصمّة	وابن جبير كسرا عن همّة
وابن عدي عاصم العجلاني	خلفه خير بني عدنان
على العوالي وعلى المدينه	أبا لبابة الربيط الزينه
ثامنهم رد من الروحاء	وهو ابن حاطب إلى قباء

ا هـ.

وفي هذه السنة توفيت رقية بنت محمد ﷺ فقد جاء زيد بن حارثة بشيراً لأهل المدينة بنصر رسول الله فوجدهم يجهزونها رضي الله عنها وإنا لله وإنا إليه راجعون، وقد كان عثمان رضي الله عنه تخلف عن بدر لتمريضها بأمر رسول الله ﷺ ولذلك ضرب له بسهمه في المغنم والأجر كما قدمنا.

بعث عمير بن عدي الخطمي

كانت هذه السرية أو هذا البعث لخمس ليال بقين من رمضان من السنة الثانية، قال ابن سعد: على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجره ﷺ ج٣ ص٦٦، فقد بعث رسول الله عمير بن عدي الخطمي إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد، زوج يزيد بن زيد الخطمي، وكانت تعيب الإسلام وتؤذي رسول الله ﷺ وتحرض عليه وتقول الشعر، وكانت تطرح المحايض في مسجد بني خطمة، فأهدر رسول الله ﷺ دمها، فنذر عمير بن عدي لئن رجع رسول الله ﷺ سالماً من بدر إلى المدينة ليقتلنها، فلما رجع رسول الله ﷺ من بدر، جاء عمير ليلاً فدخل بيتها وحولها نفر من أولادها نيام، منهم من ترضعه في صدرها، فجسّها بيده وكان ضرير البصر، فنحى الصبي عنها ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها.

قال الصالحي في سبل الهدى والرشاد:

ثم أتى المسجد فصلى الصبح مع رسول الله ﷺ، فلما انصرف نظر إليه رسول الله ﷺ وقال: «**أقتلت ابنة مروان؟**» قال: نعم، فهل عليّ في ذلك من شيء؟ فقال ﷺ: «**لا ينتطح فيها عنزان**» فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله ﷺ، وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «**إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله فانظروا إلى عمير بن عدي**» فقال عمر رضي الله عنه: انظروا إلى هذا الأعمى الذي يسري في طاعة الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تقل الأعمى ولكن البصير**»، فلما رجع عمير إلى بني خطمة وجد بنيها في جماعة يدفنونها، فقالوا: يا عمير أنت قتلتها؟ قال: نعم، فكيدوني جميعاً ولا تنظرون، والذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي حتى أموت أو أقتلكم، فيومئذ ظهر الإسلام في بني خطمة وكان من أسلم فيهم يخفي إسلامه، وكان عمير هذا هو أول من أسلم من بني خطمة وكان يدعى القارىء.

قال العلامة غالي بن المختار فال في بعوثه:

ثُمَّ عميرُ الجريء بن عدي ... لقتل عصماء لقولها الردي
بشعرها تؤنب الأنصارا ... لما أطاعوا أحمد المختارا
وذاك لما ابن عمير قد سفك ... دم الظلوم المعتدي أبي عفك
قتلها في بيتها عمير ... سرى لها وهو إذاً ضرير

يلاحظ أن الشيخ غالي قدم سرية سالم بن عمير على بعث عمير بن عدي ولكن الشيخ الصالحي في سبل الهدى والرشاد جعل قتل بنت مروان في خمس ليال بقين من رمضان وجعل الأخرى في شوال بعدها، فالله تعالى أعلم.



ثم بعث سالم بن عمير رضي الله عنه إلى أبي عفك اليهودي

لقد كان أبو عفك يهودي الدين أنصاري النسب من بني عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً قد بلغ مائة وعشرين عاماً، وكان يحرض على رسول الله ﷺ ويقول الشعر، لذلك فقال رسول الله ﷺ: «**من لي بهذا الخبيث؟**» فقال سالم بن عمير، وكان ممن شهد بدراً: «**عليّ نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه**» فأمهل يطلب منه غرة، فلما كانت ليلة صائفة في شوال من السنة الثانية للهجرة، نام عدو الله في فناء منزله وعلم به سالم بن عمير رضي الله عنه فأقبل ووضع السيف على كبده ثم اعتمد عليه حتى خشَّ في الفراش، وصاح عدو الله، فقام إليه ناس ممن نجم نفاقهم فأدخلوه منزله وقبروه، وقد قالت أمامه المريدية أو الربذية:

تكذبُ دين الله والمرءَ أحمدًا ... لعمر الذي أمناك إن بئس ما يمني
حباك حنيفٌ آخر الليل طعنةً ... أبا عفك خذها على كبر السن

وقال العلامة غالي بن المختار فال يذكر هذا البعث في بعوثه:

فسالماً نَجْلَ عمير الخذِما إلى أبي عَفَك إذْ قد نَجِمَا
نفاقه لما النبي قتلا نَجْل سويد حارثاً فَعَدَلا

قلت: قد تناقض العلامة غالي حيث قال في شرحه لبعوثه: إن هذا البعث وقع على رأس عشرين شهراً من مَقْدَمِه ﷺ المدينة، وهو كذلك، إلا أن ذلك يتنافى مع قوله: لما النبي قتلا نجل سويد حارثاً، لأن رسول الله ﷺ إنما قتل الحارث بن سويد بمجذر بن زياد البلوي الذي قتله غيلة في أثناء القتال يوم أحد، وأحد كان في السنة الثالثة بلا خلاف وبعث أبي عفك كان قبل ذلك في السنة الثانية على رأس عشرين شهراً من قدومه ﷺ المدينة، تأمل!



غزوة بني سليم
في سنة ثنتين من الهجرة

قال ابن كثير في البداية نقلاً عن ابن إسحاق: لما قدم ﷺ المدينة بعد بدر لم يقم بها أكثر من سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم واستعمل على المدينة سباع ابن عربة الغفاري، وقيل ابن أم مكتوم، قال الصالحي: غزا بني سليم بالكدر ويقال لها قرقرة الكدر، قال ابن إسحاق وأبو عمر، وابن حزم وغيرهم: بلغه أن بهذا الموضع جمعا من سليم وغطفان، فخرج إليهم وحمل لواءه علي بن أبي طالب وكان أبيض، فسار إليهم فبلغ ماءً من مياههم يقال له الكُدْر فلم يجد أحداً، وأرسل نفراً من أصحابه في أعلى الوادي واستقبلهم، بأبي هو وأمي، من بطن الوادي، فوجد رعاءً فيهم غلام يقال له يسار فسأله عن الناس، فقال: لا علم لي بهم، إنما أورد لخمس وهذا يوم رِبْعِيّ والناس قد ارتفعوا إلى المياه ونحن

عزاب في النعم، فأقام ﷺ ثلاثاً، وقد ظفر بالنعم، فانحدر إلى المدينة، فاقتسموا غنائمهم بصرا وهو على ثلاثة أميال من المدينة، وكانت الغنيمة خمسمائة بعير، فأخرج خمسه وقسم أربعة أخماسه على المسلمين وكانوا مائتي رجل فأصاب كل رجل منهم بكران، وصار يسار في سهم النبي ﷺ فأعتقه لأنه رآه يصلي، وغاب عن المدينة خمسة عشر يوماً، وأقام بالمدينة شوالاً وذا القعدة وأفدى في إقامته تلك جل الأسرى من قريش.

تنبيه: اختلف المؤرخون فيما بين غزوة أحد وبدر من الغزوات، فمنهم من قال: بينهما ست غزوات ومنهم من قال خمس فقط، وبذلك قال ابن إسحاق، وأبو عمر والبيهقي، وابن كثير، وابن القيم، وكذلك قال ابن سعد إلا أنهم اختلفوا في الترتيب فعند ابن إسحاق: غزوة بني سليم بالكدر، فغزوة السويق، فغزوة ذي أمر وهي غزوة غطفان، فغزوة الفُرع من بُحران، فغزوة بني قينقاع.

وقال ابن سعد غزوة قينقاع يوم السبت للنصف من شوال بعد بدر، إلى غير ذلك من الخلاف في الوقت والترتيب، والذي اعتمدنا من الترتيب ما اعتمده ابن كثير والصالحي في أكثر حاله إن شاء الله.

وقال الشيخ أحمد البدوي في مغازيه:

فَلِسُليم فلقينقاع   المتصدين إلى القراع

... الخ.

وسوف نذكر الأبيات إذا جاء الكلام إلى غزوة بني قينقاع إن شاء الله.



غزوة السويق

في ذي الحجة من السنة الثانية. وسبب هذه الغزوة أن المشركين لما رجعوا إلى مكة موتورين محزونين، حرم أبو سفيان على نفسه الدهن، ونذر

أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يثأر من رسول الله ﷺ وأصحابه بمن أصيب من المشركين يوم بدر، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبرّ يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له يتبب من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل حتى بني النضير فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه، فانصرف عنه إلى سلاّم بن مِشكم وكان سيد النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم، فاستأذن عليه فأذن له، فقراه وسقاه، وبطن له من خبر الناس وخبر رسول الله ﷺ، ثم خرج في عقب ليلته تلك حتى أتى أصحابه، فبعث رَجْلاً من قريش فأتوا ناحية من المدينة يقال لها العُريض فحرّقوا نخيلاً بها ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث فقتلوهما، قال في الإمتاع: وهذا الرجل هو معبد بن عمرو الأنصاري، ورأى أبو سفيان أن يمينه قد حلت وانصرفوا راجعين، ونَذِرَ بهم الناس، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم يوم الأحد الخامس من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من مقدمه المدينة في مائتين من المهاجرين والأنصار، واستخلف على المدينة بشير بن عبدالمنذر حتى بلغ قرقرة الكدر، وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون للهرب فيلقون جُرُب السويق وهي عامة أزوادهم، فأخذها المسلمون، فسميت غزوة السويق ولم يلحقوهم وانصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، وكانت غيبته خمسة أيام، وقال المسلمون حين رجعوا، لرسول الله ﷺ: أنطمع أن تكون لنا غزوة؟ قال: «نعم». ا هـ. سبل الهدى والرشاد ببعض التصرف.

دخول علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أهله فاطمة بنت محمد ﷺ: وذلك في السنة الثانية بعد وقعة بدر، لما رواه البخاريُّ ومسلم من طريق الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب قال: كانت لي شارف من الإبل من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني شارفاً مما أفاء الله من الخمس يومئذ، فلما أردت أن ابتني بفاطمة بنت النبي ﷺ واعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخِر فأردت أن أبيعه من الصواغين فأستعين به في وليمة عرسي، فبينما أنا أجمع لشارفي من الأقتاب والغرائر والحبال، وشارفاي

مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار، حتى جمعت ما جمعت، إذا أنا بشارفيَّ قد أُجِبَّتْ أسنامهما وبقرت خواصرهما وأُخذ من أكبادهما، فلم أملك عينيَّ حين رأيت المنظر، فقلتَ: من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة بن عبدالمطلب وهو في هذا البيت وهو في شَرْبٍ من الأنصار، وعنده قينته وأصحابه، فقالت في غنائها:

ألا يـا حـمـزَ لـلـشُّـرُفِ الـنـواء

فوثب إلى السيف فأجبَّ أسنمتهما، ويقر خواصرهما، وأخذ من أكبادهما، قال علي: فانطلقت حتى أدخل على النبي ﷺ، وعنده زيد بن حارثة، فعرف النبي ﷺ الذي لقيت، فقال: ما لك؟ فقلت: يا رسول الله ما رأيت كاليوم، عدا حمزةُ على ناقتيَّ فأَجَبَّ أسنمتهما وبقر خواصرهما، وها هو في هذا البيت معه شَرْبٌ، فدعا النبي بردائه فارتداه ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة، حتى جاء البيت الذي فيه حمزة، فاستأذن عليه، فأذن له، فجعل النبي ﷺ يلوم حمزة فيما فعل، فإذا حمزة ثمل محمرة عيناه، فنظر حمزة إلى النبي ﷺ ثم صعَّد النظر، فنظر إلى ركبتيه، ثم صعَّد النظر فنظر إلى وجهه، ثم قال حمزة: وهل أنتم إلا عبيد لأبي؟ فعرف النبي ﷺ أنه ثمل، فنكص ﷺ على عقبيه القهقرى، فخرج وخرجنا معه. قال ابن كثير: هذا لفظ البخاري في كتاب المغازي، قال: وقد رواه في أماكن أخر من صحيحه بألفاظ كثيرة، وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر خمست لا كما زعمه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال من أن الخمس إنما نزل بعد قسمتها، وقد خالفه من ذلك جماعة منهم البخاري وابن جرير، قال: وبينا غلطه في ذلك في التفسير.

قال: وفي الدلائل للبيهقي أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، ثنا أحمد بن عبدالجبار، ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني عبدالله بن أبي نجيح عن مجاهد عن علي قال: خُطِبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، قالت: قد خطبت، فما يمنعك أن تأتي

رسول الله ﷺ فيزوجك؟ قلت: وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك، قال: فوالله ما زالت تُرَجِّيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالةً وهيبةً، فقال رسول الله ﷺ: «ما جاء بك؟ ألك حاجة؟» فسكت، فقال: «**لعلك جئت تخطب فاطمة؟**» فقلت: نعم، قال: «**وهل عندك من شيء تستحلها به؟**» فقلت: لا والله يا رسول الله، فقال: «**ما فعلت دِرْعٌ سَلَّحتُكها؟ فوالذي نفس عليٍّ بيده إنها لخطمية ما قيمتها أربعة دراهم**»، فقلت: عندي، فقال: «**قد زوجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها**» فإن كانت لَصدَاقُ فاطمة بنت محمد ﷺ. قال: ثم روى البيهقي من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن علي قال: جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل، وقربة، ووسادة أدم حشوها إذخر.

وقال ابن كثير: ونقل البيهقي عن كتاب المعرفة لأبي عبدالله بن منده أن علياً تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بسنة أخرى، قال: فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة، غير أن ظاهر حديث الشارفين يقتضي أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير، فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر السنة الثانية والله أعلم. ا هـ. من البداية مع بعض التصرف.



غزوة غطفان إلى نجد وهي غزوة ذي أمر

فهي من أعمال السنة الثانية على ما ذكره الصالحي وقال إنها في صفر من السنة الثانية، وابن كثير في البداية يقول: إنها على رواية ابن إسحاق في صفر من السنة الثانية وقال الواقدي إنها في ربيع الأول من السنة الثالثة يوم الخميس لثنتي عشرة خلت منه.

قال الصالحي: سببها أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعاً من بني ثعلبة بن سعيد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، وبني محارب بن خصفة بن قيس بذي أمر قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله ﷺ، وجمعهم رجل منهم يقال له دعثور بن الحارث بن محارب، فندب رسول الله ﷺ المسلمين وخرج في أربعمائة وخمسين، معهم عدة أفراس، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأصابوا رجلاً منهم بذي القَصّة يقال له جبّار من بني ثعلبة، فقال له المسلمون: أين تريد؟ قال: أريد يثرب لأرتاد لنفسي وأنظر، فأُدْخِلَ على رسول الله ﷺ فأخبره من خبرهم، وقال: لن يلاقوك، ولو سمعوا بسيرك هربوا في رؤوس الجبال وأنا سائر معك فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم، وضمه رسول الله ﷺ إلى بلال، فأخذ به جبار طريقاً هبط به عليهم، ولما سمع القوم بمسير رسول الله ﷺ هربوا في رؤوس الجبال، فبلغ ماء يقال له ذو أمر فعسكر به، وأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه مطر كثير فابتلت ثيابه عليه الصلاة والسلام وابتلت ثياب أصحابه، فنزل، بأبي هو وأمي، تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف واضْطَجَعَ، وذلك بمرأى من المشركين، واشتغل المسلمون في شؤونهم، فبعث المشركون رجلاً منهم شجاعاً اسمه دعثور بن الحارث وكان سيدها وأشجعها ومعه سيف متقلد به، فأقبل مشتملاً على سيفه حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً فقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله»، ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقال: «**ما يمنعك مني؟**» فقال: لا أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والله لا أُكَثِّرُ عليك جمعاً أبداً، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه؛ ثم أتى قومه فقالوا: ما لك ويلك؟ قال: نظرت إلى رجل طويل دفع في صدري فوقعت على ظهري فعرفت أنه ملك وشهدت بأن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليه جمعاً، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام وأنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ الآية من سورة المائدة. قال: وعاد

رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة، وقال أبو عمر: أقام بنجد صفر كله. والله أعلم.

ومن أحداث السنة: إظهار ابن أبي والمنافقين للإسلام وخضوع اليهود بالمدينة، كبني قينقاع والنضير وقريظة ويهود بني حارثة، يصانعون المسلمين لما ظهرت شوكة الإسلام والله المحمود على ذلك.

حوادث السنة الثالثة للهجرة
(غزوة بُحرانَ)

نقل ابن كثير في البداية عن ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ أقام بالمدينة ربيعاً الأول كله، أو إلا قليلاً منه ثم غدا يريد قريشاً، قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، قال ابن إسحاق: حتى بلغ بُحران، وهو معدن بالحجاز من ناحية الفُرُع.

وقال الصالحي: سببها أنه بلغه أنَّ بها جمعاً كثيراً من بني سليم بن منصور فخرج في ثلاثمائة رجل من أصحابه، واستخلف ابن أم مكتوم على المدينة، ولم يظهر وجهاً للسير حتى كان دون بُحران بليلة لقي رجلاً من بني سليم فأخبره أن القوم افترقوا فحبسه مع رجل وسار حتى ورد بُحران وليس به أحد، فأقام أياماً، قال الواقدي: عشرة، وقال ابن إسحاق: أقام ربيع الآخر وجمادى الأولى ثم رجع ولم يلق كيداً، ولله الحمد.



بَعْثُ محمد بن مسلمة
إلى كعب بن الأشرف

قال ابن إسحاق وأبو عمر: كعب بن الأشرف من بني نبهان من طيء

وأمه من بني النضير وكان شاعراً يؤذي رسول الله ﷺ ويهجو أصحابه رضي الله تعالى عنهم، ويحرض عليهم الكفار، وروى ابن سعد في طبقاته ج ٣ ص٧٢ أخبرنا محمد بن حميد العبدي عن معمر بن راشد عن الزهري في قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ الآية من آل عمران. قال: هو كعب بن الأشرف، فإنه كان يحرض المشركين على رسول الله ﷺ وأصحابه ويهجو النبي ﷺ في شعره. قال الصالحي: ولما قدم زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة بالبشارة من بدر بقتل من قتل من المشركين وأسر من أسر منهم، قال كعب: أحق هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان؟ يعني زيداً وعبدالله بن رواحة، فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لَبطنُ الأرض خير من ظهرها ـ فلما تيقن عدو الله الخبر ورأى الأسارى مقرنين كُبِتَ، ثم قال لقومه: ما عندكم؟ قالوا: عداوته ما حيينا، قال: وما أنتم، وقد وطىء قومه وأصابهم، ولكن أخرج إلى قريش فأحرضها وأبكي قتلاها لعلهم ينتدبون فأخرج معهم.

فخرج حتى قدم مكة، فوضع رحله عند المطلب بن وداعة بن ضُبيرة السهمي وعنده عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص، ولقد أسلمت هي وزوجها بعد ذلك، فأنزلته وأكرمته، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ وينشد الأشعار، ويبكي أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا يوم بدر.

وذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ أخبر حسان بن ثابت رضي الله عنه بنزول كعب وعلى من نزل بمكة، فقال حسان رضي الله عنه في ذلك:

ألا أبْلِغَنْ عَنِّي أسِيداً رِسَالَةً ... فَخَالُكَ عَبْدٌ بِالشَّرَابِ مُجَرَّبُ
لَعَمْرُكَ ما أوْفَى أسِيدٌ لِجَارِهِ ... ولاَ خَالِدٌ وابْنُ المُفَاضَةِ زَيْنَبُ
وعَتَّابُ عَبْدٌ غَيْرُ مُوفٍ بِذِمَّةٍ ... كَذُوبُ شُؤونِ الرَّأسِ قِرْدٌ مُدَرَّبُ

فلما بلغها هجاؤه نبذت رحله وقالت: ما لنا ولهذا اليهودي؟ ألا ترى ما يصنع بنا حسان؟ فتحول، فكلما تحول عند قوم دعا رسول الله حساناً فقال: ابن الأشرف نزل على فلان، فلا يزال يهجوهم حتى ينبذ رحله، فلما

لم يجد مأوى قدم المدينة. فلما رجع إلى المدينة شبب بنساء المسلمين وآذاهم.

قال الصالحي: وروى عبدالله بن إسحاق الخراساني في فوائده عن عكرمة أن كعباً صنع طعاماً وواطأ جماعة من اليهود أن يدعو النبي ﷺ إلى وليمة، فإذا حضر فتكوا به، ثم دعاه فجاء ومعه بعض أصحابه، فأعلمه جبريل عليه السلام بما أضمروه فرجع، فلما فقدوه تفرقوا.

فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت في إعلانه الشر»** وقال عليه الصلاة والسلام: **«من لي بكعب بن الأشرف؟ فقد آذى الله ورسوله»** فقال محمد بن مسلمة: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله، قال: **«أنت له فافعل إن قدرت على ذلك»**: فمكث محمد بن مسلمة ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما تعلق به نفسه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال له: **«لم تركت الطعام والشراب؟»** قال: يا رسول الله، قلتُ لك قولاً لا أدري أَأُوَفِّينَّ به أم لا، فقال: **«إنما عليك الجهد»** فقال له: **«شاور سعد بن معاذ في أمره»** فشاوره فقال له توجه إليه واذكر له الحاجة وسله أن يسلفكم طعاماً.

فخرج إليه لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من السنة الثالثة كُلٌّ من: محمد بن مسلمة، وعبَّاد بن بشر، وأبو نائلة سلكان بن سلامة والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عبس بن جبر، وقالوا: يا رسول الله ائذن لنا في القول فإنه لا بد لنا من أن نقول، قال رسول الله ﷺ: **«قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك»** فخرج إليه أبو نائلة وكان أخاه من الرضاعة، وقيل في رواية صحيحة: خرج إليه محمد بن مسلمة، وعلى الأول الأكثرون من أئمة المغازي كما في سبل الهدى والرشاد؛ فلما رآه كعب أنكر شأنه وذعر منه فقال أبو نائلة، أو هو محمد بن مسلمة: حدث حاجة، فقال كعب وهو في نادي قومه: اذنُ إليَّ فخبرني بحاجتك، فتحدثا ساعة وصاحب رسول الله ﷺ يناشده الشعر، فقال كعب: ما حاجتك؟ لعلك تحب أن يقوم مَنْ عندنا؟ فلما سمع القوم قاموا، فقال صاحب

رسول الله ﷺ: أن هذا الرجل قد سألنا صدقة، ونحن لا نجد ما نأكل، وإنه قد عنّانا، قال كعب: وأيضاً والله لتملُّنّه. وقيل: إن الصحابي قال: إني جئتك في حاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عني، قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء، عادتنا العرب ورمونا عن قوس واحدة، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا، فقال كعب بن الأشرف: أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول، ولكن اصدُقني ما الذي تريدون من أمره؟ قال: خذلانه والتنحي عنه، قال: سررتني، ألم يَأنِ لكم أن تعرفوا ما عليه من الباطل؟ فقال الصاحب عليه رضوان الله: معي رجال من أصحابي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم فنبتاع منك تمراً وطعاماً وتحسن إلينا، وترهنك ما يكون لك فيه ثقة، قال أترهنوني أبناءكم؟ قال: أنا نستحيي أن يُعَيَّرَ ابناؤنا فيقال: هذا رهينة وسق وهذا رهينة وسقين، قال: اترهنوني نساءكم؟ قال: لقد أردت أن تفضحنا وتظهر أمرنا، أنت أجمل الناس ولا نأمنك، وأي امرأة تمتنع منك لجمالك؟ ولكنا نرهنك السلاح والحلقة ما ترضى به، ولقد علمت حاجتنا إلى السلاح اليوم، قال كعب: إن في السلاح لوفاءً. وأراد صاحب رسول الله ﷺ أن لا ينكر الخبيث السلاح إذا جاؤوا به فسكن إلى قوله وقال: جيء متى شئت.

فرجع رضي الله عنه من عنده على موعد فأتى أصحابه فأخبرهم فأجمعوا أمرهم أن يأتوه إذا أمسى لميعاده، ثم أتوا رسول الله ﷺ عشاء فأخبروه فمشى معهم ثم وجههم وقال: **«انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم»** وعند ابن سعد قال: **«امضوا على بركة الله وعونه»** ثم رجع ﷺ إلى بيته في ليلة مقمرة مثل النهار ليلة أربع عشرة من شهر ربيع الأول.

فمضوا حتى انتهوا إلى حصن ابن الأشرف فقال أحد الرجلين - محمد بن مسلمة أو أبو نائلة - قال لأصحابه: إذا ما رآكم كعب فإني جاذب بشعره فأشمه فإذا رأيتموني استمسكت من رأسه فدونكم فاضربوه.

فهتف أبو نائلة، وكان كعب بن الأشرف حديث عهد بعُرس فوثب في ملحفة، فأخذت امرأته بناحيتها، وقالت: إنك امرؤ محارَب، وإن أصحاب

الحرب لا ينزلون في هذه الساعة، فقال: إنه ميعادٌ عَلَيَّ، وإنما هو أخي أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني، فقالت: والله إني لأعرف في صوته الشر، فكلمهم من فوق البيت، وفي رواية قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر دماً، فقال لها كعب: إن الكريم إذا دعي إلى طعنة ليلاً لأجاب، فنزل متوشحاً بملحفة وهو ينفح طيباً، فجاءهم ثم جلس يتحدث معهم ساعة حتى انبسط إليهم، فقالوا: هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز فنتحدث فيه بقية ليلتنا هذه؟ فقال: إن شئتم، فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة، فقال أبو نائلة: نجد منك ريح الطيب، قال: نعم، تحتي فلانة من أعطر نساء العرب، قال: أفتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فأدخل أبو نائلة يده في رأس كعب ثم شم يده، فقال ما رأيت كالليلة طيباً، وإنما كان كعب يدهن بالمسك الفتيت بالماء والعنبر حتى يتلبد في صدغيه، وكان جعداً جميلاً، ثم مشى أبو نائلة ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن إليه وسلسلت يده في شعره، فأخذ بقرون رأسه وقال لأصحابه: اضربوا عدو الله، فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً ورد بعضها بعضاً، ولصق بأبي نائلة. قال محمد بن مسلمة: فتذكرت معولاً كان في سيفي حين رأيت أسيافنا لا تُغْني شيئاً فأخذته وقد صاح عدو الله أول ضربة صيحة لم يبق حولنا حصن من حصون يهود إلا أوقدت عليه نار. قال فوضعته في ثنيته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله. وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ في رجله، أصابه بعض أسياف القوم، فلما فرغوا حزوا رأس عدو الله ثم خرجوا يتستَّرون وهم يخافون من يهود الأرصاد حتى سلكوا على بني أمية بن زيد ثم على قريظة، وإن نيرانهم في الحصون لعالية، ثم على بعاث، حتى إذا كانوا بحرة القُرَيْض تخلف الحارث فأبطأ عليهم فناداهم: أقْرِئوا رسول الله ﷺ مني السلام، فعطفوا عليه فاحتملوه حتى أتوا رسول الله ﷺ، فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا فلما سمع رسول الله عليه الصلاة والسلام تكبيرهم كبَّر وعرف أنْ قد قتلوه، ثم أتوه يعدون حتى وجدوه واقفاً على باب المسجد، فقال ﷺ: **«أَفْلَحَتِ الوجوه»**، قالوا: **«ووجهك يا رسول الله»**، ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله تعالى على قتله

ثم أتوا بصاحبهم الحارث بن أوسْ فتفل رسول الله ﷺ على جرحه فلم يؤذه، ورجعوا إلى منازلهم.

قال الصالحي: فلما أصبح رسول الله ﷺ قال: «**من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه**» قال: فخافت يهود أن يُبَيَّتُوا كما بُيّت ابن الأشرف.

وقال ابن سعد: فأصبحت اليهود مذعورين فجاؤوا رسول الله ﷺ فقالوا: قُتِل سيدنا غيلة، فذكَّرهم رسول الله ﷺ صنيعه وما كان يحض عليهم ويحرض على قتالهم ويؤذيهم. ا هـ. ملخصاً بتصرف من سبل الهدى والرشاد للصالحي.

غزوة بني قينقاع

ويحتمل أنها من أحداث السنة الثانية غير أن ابن كثير في البداية صنفها مع أحداث السنة الثالثة، قال وقد زعم الواقدي أنها كانت في يوم السبت النصف من شوال سنة اثنتين من الهجرة فالله أعلم. قال الصالحي: وهم قوم عبدالله بن سلام، وكانوا حلفاء عبدالله بن أُبَيّ بن سلول، وعبادة بن الصامت وغيرهما من قومهما، وكانوا أشجع يهود وهم صاغة، وقد كانت الكفار بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة أقسام: قسم وادعهم على أن لا يحاربوه ولا يوالوا عليه عدوه، وهم: قريظة، والنضير، وقينقاع، وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة، وهم قريش، وقسم تاركوه ينتظرون ما يؤول إليه أمره. وقدمنا أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وادع يهود وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم وشرط عليهم. فلما كان بدر كان بنو قينقاع أول يهود نقضوا العهد وأظهروا البغي والحَسَد، وقطعوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد، فقد جمعهم عليه الصلاة والسلام بسوق بني قينقاع وقال: «**يا معشر يهود أسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله، يا معشر يهود**

احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة فأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم». قالوا: يا محمد إنك ترى أنا مثل قومك، لا يغرّنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس. قال الصالحي: فبينما هم على ما هم عليه من إظهار العداوة ونبذ العهد، قدمت امرأة من العرب بِجَلَبٍ لها فباعت بسوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ بالسوق لِحُلِيٍّ عندها، فجعلوا يراودون على كشف وجهها فلم تفعل، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها من ورائها فحله بشوكة وهي لا تشعر فلما قامت بدت عورتها فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديًا، وشدت يهود على المسلم فقتلوه ونبذوا العهد إلى النبي ﷺ واستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود وغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ الآية من الأنفال، قال رسول الله ﷺ: **«إنما أخاف بني قينقاع»**، فخرج إليهم لهذه الآية، وحمل لواءه حمزة بن عبدالمطلب وكان أبيض، واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبدالمنذر، فتحصنوا في حصنهم فحاصرهم ﷺ أشد حصار، فأقاموا على ذلك خمس عشرة ليلة، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ على أن له أموالهم وأن لهم النساء والذرية فأمر بهم فكتفوا، واستعمل على كتافهم المنذر بن قدامة السَّلمي بفتح السين المهملة واللام، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ، وكان له من حلفهم مثل ما لعبدالله بن أبي بن سلول، فجعلهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله تعالى ورسوله من حلفهم، وقال: يا رسول الله أتولَّى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ إلى الله من حلف هؤلاء الرجال.

وقام إلى رسول الله ﷺ عبدالله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد، أحسن في مواليَّ، وكانوا حلفاء الخزرج فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال يا محمد أحسن في مواليَ فأعرض عنه،

فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ من خلفه وكان يقال لها ذات الفضول، فقال له رسول الله ﷺ: «**ويحك أرسلني**» قال: والله لا أرسلك وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظُلَلاً ثم قال ويحك أرسلني قال والله لا أرسل حتى تُحسِنَ في مواليّ أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فقال رسول الله ﷺ: خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم، وتركهم من القتل وأمر بهم أن يجلوا من المدينة، فخرجوا بعد ثلاث، ووَلِيَ إخراجَهم منها عبادة بن الصامت، وقيل: محمد بن مسلمة، فلحقوا بأذرعات.

وأخذ رسول الله ﷺ من سلاحهم ثلاث قسي: قوساً منها يدعى الكتوم كسرت بأحد، وقوساً يدعى الروحاء، وقوساً يدعى البيضاء، وأخذ درعين: درعاً يقال له الصُغْدِيَّة، وأخرى فضّة، وثلاثة أرماح، وثلاثة أسياف: سيف قلعي، وسيف يقال له البتَّار، وآخر لم يسم، ووجد في منازلهم سلاحاً كثيراً وآلة للصياغة.

فأخذ عليه الصلاة والسلام صفيه والخمس، وفض أربعة أخماس على أصحابه فكان أول خمس بعد بدر، وكان الذي قبض أموالهم محمد بن مسلمة وأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني عبدالله بن أبي وقوله: إني أخشى الدوائر ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥١ ـ ٥٥] الآيات من سورة المائدة ا هـ. سبل الهدى بتصرف.

قال ابن كثير: ولما قال رسول الله ﷺ: «**من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه**» قام مُحَيِّصة بن مسعود فقتل ابن سُنينَة، تاجر من تجار اليهود

كان يلابسهم ويبايعهم، وكان أخوه حويصة بن مسعود أسن منه، ولم يسلم بعدُ فجعل يضرب محيصة ويقول: أقتلته؟ أما والله لرب شحم في بطنك من ماله، قال محيصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك، قال: فوالله لكان أول إسلام حويصة، وقال: آللّهِ لو أمرك محمد بقتلي لتقتلنّي؟ قال محيصة: نعم والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها، قال حويصة: والله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب، فأسلم حويصة. قال محيصة في ذلك:

يلوم ابنُ أمّ لو أمرتُ بقتله ... لطبقت ذفراه بأبيض قاضب
حسام كلون الملح أُخلِصَ صَقْلُه ... متى ما أصوبه فليس بكاذب
وما سرى أقتلتك طائعاً ... وأن لنا ما بين بُصرى ومأرب

قلت: ولقد ذكر العلامة غالي بن المختار فال في بعوثه بعث محمد بن مسلمة بن خلف بن عدي بن مجدعة، بن حارثة بن الخزرج بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس، وبنو مجدعة حلفاء بني عبدالأشهل. قال عليه رحمة الله وتقبل الله منا ومنه ومن جميع المسلمين كل عمل صالح:

ثُمَّ محمَّداً سليلَ مَسْلَمَهْ ... إلى ابن الأشرف عدوِّ المُسْلِمَهْ
فَقَدَّمُوا أمَامَهُمْ رَضِيعَهْ ... فَذَكَرَ الرَّهْنَ لَهُ خديعَهْ
وجَاءَه بِقَوْمِهِ فاسْتَنْزَلُوهْ ... وخَرَجُوا بِهِ لِكَيْمَا يَقْتُلُوهْ
فَشَمَّ سِلْكَانُ أخُوهُ فَوْدَهُ ... رَضَاعَةً وَشَامَ فِيهِ يَدَهُ
ثَانِيَةً وَقَالَ لِلْقَوْمِ اضْرِبُوهْ ... فاخْتَلَفَتْ أسْيَافُهُمْ إذْ ضَرَبُوهْ
فَشَقَّهُ مُحَمَّدٌ بِمِغْوَلِ ... لَمَا نَبَتْ سُيُوفُ عَبْدِ الأَشْهَلِ
جَاؤُوا بِرَأْسِهِ فَإذْ رَمَوْهْ ... قَالَ لَهُمْ أفْلَحَتِ الوُجُوهْ
وَحَمَلُوا الحَارِثَ لَما جَرَحُوهْ ... وتَفَلَ الهَادِي بِهِ إذْ طَرَحُوهْ

بعث زيد بن حارثة
إلى عير قريش

قال ابن كثير كان بعد بدر بستة أشهر، وقال الصالحي: كانت في أول جمادى الآخرة سنة ثلاث، وهي أول سرية خرج فيها زيد أميراً، وسببها أن قريشاً بعد وقعة بدر خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكونه إلى الشام، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فَضّة كثيرة وهي جل تجارتهم، وخرج صفوان بن أمية بمال كثير نقر فضة، وآنية فضة وزن ثلاثين ألف درهم، وأرسل معه أبو زمعة ثلاثمائة مثقال ذهب ونقر فضة، وبعث معه رجال من قريش ببضائع وخرج معه عبدالله بن أبي ربيعة، وحويطب بن عبدالعزى في رجال من قريش: واستأجروا فرات بن حيان من بني بكر بن وائل، قاله ابن إسحاق. وقال محمد بن عمر الواقدي وابن سعد وابن هشام: هو من بني عجل، وزاد ابن هشام أنه حليف لبني سهم.

فخرج الخريت بهم على طريق ذات عرق، فبلغ رسول الله أمرهم فأرسل زيد بن حارثة في مائة رجل فاعترضوا لها بالقردة فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم وأسروا رجلين أو ثلاثة، وقدموا بالعير على رسول الله ﷺ، فخمسها، فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم وقسم الباقي على أهل السَّرية، وكان في الأسارى فرات بن حيان، وكان أسر يوم بدر، فأفلت على قدميه، فكان الناس أحنق شيء عليه وكان الذي بينه وبين أبي بكر حسناً، فقال له: أما آن لك أن تقصر؟ قال: إن أفلت من محمد هذه المرة فلم أفلت أبداً، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أسلِمْ، فأتى رسول الله ﷺ فأسلم فتركه رسول الله ﷺ.

قلت: وذكر الشيخ غالي في بعوثه بعث زيد بن حارثة فقال:

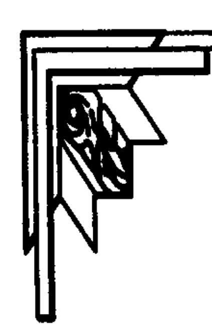
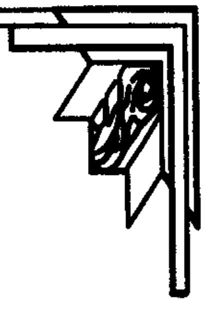
ثُمَّ ابْنَ حارِثَة زيداً فذهَبْ ... لِعير صَخْرٍ وجَميعَهَا نَهَبْ
بِقَرْدَةٍ ويَا لَهَا مِنْ مَغْنَم ... فِضَتُها مائة ألفِ درهم

هذا، وقد تعرض العلامة الشيخ أحمد البدوي في المغازي للغزوات ما بين بدر وأحد بأبيات من رجزه يقول فيها:

فلِسُلَيْم فلقَيْنُقَاعِ   المُتَصَدِّينَ إلى الْقَرْعِ
هُمْ كَشَفُوا إِزَارَهَا عن مُسْلِمَهْ   فَهَاجَ حَرْبٌ بَيْنَهُمْ والمُسْلِمَهْ
لو آمَنَتْ مِنَ اليهود كلها   زُهَاءُ عَشْرَةَ اهْتَدَوْا لِأَجْلِهَا
عَادُوا لِلْإِفْسَادِ فَعَادَ اللَّهُ   وقَيْنُقَاعُ الغُمَّةُ الغَزَاهْ
أَوَّلُ مَنْ غَدَرَ من يَهُودَا   وابْنُ أُبَيٍّ سَأل الْقُرُودَا
نبينا وَهُمْ أسارى سَطْوَتِهْ   فأُطْلِقُوا وطُرِدُوا من طَيْبَتهْ
فَغَزْوَةُ السويق في إِثْر أبي   سُفْيَانَ أنْ حَرَّقَ نَخْلَ يثرب
وَغَالِ نَفْسَيْنِ وكَانَ آلى   لا يَقْرَبُ النِّسَاءَ أوْ يَنَالاَ
وكان يُلْقِي جرب السُّويق   مخافَةَ اللُّحوقِ في الطريقِ
فسميت بذاك ثم بَعْدَها   قَرْقَرَةُ الْكُدْرِ لِقَوْم عِنْدَهَا
وَبَعْدَهَا ذُو أَمَرْ وغطفانْ   كِلاَهُمَا تُدْعَى به وتُسْتَبَانْ
لغطفان وجموع ثعلبة   جَمَعَهَا دُعْثُورُ صَاحِبُ الظَّبَهْ
وهو الذي وجد خير مرسل   يُجِفُّ ثوبَيْن له بمغزلِ
فَسَأَلَهَا وَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَا   فَصَدَّهُ جبريلُ عَمَّا انْتَهَكَا
وفيه غَوْرث أو النضير   (إذْ هَمَّ قَوْمٌ) أنزلتْ على البَشِير
وبعدها غَزْوَة بحران إلى   أم القُرى أو لسليم الجَهَلاَ

هذا وقد قدمنا تفاصيل هذه الغزوات كما قدمنا الخلاف في المتقدم منها والمتأخر عن الآخر وبالله تعالى التوفيق.



غزوة أحد
في شوال سنة ثلاث من الهجرة

ذكر ابن كثير: سمى أحد أحداً لتوحده من بين تلك الجبال؛ وفي الصحيح: «أُحُدٌ جبل يحبنا ونُحبُّه» وخاضوا في تأويل ذلك ولا مانع من إجرائه على ظاهره، فالنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، والله عز وجل قادر على خلق الإرادة للجمادات، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ﴾ الآية من البقرة، وقد ثبت في الصحيح حنين الجذع الذي كان يتوكأ عليه لما صنع له ﷺ منبره، وثبت في الصحيح كذلك أنه، بأبي وأمي هو، قال: «**إني أعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ**»، فلمَ إذاً هذا التخبط لتأويل الحديث بقولهم يحبنا أهله، وغير ذلك مما لم تدع الضرورة إليه؟؟ كانت هذه الغزوة في شوال، قال ابن إسحاق في النصف منه، وقال قتادة يوم السبت الحادي عشر منه، وقال مالك كانت أول النهار، والمشهور إنها سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ من سورة آل عمران.

وسوف ألخص باختصار ما استطعت هذه الوقعة فيما يلي:

لما أصيب أصحاب القليب يوم بدر فهلك من هلك عن بينة وحيي من حيي عن بينه وأنجز الله وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ورجع فل قريش إلى مكة وكان أبو سفيان وصل بعيره سالمة، مشى صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، وحويطب بن عبدالعزى، والحارث بن هشام في نفر ممن قتل آباؤهم أو أبناؤهم أو إخوانهم، مشوا إلى أبي سفيان ومن كان له تجارة في تلك العير، فقالوا إن محمداً وتركم وقتل خياركم فأعينونا من هذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأراً ففعلوا. قال ابن إسحاق: وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ الآية من الأنفال.

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة، فقال صفوان بن أمية لأبي عزَّة عمرو بن عبدالله الجمحي إنك امرؤٌ شاعر فأعنا بلسانك واخرج معنا، فقال: إن محمداً قد منَّ عليَّ فلا أريد أن أظاهر عليه، قال: بلى، أعنا بلسانك فلك الله إن رجعت أن أغنيك وإن قتلت لأجعلن بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عُسْرٍ ويُسْر فخرج أبو عزَّة يدعو بني كنانة ويقول:

يا بني عبد مناة الرُّزامْ ... أنتم حماةٌ وأبوكم حامْ
لا تعدوني نصركم بعد العامْ ... لا تُسلموني لا يحل إسلامْ

وخرج نافع بن عبدمناف بن وهب بن خذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويقول:

يا مالِ مالِ الحسبِ المقدم ... أنشِد ذا القربى وذا التذمُّمِ
من كان ذا رحمْ ومن لم يرحم ... الحلفَ وسْطَ البلد المحرم
عند حطيم الكعبة المعظم

فخرجت قريش من مكة لخمس من شوال سنة ثلاث، وخرجوا معهم

بالطعن التماساً للحفيظة لئلا يفروا، وخرج أبو سفيان بزوجته هند بنت عتبة وكذلك خرج الأشراف من قريش بزوجاتهم ومعهن الدفوف يبكين قتلى بدر، ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشيًا يقذف بحربة له قلّما يخطىء بها، فقال له: إن أنت قتلت حمزة عمَّ محمد بعمّي طعيمة فأنت حر، وكانت هند كلما مر بها وحشي تقول: ويها أبا دسمة، اشفِ واسْتَشْفِ، وكان أبو عامر الفاسق ـ عبد عمرو بن صيفي ـ قد خرج في خمسين رجلاً من المنافقين إلى مكة وحرض قريشاً وسار معها وهو يعدها أن قومه يؤزرونهم، وهمت قريش لما نزلوا الأبواء هموا بنبش قبر أم رسول الله ﷺ لكن الله تعالى كفهم عن ذلك قاله الصالحي.

وشاع خبر قريش ومسيرهم في الناس، وأرجف اليهود والمنافقون، وقدم عمرو بن سالم الخزاعي في نفر من قومه قد فارقوا قريشاً من ذي طوبى فأخبروا النبي ﷺ وانصرفوا. وبعث رسول الله ﷺ أنساً ومؤنساً ابْنَيْ فُضالة الظفريين ليلة الخميس لخمس مضين من شوال عينين فاعترضا لقريش بالعقيق وعادا فأخبرا رسولِ الله بخبرهم وأنهم قد خَلَّوْا إبلهم وخيلهم في الزرع الذي بالعُريض حتى تركوه ليس به شيء أخضر، ثم إن رسول الله أرسل إليهم الحباب بن المنذر بن الجموح فنظر إليهم وحزر عددهم وما معهم ورجع إلى رسول الله ﷺ فقال: **«حسبنا الله ونعم الوكيل، لا تذكر من شأنهم حرفاً، اللهم بك أجول وبك أصول»**.

وباتت وجوه الأوس والخزرج ليلة الجمعة عليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله ﷺ خوفاً من بيات المشركين، وحرست المدينة حتى أصبحوا ولما أصبح رسول الله ﷺ قال لأصحابه: **«إني رأيت في المنام سيفي انكسر، وهي مصيبة، ورأيت بقراً تذبح، وهي مصيبة، ورأيت عليّ درعاً حصينة وهي مدينتكم لا يصلون إليها إن شاء الله»**.

وقد رويت هذه الرؤيا بألفاظ مختلفة قريبٌ بعضُها من بعض، ولما جاءه أصحابه، حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم ذكر الرؤيا لهم وقال: **«إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة ونجعل النساء والذرية بالآطام، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن دخلوا علينا قاتلناهم بالأزقة نحن أعلم بها منهم ورُموا من فوق**

الصياصي والآطام»، وكان هذا الذي ذكره ﷺ رأي الأكابر من المهاجرين والأنصار، وكان عبدالله بن أبي رأى هذا الرأي. فقال جمع من المسلمين جلهم الأحداث ولم يشهدوا بدراً وطلبوا الشهادة وأحبوا لقاء العدو، وأكرم الله بالشهادة في أُحُدٍ جُلَّهم، قالوا: يا رسول الله، اخرج بنا إلى عدونا لا يرون أنا جَبُنّا عنهم، فقال ابن أبي: يا رسول الله، أقِمْ بالمدينة ولا تخرُجْ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله إن أقاموا أقاموا بشر مجلس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، فقال حمزة بن عبدالمطلب وسعد بن عبادة والنعمان بن بدر في طائفة من الأنصار: إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جبنا عن لقائهم، فيكون هذا جراءة منهم علينا، وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفَّرك الله تعالى عليهم ونحن اليوم بشر كثير، قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله تعالى به فساقه الله تعالى إلينا في ساحتنا، ورسول الله ﷺ كاره لما يرى من إلحَاحِهم وقد لبسوا السلاح.

وقال حمزة: والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة. وكان رضي الله عنه صائماً يوم الجمعة ويوم السبت كذلك.

فلما كثر حثهم على الخروج صلّى ﷺ الجمعة بالناس وبشرهم بالنصر إن هم صبروا ثم دخل ﷺ حجرته بعد صلاة العصر ومعه أبو بكر وعمر وخرج لابساً لأمته وقد لبس الدرع فأظهرها وحزم وسطه بمنطقة من حمائل سيف من أدم واعتم وتقلد السيف، فلما خرج عليهم قالوا: يا رسول الله، إنْ شئت فاقعد، فقال: «**ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل**» فخرج في ألف من أصحابه واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، قال ابن إسحاق: حتى إذا كان بالشَّوط بين المدينة وأحد انخزل عنه ابن أبي بن سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري على ما نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس، فرجع بمن اتبعه من المنافقين والذين في قلوبهم مرض واتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام السلمي فقال: يا قوم، أذكركم الله أن لا تخذلوا

نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوهم، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون قتال، فلما أبوا إلا الانصراف قال: أبعدكم الله أعداء الله، فيُغْني الله عَنكم نبيه ﷺ، قال ابن كثير: وهؤلاء هم الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾... الآية من آل عمران. قال: وقد نزل فيهم أيضاً قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾... الآية من النساء.

وعن الزهري أن الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ أن يستعينوا بحلفائهم من اليهود، فقال: «**لا حاجة لنا فيهم**»، وورد أن بني سلمة وبني حارثة لما رجع عبدالله بن أبي بن سلول وأصحابه هموا بالفشل فثبتهم الله، وأنه نزل في ذلك: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾... الآية من آل عمران، وفي الصحيح: أن جابر بن عبدالله قال: ما أحب أنها لم تنزل والله يقول ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

قال: ومضى رسول الله ﷺ فسلك في حرة بني حارثة فذب فرس بذنبه فأصاب كُلاَّب سيف فاستله، فقال رسول الله ﷺ: «**يا صاحب السيف شِمْ سيفك**» أي أغمده «**فإني أرى السيوف ستُسَلُّ اليوم**» ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**من رجل يخرج بنا على القوم من كثب**» فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث: أنا يا رسول الله، فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك به بستان مِربع بن قيظي وكان رجلاً منافقاً أعمى البصر والبصيرة، فلما سمع حس رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين قام يحثي في وجوههم التُراب ويقول: إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل في حائطي، وذكر ابن إسحاق أن هذا المنافق أخذ حفنة من التراب وقال: واللّهِ لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك، فابتدره القوم ليقتلوه، فنهاهم رسول الله ﷺ عن قتله، وقال: «**فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصيرة**». وقبل نهي رسول الله ﷺ عنه ابتدره سعد بن زيد الأشهلي فضربه بالقوس على رأسه فشجه.

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وقال: **«لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال»** وعبأ رسول الله ﷺ قومه للقتال وكان في سبعمائة رجل، وأمر على الرماة عبدالله بن جبير رضي الله عنه أخا بني عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلاً، فقال: انضح الخيل عنا بالنّبل لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك. وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير أخي بني عبدالدار هذا، وقد كان استصغر أطفالاً في الرابعة عشر من أعمارهم فردهم عن القتال منهم عبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وأسيد بن ظهير، وعَرابة بن أوس بن قيظي، وسمرة بن جندب، ورافع بن خديج، فقيل: يا رسول الله إن رافعاً رامٍ فأجازه، فقيل: يا رسول الله إن سمرة يصرع رافعاً فأجازه أيضاً.

وتعبَّأتْ قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل.

وقال رسول الله ﷺ: **«من يأخذ هذا السيف بحقه؟»** فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام أبو دجانة فقال وما حقه يا رسول الله؟ قال أن تضرب به في العدو حتى ينحني، قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه فأعطاه إياه. روي عن الزبير بن العوام قال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله السيف فمنعني وأعطاه أبا دجانة وتركني، والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فأخرج عصابة حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت وخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليل ... ونحن بالسفح لذي النخيل

أن لا أقوم الدهر بالكيُّول ... أضرب بسيف الله والرسول

فقال: فكان لا يلقى رجلاً إلا قتله، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحاً إلاَّ ذفَّفَ عليه فجعل كل منهما يدنو من الآخر فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته

فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها، فقلت الله ورسوله أعلم.

وقد روى البيهقي في الدلائل عن طريق هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام بذلك قال أبو إسحاق قال أبو دجانة: رأيت إنساناً يحمس الناس حمساً شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة فأكرمت رسول الله ﷺ أن أضرب امرأة بسيفه.

وذكر ابن إسحاق أن أبا عامر الفاسق كان يعد قريشاً أن لو لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس نادى أبو عامر: يا معشر الأوس أنا أبو عامر، قالوا لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق، فلما سمع ردهم قال لقد أصاب قومي بعدي شر.

مقتل حمزة رضي الله عنه

قاتل حمزة بن عبدالمطلب حتى قتل أرطأة بن عبدشرحبيل بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار فكان من حملة اللواء، وقتل عثمان بن أبي طلحة وهو يحمل اللواء يقول:

إنَّ على أهل اللواء حقاً   أن يخضبوا الصعدة أو تندقا

فحمل عليه حمزة فقتله، ثم مر به سباع بن عبدالعزى الغبشاني، وكان يكنى بأبي نيار، فقال: هلم إليَّ يا ابن مقطعة البظور، وكانت أمه ختانة بمكة، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله، قال وحشي: والله لأنظر إلى حمزة يحصد الناس بسيفه ما يليق شيئاً يمر به مثل الجمل الأورق، فمر عليَّ فهززت حربتي حتى إذا رضيتُ منها دفعتُها إليه فوقعت في ثُنّته حتى خرجت من بين رجليه، فالتفت نحوي فغلب فوقع وأمهلته حتى إذا مات جئتُ فأخذت حربتي ثم تنحيت إلى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجة غيره.

قال الصالحي: واقتتل الناس يومئذ قتالاً شديداً وحميت الحرب وأبلى أبو دجانة أيضاً وطلحة بن عبيدالله، وحمزة بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب وأنس بن النضر وسعد بن الربيع وأنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده وحسوهم بالسيف حتى كشفوهم عن العسكر ونهكوهم قتلاً، وقد حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مغلولة، وكانت الرماة تحمي ظهور المسلمين يرشقون خيل المشركين بالنبل فلا يقع إلا في فرس أو في رجل فتولي هَوَارِبَ، وقال عمر بن الخطاب يوم أحد لأخيه زيد بن الخطاب، يا أخي خذ درعي هذه، فقال له: إني أريد من الشهادة مثل ما تريد فتركاها جميعاً، رواه أبو نعيم. ولما اشتد القتال يومئذ جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار وأرسل إلى عليّ أن قدم الراية، فتقدم عليّ وقال: أنا أبو الفُصَم، وصاح طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين: هل من مبارز، فلم يبرز إليه أحد، فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار، كذبتم واللاّتِ لو تعلمون أن ذلك حق لخرج إليّ بعضكم، فبرز إليه عليٌّ بن أبي طالب فالتقيا بين الصفين فبدره عليّ فصرعه ولم يجهز عليه، فقال له بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته فعطفني عليه الرحم، وعرفت أن الله تعالى قتله، وكان قتل صاحب لواء المشركين تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ، كأني مردف كبشاً، فسرَّ رسول الله ﷺ وأظهر التكبير وكبَّر المسلمون وشدوا على المشركين يضربونهم حتى اخْتَلَّتْ صفوفهم وصار أصحاب رسول الله ﷺ كتائب متفرقة فجاسوا العدو ضرباً حتى أجهضوهم عن أثقالهم، فحمل لواءهم عثمان بن أبي طلحة أبو شيبة، فحمل عليه حمزة بن عبدالمطلب فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده ورجله حتى انتهى إلى مؤتزره وبدا سحره فقتله، فحمله أبو سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته فدلع لسانه فقتله، فحمله مسافع بن طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتله، فحمله الحارث بن طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتله، كلاهما يشعره سهماً فيأتي أمه سلافة بنت سعد بن الشُّهَيْد فيضع رأسه في حجرها فتقول:

من أصابك يا بني؟ فيقول: سمعت رجلاً رماني يقول: خذها وأنا ابن أبي الأقلح، فنذرت إن أمكنها الله أن تشرب الخمر في قحف عاصم بن ثابت، وجعلت لمن يأتي به مائة من الإبل، فحمل اللواء كلاب بن طلحة بن أبي طلحة قتله الزبير بن العوام، وقيل: قزمان، فحمله الجُلاَس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيدالله، فحمله أرطأة بن شرحبيل فقتله عليُّ بن أبي طالب، فحمله شريح بن قارظ فقتل وليس يدري من قتله، فحمله أبو زيد بن عمير بن عبدمناف بن هاشم بن عبدالدار فقتله قزمان، فحمله قاسط بن شرحبيل بن هاشم بن عبدالدار فقتله قزمان أيضاً، فحمله صؤاب غلام لهم حبشي، فقالوا: لا نؤتين من قِبَلِك، فقطعت يمينه فأخذ اللواء بشماله فقطعت، فالتزم القناة بصدره وعنقه وقال: اللهم هل أعزرت؟ فقالوا نعم، فرماه قزمان فقتله، وهو أثبت ما قيل في ذلك، فتفرق المشركون، فأخذت اللواء عمرة بنت علقمة الحارثية فأقامته فثابوا إليه.

ولما قتل أصحاب اللواء انكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون يقتلونهم حيث شاؤوا حتى أجهضوهم عن العسكر. ولما رأى أصحاب عبدالله بن جبير، وهم الرماة، لما رأوا ما حصل للمشركين من الهزيمة، قالوا: الغنيمةَ، الغنيمةَ. لِمَ تقيمون هاهنا في غير شيء، قد هزم الله تعالى العدو، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم، فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع إخوانكم، فقال عبدالله بن جبير: ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ قال لكم: «**احموا ظهورنا ولا تبرحوا من مكانكم، وإذا رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن غنمنا فلا تشركونا، احموا ظهورنا؟**» فقال الآخرون: لم يرد رسول الله ﷺ هذا وانطلَقوا فلم يبق مع الأمير عبدالله بن جبير إلاَّ دون العشرة وذهب الباقون إلى عسكر المشركين ينتهبون، فنظر خالد بن الوليد إلى جبل الرماة وقلة من بقوا عليه وكرَّ بالخيل عليهم وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم وثبت عبدالله بن جبير فقاتل حتى قتل ومن ثبت معه ومثل به رضي الله عنه أشنع تمثيل، فبينما المسلمون يشتغلون بالنهب والغنائم إذ دخلت الخيل تنادي فرسانها بشعارهم: يا لَهُبل، يا للعزى،

ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون، ولما رأى المشركون خيلهم ظاهرة رجعوا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم قتلاً ذريعاً وتفرق المسلمون في كل وجه لا يلوون على شيء وتركوا ما نهبوا ومن أسروا وانتقضت صفوف المسلمين واستدارت رحى الحرب فكانت الريح أول النهار صباً فصارت دبوراً، وكر الناس منهزمين يحطم بعضهم بعضاً، وصرخ الشيطان لعنه الله، أي: عباد الله إخوانكم فرجعت أولاهم تقاتل مع أخراهم وهم يظنون أنهم العدو، وهكذا كان يريد الشيطان من صراخه أن يقتل المسلمون بعضهم بعضاً.

ولقد كان أول النهار للمسلمين ما نصر الله نبيه في وقعة مثل ما نصره يوم أحد قبل أن يخالفوا أمر رسول الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾... الآية من آل عمران.

ثم إن الشيطان لعنه الله صرخ عند جبل عينين وهو في صورة جعال بن سراقة رضي الله عنه: إنَّ محمداً قد قتل ثلاث صرخات، ولم يشك أحد في صدق ذلك، وكان جعال رضي الله عنه ذلك الوقت إلى جنب أبي بردة يقاتل أشد قتال، فقال جماعة من المسلمين: إن كان رسول الله ﷺ قد قتل أفلا تقاتلون عن دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله وأنتم شهداء، وقال جماعة: ليت لنا رسولاً إلى عبدالله بن أبي ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم، واختلط المسلمون فصاروا يقاتلون على غير شعار ويضرب بعضهم بعضاً وهو لا يدري، وانهزمت طائفة منهم حتى دخلت المدينة فلقيتهم أم أيمن فجعلت تحثو في وجوههم التراب وتقول لبعضهم: هاك المغزل فاغزل، وهلم سيفك.

ولمّا انكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ لم يبق منهم معه إلا نفر

يسير، ولم يَبْقَ للمسلمين لواء قائم، وأصعد بعض المسلمين في الجبل واستشهد منهم من أكرمه الله بالشهادة، ولما بلغ رسول الله ﷺ ما صرخ به الشيطان قال: «**هذا أزب العقبة**».

ذكر ثبات رسول الله ﷺ

روى البيهقي عن المقداد بن عمرو رضي الله عنه فذكر حديثاً في يوم أحد وقال: فأوجعوا فينا قتلاً ذريعاً، ونالوا من رسول الله ﷺ ما نالوا، ألا والذي بعثه بالحق إنْ زال رسول الله ﷺ شبراً واحداً وإنه لفي وجه العدو، ويفي إليه طائفة من أصحابه مرة وتفترق عنه مرة أخرى، ولربما رأيته قائماً يرمي عن قوسه ويرمي بالحجارة حتى تحاجزوا وثبت رسول الله ﷺ في طائفة ثبتت، وما يزال يرمي عن قوسه حتى تقطع وَتَرُهُ وبقيت في يده منه قطعة تكون شبراً في سية القوس، فأخذ القوس عكاشة بن محصن يوتره له، فقال: يا رسول الله، لا يبلغ الوتر، فقال: «**مدّه فيبلغ**»، قال عكاشة: فالذي بعثه بالحق لمددته حتى بلغ، وطويت منه ليلتين أو ثلاثاً على سية القوس، ثم أخذ رسول الله قوسه فما زال يرمى به وأبو طلحة يستره متترساً عنه حتى تحطمت القوس وصارت شظايا وفنيت نبله، فأخذ القوس قتادة بن النعمان فلم تزل عنده. وثبت معه خمسة عشر رجلاً: ثمانية من المهاجرين هم: أبو بكر وعمر وعليّ وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح؛ وسبعة من الأنصار هم: الحباب بن المنذر وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت، والحارث بن الصمة، وسهل بن حنيف، وسعد بن معاذ وقيل سعد بن عبادة، ومحمد بن مسلمة، وقيل: ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلاً كلهم يقول: وجهي دون وجهك يا رسول الله ونفسي دون نفسك وعليك السلام غير مودع، وبايعه ﷺ يومئذ ثمانية على الموت، ثلاثةَ من المهاجرين هم: عليّ والزبير وطلحة، وخمسة من الأنصار

هم: أبو دجانة، والحارث بن الصمة، والحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف، فلم يقتل منهم أحد.

ذكر عظيم أجر رسول الله ﷺ بما فعله معه المشركون

أراد المشركون قتل رسول الله ﷺ:

رماه عتبة بن أبي وقاص، عليه لعنة الله، بأربعة أحجار كسر حجر منها رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى.

ورماه عبدالله بن قَمِيئة، عليه لعنة الله، فشج وجنته إذْ دخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وعلاه هذا الملعون بالسيف، وكان عليه الصلاة والسلام مظاهراً بين درعين، فوقع، بأبي هو وأمي، في حفرة أمامه على جنبه، وهي من حفر أبي عامر الفاسق اليّ حفرها ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، وقد روى ابن جرير أنه عليه الصلاة والسلام أغمي عليه فأخذ عليّ بن أبي طالب بيده، ورفعه طلحة بن عبيدالله حتى استوى قائماً، وأنه جحشت ركبتاه، قال: ولم يصنع سيف ابن قميئة شيئاً غير وهن الضربة بثقل السيف الذي مكث شهراً يجد وهنها على عاتقه.

وذكروا أن عبدالله بن شهاب الزهري شَجَّ رسول الله ﷺ حتى سال الدم على لحيته الشريفة، فداه أبي وأمي.

وروى أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا ابن المبارك عن إسحاق عن يحيى بن طلحة بن عبيدالله أخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة، قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله لطلحة، ثم أنشأ يحدث قال: كنت أول فاء يوم أحد فرأيت رجلاً يقاتل في سبيل الله دونه، وأراه قال: حمية، قال: قلت كن طلحة، حيث فاتني ما فاتني، قلت:

يكون رجلاً من قومي أحب إليَّ، وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله منه وهو يخطف المشي خطفاً لا أخطفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته، وشُجَّ في وجهه، وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر، قال رسول الله ﷺ: **«عليكما صاحبكما»** يعني طلحة وقد نزف فلم نلتفت إلى قوله، قال: وذهبت لأنزع ذلك من وجهه فقال: أقسم عليك بحقي لما تركتني، فتركته، فكره تناولهما بيده فيؤذي رسول الله ﷺ فأزم عليها بفيه، فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثنيته مع الحلقة، وذهبت لأصنع ما صنع فقال: أقسمت عليك بحقي لما تركتني، قال ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى ووقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة فكان أبو عبيدة اهتم من أحسن الناس هتماً رضي الله عنه، فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا به بضع وسبعون ما بين طعنة ورمية وضربة وإذا هو قد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه.

وأخرج ابن إسحاق بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال ما حرصت على قتل أحد قط، ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص، وإن كان ما علمت لسيىء الخلق مبغضاً في قومه، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ: **«اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله»**. وقال عبدالرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عثمان الحرري عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ورمى وجهه فقال: **«اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً»** فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار.

قال ابن كثير: ولما نال ابن قميئة ما نال من رسول الله ﷺ، رجع وهو يقول: قتلت محمداً، وصرخ الشيطان أزب العقبة يومئذ بأبعد صوت: ألا إن محمداً قد قتل، فحصل بهتة عظيمة في المسلمين، واعتقد كثير من الناس ذلك وقرروا القتال عن حوزة الإسلام حتى يموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، وقد أنزل الله تعالى التسلية في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ

ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٥) وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ (١٤٧) فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٤٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ (١٤٩) بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ (١٥٠) سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ (١٥١) وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٥٢)﴾ من آل عمران.

قال: وكان أبي بن خلف أخو بني جمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال: بل أنا أقتله إن شاء الله، فلما كان يوم أحد أقبل أبيٌ في الحديد مقنعاً وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبدالدار يقي رسول الله ﷺ بنفسه، فقتل مصعب، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها بالحربة فوقع على الأرض عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أجزعك؟ إنما هو خدش، وذكر لهم قول رسول الله ﷺ: **«أنا أقتل أُبيًا»**، ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون فمات إلى النار، فسحقاً لأصحاب السعير. وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: **«اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله»**.

وأخرج البخاري: وقال حميد وثابت عن أنس: شجَّ النبي ﷺ يوم أحد، فقال: **«كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟»** فنزلت: **﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ**

شَيْءٌ﴾، قال ابن حجر في فتح الباري: أما حديث حميد فقد وصله أحمد والترمذي والنسائي من طرق عن حميد به، وقال ابن إسحاق في المغازي حدثني حميد الطويل عن أنس قال: كسرت رباعية رسول الله ﷺ يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله الآية، وأما حديث ثابت فوصله مسلم من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قال يوم أحد وهو يسلت الدم عن وجهه: «**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وأدموا وجهه؟**» فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾... الآية. وذكر ابن هشام في حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي ﷺ السفلى وجرح شفته السفلى، وأن عبدالله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في وجنته، وأن عبدالله بن قمئة جرحه في وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده فقال: «**لن تمسك النار**». قال ابن حجر: والمراد بكسر الرباعية، وهي السن التي بين الثنية والناب، أنها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها. اهـ.

تلخيص لما حدث:

وبالجملة فإن ملخص ما حدث يوم أحد هو ما نقله ابن حجر عن موسى بن عقبة في سياق القصة كلها قال: لما رجعت قريش استجلبوا من استطاعوا من العرب، وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا بطن الوادي من قبل أحد، وكان رجال من المسلمين أسفوا لما فاتهم من مشهد بدر وتمنوا لقاء العدو، ورأى رسول الله ﷺ ليلة الجمعة رؤيا، فلما أصبح قال: «**رأيت البارحة في منامي بقراً يذبح والله خير وأبقى، ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبته**»، أو قال: «**به فلول فكرهته، وهما مصيبتان، ورأيت أني في درع حصينة وأني مردف كبشاً**». قالوا: وما أولتها؟ قال: «**أولت البقر بقراً يكون فينا، وأولت الكبش كبش الكتيبة، وأولت الدرع الحصينة المدينة، فامكثوا، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت**»، فقال أولئك القوم: يا نبي الله كنا نتمنى هذا اليوم، وأبى كثير من الناس إلا

الخروج، فلما صلى الجمعة وانصرف دعا باللأمة فلبسها ثم أذن في الناس بالخروج، فندم ذوو الرأي منهم فقالوا: يا رسول الله، امكث كما أمرتنا، فقال: «**ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب أن يرجع حتى يقاتل**»، فنزل فخرج بهم وهم ألف رجل، وكان المشركون ثلاثة آلاف. حتى نزل بأحد، ورجع عنه عبدالله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة فبقي سبعمائة، فلما رجع عبدالله سُقط في أيدي طائفتين من المؤمنين وهما بنو حارثة وبنو سلمة، وصف المسلمون بأصل أحد، وصف المشركون بالسبخة وتعبوا للقتال، وعلى خيل المشركين وهي مائة فرس، خالد بن الوليد، وليس للمسلمين فرس واحد، وصاحب لواء المشركين طلحة بن عثمان، وأمّر رسول الله عبدالله بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلاً وعهد إليهم أن لا يتركوا منازلهم، وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير، فبارز طلحة بن عثمان فقتله، وحمل المسلمون على المشركين حتى أجهضوهم عن أثقالهم، وحملت خيل المشركين فنضحتهم الرماة بالنبل ثلاث مرات، فدخل المسلمون عسكر المشركين فانتهبوهم، فرأى ذلك الرماة فتركوا مكانهم ودخلوا العسكر، فرأى ذلك خالد بن الوليد ومن معه فحملوا على المسلمين في الخيل فمزقوهم، وصرخ صارخ: قتل محمد أخراكم، فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون، وانهزم طائفة منهم إلى جهة المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل، وثبت نبي الله حين انكشفوا عنه وهو يدعوهم في أخراهم حتى رجع إليه بعضهم وهو عند المهراس في الشعب وتوجه النبي ﷺ يلتمس أصحابه، فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه وكسروا رباعيته، فمر مصعداً في الشعب ومعه طلحة والزبير وقيل معه طائفة من الأنصار منهم سهل بن بيضاء والحارث بن الصمة، وشغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم ويقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا النبي ﷺ وأشراف أصحابه، فقال أبو سفيان يفتخر بآلهته: اعْلُ هُبَل، فناداه عمر بن الخطاب: اللَّهُ أعلى وأجل، ورجع المشركون إلى أثقالهم فقال النبي ﷺ لأصحابه: «**إن ركبوا وجعلوا الأثقال تبيع آثار للخيل فهم يريدون البيوت، وإن ركبوا الأثقال وتجنبوا الخيل فهم**

يريدون الرجوع»، فتبعهم سعد بن أبي وقاص ثم رجع فقال: رأيت الخيل مجنوبة، فطابت أنفس المسلمين ورجعوا إلى قتلاهم فدفنوهم في ثيابهم ولم يغسلوهم ولم يصلوا عليهم، وبكى المسلمون على قتلاهم، فسُرَّ المنافقون، وظهر غش اليهود، وفارت المدينة بالنفاق، فقالت اليهود: لو كان نبيًا ما ظهروا عليه، وقال المنافقون: لو أطاعونا ما أصابهم هذا. قال العلماء: وكان في قصة أحد وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة، منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب المنهي عنه، لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لا يبرجوا منه، ومنها وإن عادة الرسل أن تبتلى وتكون العاقبة لها، والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائماً دخل في المؤمنين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انكسروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب، وذلك أن نفاق المنافقين كان مَخْفِيًا عن المؤمنين، فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحاً، وعرف المسلمون أن لهم عدوًا في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم. ومنها: أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس وكسراً لشماختها، فلما ابتلي المؤمنون صبروا وجزع المنافقون، ومنها: أن الله هيأ للمؤمنين منازل في دار الكرامة لا تبلغها أعمالهم، فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها.

ومنها: أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقها إليهم. ومنها: أنه أراد إهلاك أعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفر وبغي وطغيان في أذى أوليائه، فمحص بذلك ذنوب المؤمنين، ومحق بذلك الكافرين. قال: وقد أنزل الله في شأن أُحد ستين آية من آل عمران. وروى ابن أبي حاتم من طريق المسور بن مخرمة قال: قلت لعبدالرحمن بن عوف أخبرني عن قصتكم يوم أحد، قال: إقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ انتهى فتح الباري.

مقام نسيبة بنت كعب يوم أحد

قال العلامة البدوي في الغزوات:

وَثَبَتَتْ نَسِيبَةُ الْمُبَايِعَهْ قَبْلُ وَعَنْ خَيْرِ الْوَرَى مُدَافِعَهْ

قال حماد على الغزوات: هي نسيبة أم عمارة بنت كعب بن عمرو، من بني النجار ثم بني مازن، شهدت العقبة وأحداً مع زوجها زيد بن عاصم بن كعب بن المنذر بن عمرو بن عوف بن مازن بن النجار، ومع ابنيها عبدالله، وحبيب ابني زيد بن عاصم.

كان من أمرها رضي الله عنها أن قالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما صنع الناس ومعي قربة فيها ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجِراحات إليَّ. وكان على عاتقها جرح أجوف، قيل لها: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قميئة أقمأه الله، لما ولّى الناس عن رسول الله ﷺ، أقبل يقول: دلوني على محمد، فلا نجوتُ إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة ولكن ضربته فلم أنله، لأن عدو الله كان مظاهراً بين درعين. قال: وشهدتْ رضي الله عنها بيعة الرضوان، وشهدت قتل مسيلمة الكذاب بل شاركت ابنها عبدالله في قتله. ا هـ. منه.

وقال الصالحي في سبل الهدى والرشاد: لما انهزم المسلمون انحازت نسيبة إلى رسول الله ﷺ وباشرت القتال، وجعلت تذب عنه بالسيف وترمي عن القوس، ولما قصد ابن قُميئة رسول الله اعترضَتْ له ومصعب بن عمير وضربت ابن قميئة ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان، وضربها هو فجرحها جرحاً عظيماً صار له فيما بعد غور، فقال ﷺ: «**لَمَقَامُ نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما التفتُ يمناً وشمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني**»، وقال لابنها عبدالله بن زيد بن

عاصم: «**بارك الله تعالى عليكم أهل بيت مقام أمكم خير من مقام فلان وفلان، ومقام زوج أمك غزية بن عمرو خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل بيت**» قالت أم عمارة: ادع الله تعالى أن نرافقك في الجنة، فقال: «**اجعلهم رفقائي في الجنة**» قالت: ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا.

وقال البلاذري: شهدت نسيبة وزوجها وابناها يوم أحد، خرجت معها شن لها تسقي الجرحى، فقاتلت وجرحت اثني عشر جرحاً بسيف ورمي، فكانت أول النهار تسقي المسلمين والدولة لهم، ثم قاتلت حين كر المشركون. قال: وقاتلت يوم اليمامة فقطعت يدها وهي تريد مسيلمة الكذاب لتقتله، قالت: وما كانت لي ناهية حتى رأيت الخبيث مقتولاً، وإذا ابني عبدالله يمسح سيفه من دمه بثيابه، فقلت: أقتلته؟ قال: نعم، فسجدت شكراً لله.



رجوع بعض المسلمين بعد أن تولوا إلى رسول الله

قال ابن إسحاق: كان أول من أقبل من المسلمين بعد التولية قيس بن مُحَرِّثٍ مع طائفة من الأنصار فصادفوا المشركين فدخلوا حومتهم فما أفلت منهم رجل واحد حتى قتل، ولقد ضاربهم قيس بن محرث حتى قتل نفراً منهم فما قتلوه إلا بالرماح فقد نطموه بها ووجد به أربع عشرة طعنة قد جافته وعشر ضربات في بدنه، ونادى الحباب بن المنذر، يا آل سلمة، فأقبلوا إليه عنقاً: لبيكِ داعي الله، وكان عباس بن عبادة بن نضلة، وخارجة بن زيد، وأوس بن أرقم يرفعون أصواتهم: يا معشر المسلمين الله ونبيّكم، هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم فوعدكم النصر ما صبرتم. ثم إن عباس بن عبادة بن نضلة خلع الدرع والمغفر وقال لخارجة بن زيد: هل لك في درعي؟ قال لا، إني أريد ما تريد فخالطوا القوم وعباس يقول: ما

عذرنا عند ربنا إن أصيب رسول الله ومنا عين تطرف، فيجيبه خارجة بن زيد: لا عذر لنا عند ربنا ولا حجة، وقاتلوا حتى قتلوا عليهم رضوان الله.

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد هزيمة المسلمين وقول الناس: قتل محمد، هو كعب بن مالك، قال: رأيت عيني رسول الله ﷺ تزهران من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليّ أن أسْكُتْ، ودعا بلأمة كعب فلبسها ولبس كعب لأمته، وقاتل كعب حتى جرح سبعة عشر جرحاً لشدة قتاله.

ولما عرف المسلمون رسول الله ﷺ أقبلوا عليه، فكأنهم لم يصبهم شيء حين رأوا رسول الله ﷺ وفرحوا بذلك فرحاً شديداً ونهض بهم نحو الشعب ومعه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين قال الصالحي: قال محمد بن عمر: أقبل عثمان بن عبدالله بن المغيرة المخزومي على فرس أبلق وعليه لأمة كاملة يريد رسول الله وهو متوجه إلى الشعب وهو يصيح ويقول: لا نجوتُ اليوم إن نجا، فوقف رسول الله ﷺ، فعثر بعثمان فرسه في حفرة فسقط عثمان وذهب الفرس عائراً فأخذه المسلمون، وتقدم إليه الحارث بن الصمة فتجاولا ساعة بسيفيهما فضربه الحارث على رجله وكان درعه مشمرة فبرك وذففف عليه فقتله وسلب درعه ومغفره، قال: ولم يسمع بأحد سلب يومئذ غيره، قال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي أحانه، ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى الشعب ملأ عليّ رضي الله عنه درقته من المهراس وجاء بها رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوجد للماء ريحاً فعافه فلم يشرب، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه من ذلك الماء وهو يقول: «**اشتد غضب الله على مَنْ أدمى وجه نبيه**» وخرج محمد بن مسلمة يطلب من النساء ماء فلم يجد عندهن ماء، وكان عليه الصلاة والسلام قد عطش عطشاً شديداً فذهب محمد إلى قناة حتى اسْتقَى فأتى بماء عذب فشرب عليه الصلاة والسلام ودعا له بخير.

وكانت فاطمة رضي الله عنها قد خرجت فيمن خرج من النساء، فلما لقيت رسول الله ﷺ اعتنقته وجعلت تغسل جراحته وعلي رضي الله عنه

يسكب الماء بالمجن فتزايد الدم، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقته حتى صار رماداً وذرت الرماد على الجروح وكمدته فاستمسك الدم. ونسب في سبل الهدى والرشاد إلى كل من ابن إسحاق وابن جريج فيما رواه ابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم أن رسول الله ﷺ بينما هو في الشعب مع أولئك النفر من أصحابه إذ علت عالية من المشركين: خالد بن الوليد ونفر معه الجبل، فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم لا قوة لنا إلا بك، وليس أحد يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فلا تهلكهم، اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا»** وثاب نفر من المهاجرين رماة منهم عمر بن الخطاب فرموا جيل المشركين حتى هزموهم، وعلا المسلمون الجبل.

وذكر الأموي في مغازيه: أن المشركين لما صعدوا الجبل قال رسول الله ﷺ لسعدٍ: **«اردُدْهم»**، قال: كيف أردهم وحدي؟ فقال ذلك ثلاثاً، فأخذ سعد سهماً من كنانته فرمى به رجلاً فقتله ثم أخذ سهمه (رده الله إليه) فرمى به آخر فقتله، ثم أخذه مرة أخرى فرمى به آخر فقتله فهبطوا من مكانهم. قال: وصلى رسول الله ﷺ الظهر يومئذ قاعداً من الجراحة التي أصابته؛ [مقتل اليمان حُسَيل والد حذيفة ومقتل ثابت بن وقش].

ذكر الصالحي: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد رفع حُسَيل وثابت بن وَقْش في الآطام مع النساء والأطفال، فقال أحدهما لصاحبه، وهما شيخان كبيران: لا أبا لك، ما ننتظر؟ والله ما بقي لأحدنا من عمره إلا ظِمْءُ حمار إنما نحن هامة اليوم أو غداً، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله لعل الله تعالى يرزقنا الشهادة؟ ففعلا حتى دخلا في الناس من جهة المشركين، ولم يعلم المسلمون بهما، فأما ثابت فقتله المشركون وأما اليمان فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوهُ ولم يعرفوه، فقال حذيفة: أبي، فقالوا: ما عرفناه، وصدقوا، فقال حذيفة: يغفر الله تعالى لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيَه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً.



وأما مُخَيريق النضري
ويقال من بني قينقاع

فقد كان حبراً من أحبار اليهود، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يجد في علمه، وغلب عليه إلف دينه، فلما كان يوم السبت الذي وقع فيه القتال بأحد، قال: يا معشر يهود إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم حق، قالوا: اليوم يوم السبت، قال لا سبت لكم، ثم عهد أنه إنْ قُتل هذا اليوم فأمواله لمحمد يصنع بها ما يشاء، ثم أخذ سلاحه وخرج فقاتل مع رسول الله ﷺ حتى قُتِل، فكان رسول الله ﷺ يقول: «**مخيريق خير يهود**». وأخذ رسول الله أمواله وهي سبع خرائط.

والأصيرم، عمرو بن ثابت بن وقش

كان الأصيرم يأبى الإسلام على قومه، فلما كان أحد جاء قومه فقال: أين سعد بن معاذ؟ قالوا: بأحد، فسأل عن بني أخيه، قيل: بأحد، فسأل عن قومه قالوا: بأحد، فشرح الله صدره للإسلام فأسلم، وأخذ سيفه ورمحه وأخذ لأمته وركب فرسه وعدا حتى دخل في عرض المعركة وقاتل حتى أثبتته الجراحة، فبينا رجال من قومه يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: هذا الأصيرم، لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث، ما جاء به؟ فسألوه فقالوا: ما جاء بك؟ أَحَدَبٌ على قومك أم رغبة في الإسلام؟ فقال بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله تعالى ورسوله ﷺ وأخذت سيفي فغدوت مع رسول الله ﷺ ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، قال أبو هريرة: فجاءه سعد بن معاذ فقال لأخيه سلمة: حميةً لقومه أو غضباً لله ورسوله؟ فقال: بل غضباً لله ورسوله، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «**إنه من أهل الجنة**».

وقال الصالحي: كأن أبو هريرة رضي الله عنه يقول: حدثوني عن رجلٍ في الجنة ولم يُصَلِّ قط؟ فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول هو أصيرم بني عبدالأشهل: انتهى سبل الهدى والرشاد بتصرف.

وما هو شأن غسيل الملائكة حنظلة ذلك اليوم؟

كانت ليلة السبت التي في صبيحتها وقعة أحد ليلة زفاف أهله إليه جميلة بنت عبدالله بن أبي بن سلول فاستأذن رسول الله ﷺ أن يبيت معها فأذن له فلما تهيأ للخروج إلى أحد تعلقت به فلزمته فعاد إليها فأُجنب منها واستعجلته الحرب فخرج جنباً وجاء المعركة، ولما انكشف المشركون ضرب حنظلة فرس أبي سفيان فوقع على الأرض، فصاح وحنظلة يريد ذبحه، فأدركه الأسود بن شَعُوب فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: رأيت الملائكة تغسله بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة، أو كما قال ﷺ، فذهبوا إليه فإذا رأسه يقطر ماء، فأمر النبي ﷺ أن تسأل زوجته: ما شأنه؟ فسألوها فأخبرتهم أنه خرج جنباً وقصت عليهم ما حدث وأنها أشهدت قوماً من ذويها بدخوله بها ذلك، قالوا، ولِمَ فعلت؟ فأخبرتهم أنها رأت كأن السماء فرجت فدخل فيها ثم اطبقت، فقلت: هذه الشهادة، فأشهدت لعلها أن تعلق منه بشيء، فعلقت بعبدالله بن حنظلة رضي الله عنه.

قلت: وهي جميلة بنت المنافق عبدالله بن أبي بن سلول، وكما أنه هو رضي الله عنه ابن أبي عامر الفاسق. قال الشيخ أحمد البدوي:

حنظلة الغسيل نجل الفاسق   زوج جميلة ابنة المنافق



وأمّا الأعرج عمرو بن الجموح

فقد كان له بنون أربعة أُسُد من أسد الله ورسوله يشهدون مع رسول الله المشاهد، وهم: خلاّد، ومُعاذ، ومعوّذ، وأبو أيمن، فلما كان يوم أحد أرادوا منه أن يجلس بالبيت حيث إن الله تعالى عذره، فأتى النبي ﷺ فقال إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: «**أمّا أنت فقد عذرك الله تعالى، فلا جهاد عليك**»، وقال لبنيه: «**لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة**»، فخرج وهو يقول: اللهم لا تردني إلى أهلي خائباً، فقتل شهيداً. وفي مسند الإمام أحمد أن عمرو بن الجموح جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: أريت يا رسول الله إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ قال: «**نعم**»، فلما استشهد يوم أحد مر عليه رسول الله ﷺ فقال: كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة. ا هـ. الصالحي بتصرف.

وخرجت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تستروح الخبر في نسوة قبل أن يضرب الحجاب فلقيت هند بنت عمرو زوجة عمرو بن الجموح تقود بعيراً عليه أموات فقالت: يا هند أعندك من خبر المعركة؟ قالت: رسول الله ﷺ صالح وكل مصيبة دونه جلَلٌ، واتخذ الله من المسلمين شهداء، قالت: ما هؤلاء معك؟ فقالت: زوجي عمرو بن الجموح وابني خلاّد بن عمرو وأخي عبدالله بن عمرو أريد أن أقبرهم بالمدينة، فبرك البعير، فقالت عائشة: لعله لثقل ما عليه، قالت: ما ذاك به، لربما حمل ما يحمل بعيران لكن أراه لغير ذلك، وزجرته فقام وبرك، فوجهته راجعاً إلى أحد فأسرع، فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بذلك، فقال: إن الجمل مأمور، هل قال عمرو شيئاً عند خروجه؟ قالت: إن عمراً لمّا توجه إلى أحد قال: اللهم لا تردني إلى أهلي خزياً وارزقني الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: «**الذلك الجمل لا يمضي، إن منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح، ولقد رأيته يطأ بعرجته الجنة**،

يا هند ما زالت الملائكة مظللة أخاك من لدن قتل إلى الساعة ينتظرون أين يدفن»، ثم مكث رسول الله ﷺ حتى قبرهم، ثم قال: **يا هند قد ترافقوا** في الجنة، قالت: يا رسول الله، ادع الله عسى أن يجعلني معهم. ا هـ. سبل الهدى والرشاد بتصرف.

وأنس بن النضر
كيف مصيره ذلك اليوم؟

جاء في الصحيح أن أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنه غاب عن بدر وشق عليه ذلك وقال: لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرينَّ الله تعالى ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما فعل هؤلاء، يعني المشركين، فانتهى إلى رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا ما بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ، قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه نبيكم ﷺ، ثم استقبل القوم فلقيه سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد: أنا معك، قال سعد: فاستقبل القوم فلم أستطع أن أصنع ما صنع، فقال: يا سعد بن معاذ، واها لريح الجنة ورب النضر، إني لأجدها من دون أحد، ثم تقدم فقاتل حتى قتل فوجدوا في جسده بضعاً وثمانين ضربة ما بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، قال أنس: ووجدناه قد مثل به المشركون، فما عرفه منا أحدٌ إلا أخته بشامة أو ببنانه، فقال: كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الآية من الأحزاب. ا هـ. بتصرف.

والمنافق قزمان
كيف قاتل وكيف مصيره؟

قال العلامة الشيخ أحمد البدوي المجلسي في الغزوات:

أبلى بلاءً حسناً قزمان على الحفاظ فله الخسران
وعكسه الأصيرم المخردل ليس له غير القتال عملُ

قال حماد في روض النهاة: هو قزمان بن الحارث العبسي حليف الأنصار، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: **«إن الله ليؤيد هذا الدين بالرحل الفاجر»** قد كان قتل سبعة أو ثمانية من المشركين فهُنِّىء بذلك، قال: كلا إنما قاتلت عن أحساب قومي، فلما آذته الجراحة عمد إلى نفسه فقتلها، فجاء رجل سبق أن شق عليه قول النبي ﷺ أن قزمان من أهل النار مع ما رأى من فعله في المشركين، فجاء إلى رسول الله ﷺ وقال: أشهد أنك رسول الله، قال: **«وما ذاك؟»** قال الرجل الذي قلت لنا أنه من أهل النار قتل نفسه. ا هـ. من حماد.

قال الصالحي: تأخر يوم أحد فعيرته نساء بني ظفر فأتى والنبي ﷺ يسوي الصفوف حتى انتهى إلى الصف الأول، فكان أول من رمى من جهة المسلمين بسهم، فكان يرسل نبلاً كأنها الرماح ويكتُّ كتيت الجمل ثم فعل بالسيف الأفاعيل حتى قتل سبعة من المشركين وأصابته الجراحة فوقع، فناداه قتادة بن النعمان يا أبا الغيداق هنيئاً لك الشهادة، قال فوالله ما قاتلت عن دين، ما قاتلت إلا على أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: **«إنه منَ أهل النار وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»**. ا هـ. بتصرف.

قلت: قضية كل من عمرو بن ثابت بن وقش، ومخيريق النضري، وقزمان بن الحارث الظفري، برهان واضح على أن العبرة بخواتم الأعمال وبيان لما رواه ﷺ عن ربه: **«أنا الجبار، خلقت الجنة وخلقت لها خلقها ولا أبالي، وخلقت النار وخلقت لها خلقها ولا أبالي رُفعت الأقلام وجفَت**

الصحف» قالوا: ففيمَ العمل إذاً يا رسول الله؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خُلق له» معناه أن من خلق للجنة يسره الله لأن يختم له بعمل أهلها كما هو الحال بالنسبة للأصيرم ومخيريق، ومن خلق للنار يسره الله بأن يختمَ له بعمل أهلها مثل قزمان. اللهم إنا نسألك العفو والعافية وأن تختم لنا بالسعادة ولجميع المسلمين.

ولما ارتحل المشركون، أعني لما أرادوا الارتحال، أقبل أبو سفيان على فرس حتى أشرف على المسلمين في عرض الجبل فنادى بصوته: أفي القوم محمد؟ ثلاثاً، قال رسول الله ﷺ: «لا تجيبوه» فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: «لا تجيبوه» فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال: «لا تجيبوه» فرجع أبو سفيان إلى قومه وقال: إن هؤلاء قد قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه. وفي حديث الإمام أحمد والطبراني والحاكم عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ: ألا أُجِيبُه؟ قال: «بلى» فقال عمر: كذبتَ يا عدو الله، فقد أبقى الله لك ما يخزيك، إن الذين عددت لأحياء كلهم، فقال أبو سفيان: اعْلُ هُبَل وأظهر دينك، فقال رسول الله ﷺ: «قم يا عمر فأجبه»، فقال: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: اعْلُ هُبَلْ وأظهر دينك، وقال: يوم بيوم بدر وحنظلة بحنظلة، فقال: رسول الله لعمر قل: «لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار»، فقال أبو سفيان: أنتم تقولون ذلك، لقد خبنا إذن وخسرنا، لنا العُزّى ولا عُزّى لكم، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «قل: الله مولانا ولا مولى لكم»، فقال أبو سفيان: إنها قد أنعمت فعال عنها هلمّ يا عمر، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «ايته فانظر ما شأنه»، فجاءه فقال أبو سفيان: أنشدك بالله يا عمر أقتلنا محمداً؟ قال: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت عندي أصدق من ابن قميئة، فقال أبو سفيان، ورفع بها صوته: إنكم واجدون مُثُلاً في قتلاكم، والله ما رضيت ولا أمرت ولا نهيت إلا أن موعدكم بدر الصفراء على رأس الحول، فقال رسول الله ﷺ: «قل نعم بيننا وبينكم موعد». وانصرف أبو سفيان إلى أصحابه وأخذ في الرحيل، فأشفق رسول الله ﷺ والمسلمون من أن يغير المشركون على المدينة فتهلك

النساء والذراري، فبعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص لينظر، فقال: «**إذا ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فهو الظعن، وإنْ هم ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن ساروا إليها لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم**» فسار سعد رضي الله عنه، وقيل عليٌّ، وراءهم إلى العقيق فإذا هم قد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل بعد ما تشاوروا في نهب المدينة، فقال صفوان بن أمية: لا تفعلوا لا تدرون ما يغشاكم، فرجع فأخبر رسول الله ﷺ.

ولما قدم أبو سفيان مكة، لم يصل بيته حتى أتى هُبَل فقال: أنعمت ونصرتني وشفيت نفسي من محمد وأصحابه وحلق رأسه.

ولما رحل المشركون انتشر المسلمون يفتشون عن قتلاهم فلم يجدوا قتيلا إلاً وقد مُثِّل به إلا حنظلة بن أبي عامر الفاسق فإن أباه كان معهم فتركوه من التمثيل به. وعن ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ قال: «**من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فإني رأيت اثني عشر رمحاً شرعى إليه**» فقال رجل من الأنصار ـ قيل: هو أبي بن كعب، وقيل: محمد بن مسلمة ـ: أنا يا رسول الله، فنظر في القتلى فناداه ثلاثاً فلم يجبه، فقال: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر إلى خبرك، فأجابه بصوت ضعيف. وفي حديث آخر، فبعثني وقال: «**إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له كيف تجدك؟**» قال فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم، فقلت: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم الأموات؟ فقال: أنا في الأموات، فأبلِغْ رسولَ الله ﷺ عنّي السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول: جزاك الله تعالى عنا خيراً ما جزى نبياً عن أمته، وقل له: إني أجد ريح الجنة، أبلِغْ قومَك عنّي السلام، وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله ﷺ ومنكم عين تَطرف، ثم لم يبرح أن مات، فجاء رسول الله ﷺ فأخبره. وتطلب رسول الله ﷺ عمه حمزة رضي الله عنه فلما وقف عليه قتيلاً بكى حتى شهق ثم قال: «**ألا كفن؟**» فقام رجل من الأنصار فرمى بثوبه على حمزة ثم قام رجل آخر فرمى ثوبه عليه، فقال رسول الله ﷺ: «**يا جابر هذا الثوب لأبيك وهذا لعمي**» وقال ﷺ:

«رحمة الله عليك، فإنك كنت كما علمتك فعُولاً للخير وَصُولاً للرحم، لولا أن تحزن صفية» وفي لفظ: «نساؤنا»، وفي لفظ: «لولا حزن من بعدي عليك، وتكون سبة من بعدي لتركته حتى يحشر من بطون السباع وحواصل الطير»، ثم قال: «أبشروا، جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله»، وقال: «لئن ظفرني الله تعالى على قريش في موطن من المواطن لأمثلنَّ بسبعين منهم مكانك»، فكان ذلك سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ الآية من سورة النحل، فكفر النبي ﷺ عن يمينه وأمسك عن الذي أراد وصبر.

قال ابن إسحاق: وأقبلت صفية بنت عبدالمطلب رضي الله عنها لتنظر إلى حمزة وكان أخاها لأمها وأبيها، فكره رسول الله ﷺ أن تراه، فقال: «المرأةَ المرأةَ»، فقال الزبير بن العوام: فتوسمت أنها أمّي صفية، فقال رسول الله ﷺ: «اَلْقَها فأَرْجِعْها، لا ترى ما بأخيها»، فخرج يسعى فأدركها قبل أن تنتهي إلى القتلى فردها، فلكمت صدره، وقالت: إليك عني لا أرضى لك، فقال: يا أُمَّهَ، رسولُ الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولمَ وقد بلغني أنه قد مُثِّل بأخي وذلك في الله؟ فما أرضانا بما كان من ذلك، فلأصبرنَّ ولأحتسبنَّ إن شاء الله، فجاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «خلِّ سبيلها»، فأتته فنظرت إليه، فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له.



دَفْنُ مَنْ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُد

روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أمر رسول الله ﷺ يوم أحد بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد والجلود وقال: «ادفنوهم بدمائهم وثيابهم».

وروى أبو داود عن هشام بن عامر الأنصاري قال: جاءت الأنصار يوم

أحد فقالوا: يا رسول الله لقد أصابنا قرح وجهد، فكيف تأمرنا؟ فقال: **«احفروا وأعمِقوا ووسعوا واجعلوا الرَّجلين والثلاثة في القبر الواحد»**، قيل: يا رسول الله فأيهم يقدم؟ قال: **«أكثرهم قرآناً»**.

وروى ابن إسحاق عن أشياخ من سليم، أن رسول الله ﷺ قال يومئذ حين أمر بدفن القتلى: **«انظروا عمرو بن الجموح وعبدالله بن عمرو بن حرام فإنهما كانا متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد»**.

وروى الإمام أحمد وغيره عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن قتلى أحد حملوا من أماكنهم، فنادى منادي رسول الله ﷺ: أن رُدوا القتلى إلى مضاجعهم.

وروى الإمام أحمد عن جابر أيضاً قال استشهد أبي بأحد فأرسلني أخواتي إليه بناضح لهن وقُلْنَ: اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل فادفنه في مقبرة بني سلمة، قال: فجئت وأعوان لي، فبلغ رسول الله ﷺ ذلك وهو جالس بأحد، فدعاني فقال: **«والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع أصحابه بأحد»**.

وروى الإمام أحمد، والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، والحاكم وقال: على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، ومحمد بن عمر الأسلمي عن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما فرغ من دفن أصحابه ركب فرسه، وخرج المسلمون حوله، عامتهم جرحى، ولا مثيل لبني سلمة وبني عبدالأشهل، ومعه أربع عشرة امرأة، فلما كانوا بأصل أحد قال: **«اصطفوا حتى أثني على ربِّي عز وجل»** فاصطف الرجال خلفه صفوفاً، وخلفهم النساء فقال:

«اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لن هديت، ولا مُعْطِيَ لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعِدَ لما قرَّبْتَ، اللهم ابسُط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إنا نسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إنا نسألك النعيم يوم العيلة،

اللهم إنا نسألك الأمن يوم الخوف والغِنَى يوم الفاقة، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إلّه الحق آمين».



رجوع رسول الله ﷺ إلى المدينة

ولما فرغ رسول الله ﷺ من دفن أصحابه رضي الله عنهم ركب فرسه وخرج المسلمون حوله راجعين إلى المدينة، فلقيته حمنة بنت جحش فنُعِي لها أخوها عبدالله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبدالمطلب فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله ﷺ: «**إن زوج المرأة منها لبمكان**» وذلك لما رأى من تثبتها حين نعى لها أخوها وخالها، وصياحها على زوجها.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبدالواحد بن أبي عون عن إسماعيل عن محمد عن سعد بن أبي وقّاص قال: مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعوهم لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، قال: فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جَلَلٌ. وأقبل رسول الله ﷺ حتى طلع على بني عبدالأشهل وهم يبكون على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال: «**لكن حمزة لا بواركِيَ له**»، وخرج النساء ينظرن إلى سلامة رسول الله ﷺ، فقالت أم عامر الأشهلية: كل مضيبة بعدك جلل.

وفي سبل الهدى والرشاد: وجاءت أم سعد بن معاذ، وهي كبشة بنت رافع تعدو نحو رسول الله ﷺ، وقد وقف على فرسه، وسعد بن معاذ آخذ بعنان الفرس، فقال سعد: يا رسول الله أمّي! فقال: «**مرحباً بها**»، فدنت حتى تأملت رسول الله ﷺ، وقالت: أما إذ رأيتك سالماً فقد أشوت المصيبة، فعزّاها رسول الله ﷺ بابنها عمرو بن معاذ ثم قال: «**يا أمّ سعد، أبشرى وبشّري أهليهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً، وقد شفعوا في أهليهم**»، قالت رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: يا رسول الله ادع إليه لمن خُلِّفُوا، فقال: «**اللهم أذهب حزن قلوبهم، واجْبُر مصيبتهم، وأحسن الخَلف على من خلفوا**»، ثم قال: «**خل يا أبا عمرو**» يعني سعد بن معاذ «**الدابة**» فخلّى سعد الفرس فتبعه الناس، فقال: «**يا أبا عمرو إن الجراح في أهل دارك فاشية وليس منهم مجروح إلا يأتي يوم القيامة جرحه كأغزر ما كان اللون لون الدم والريح ريح المسك، فمن كان مجروحاً فليَقَرَّ في داره وليُداوِ جرحه ولا يبلغ معي بيتي، عزيمةً مني**»، فنادى فيهم سعد: عزيمة من رسول الله ﷺ إلاّ يتبعَ رسول الله ﷺ جريح من بني عبدالأشهل، فتخلف كل مجروح، فباتوا يوقدون النيران ويداوون الجرحى، ومضى سعد مع رسول الله ﷺ حتى جاء بيته، فما نزل رسول الله ﷺ عن فرسه إلا حملاً واتكأ على سعد بن عبادة وسعد بن معاذ حتى دخل بيته، فلما انتهى ﷺ إلى أهله ناول سيفه فاطمة فقال: «**اغسلي عن هذا دمه فوالله لقد صدقني اليوم**»، وناولها عليٌّ بن أبي طالب سيفه، فقال: وهذا فاغسلي عنه الدم، فوالله لقد صدقني اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «**لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك سهل بن حُنيف وأبو دجانة**». ا هـ.

وأظهر المنافقون واليهود الشماتة والسرور

بما حصل لرسول الله ﷺ وأصحابه ويظهرون أقبح القول من ذلك أن ابن أبي بن سلول جعل يقول لولده عبدالله وهو جريح قد بات يداوي

الجراحة بالنار: ما كان خروجك معه إلى هذا الوجه برأي، عصاني محمد وأطاع الولدان، والله لكأني كنت أنظر إلى هذا؛ فقال ابنه: الذي صنع الله تعالى لرسوله والمسلمين خير. ولقد أظهر اليهود القول السيىء فقالوا: ما محمد إلا طالب مُلكٍ، ما أصيب هكذا نبي قط، أصيب في بدنه، وأصيب في أصحابه. وجعل المنافقون يخذلون عن رسول الله ﷺ أصحابه، ويأمرونهم بالتفرق عنه ويقولون: لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل.

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك في أماكن فمشى إلى رسول الله ﷺ ليستأذنه في قتل من سمع ذلك منه من اليهود والمنافقين، فقال ﷺ: «**يا عمر، إن الله تعالى مظهر دينه ومعز نبيه، ولليهود ذمة فلا أقتلهم**» قال: فهؤلاء المنافقون؟ قال: «**أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله؟**» قال: بلى يا رسول الله، وإنما يفعلون ذلك تعوذا من السيف، وقد بان لنا أمرهم، وأبدى الله تعالى أضغانهم عند هذه النكبة، فقال: «**إني قد نهيت عن قتل من قال لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يا ابن الخطاب إن قريشاً لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن**» ا هـ.



وأما عدد من استشهد

قال ابن كثير عن موسى بن عقبة: جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والأنصار تسعة وأربعون رجلاً، وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلاً فالله أعلم، وقال قتادة عن أنس: قتل من الأنصار يوم أحد سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون، وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه كان يقول: قارب السبعين يوم أحد ويوم بئر معونة ويوم اليمامة، وقال مالك عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب: قتل من الأنصار يوم أحد ويوم اليمامة سبعون، ويوم جسر أبي عبيد سبعون، وهكذا قال.

عكرمة وعروة والزهري ومحمد بن إسحاق في قتلى أحد، ويشهد له قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾... الآية من آل عمران يعني أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين.

وقال ابن إسحاق: قتل من الأنصار ـ لعله: من المسلمين ـ يوم أحد خمسة وستون؛ أربعة من المهاجرين: حمزة، وعبدالله بن جحش، ومصعب بن عمير، وشماس بن عثمان، والباقون من الأنصار وسرد أسماءهم وقبائلهم، وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين فصاروا سبعين على قول ابن هشام إلى أن قال: وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلاً، وقال عروة تسعة عشرة وقال ابن إسحاق اثنان وعشرون، ولم يؤسر من المشركين غير أبي عزة الجمحي وكان من الأسرى يوم بدر فمنَّ عليه رسول الله ﷺ بدون فداء واشترط عليه أن لا يقاتله، فلما أسر يوم أحد قال: يا محمد، امنن عليّ لبناتي وأعاهد أن لا أقاتلك، فقال له رسول الله ﷺ: **«لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول: خدعت محمداً مرتين»** ثم أمر به فضربت عنقه، وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله ﷺ: **«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»** ا هـ.

قلت: وقد قال بعضهم أنه إنما أسر في غزوة حمراء الأسد، فالله أعلم. هذا وقد عقد العلامة الشيخ أحمد البدوي المجلسي في غزواته هذا المشهد بقوله:

فأُخِذَ برِيْح عِير صَخْرِ ... تأهَّبُوا لِيَثِرُوا من بدر
وخرجوا بِه ظعن وهمُ ... جيمُ أُلوفٍ والخيولُ لهم
رَاءٌ وما للمسلمين فرسُ ... وفي زروع قَيْلَةٍ احْتَبَسُوا
وقيل فيهم فَرَسٌ تَحت أبي ... بُرْدةِ النَّدبِ وأخرى لِلنَّبِي
وقد رأى في نومه خير الأمم ... أنْ كان في ذُبابِ سَيْفِه ثَلَمْ
وأنه أدخل في درع يده ... وبَقَراً يُذْبَحُ أيضاً وجَدَهْ
فالثَّلَمُ العَمُّ وأمَّا البَقَرُ ... يذبَحُ فهو النَفر المُعَفَّرُ
من صحبه ودرعه الحصينة ... أدخلَ فيها يده المدينة

واسْتَكرهوا خير الورى فأخرجوه ... وبعد ما اسْتَلأمَ فيها اسْتَشبطوه

فراحَ نحو أُحُدٍ واستبكرا ... وخَابَ عنه ابن أبيٍّ وامْترا

واستلَّ سيف رجل ذبُّ فَرَسْ ... فقال شِمْ سَيْفَك والحرب افْترسْ

وكان لا يغتافُ إلاَّ أنَّهُ ... يُعْجِبُه الْفَألُ إذا عنَّ له

ومر في طريقه بالحائي ... في أوْجُهِ الْقَوم وكان رَاثي

أجازَ أبناء به واستصْغرا ... من دونهم والجيش ذا لا انبرى

وقال من يأخذ هذا السيفا ... بحقه فناله واستوفى

أبو دجانة وخال إذ مشى ... ومشيه من يبغضه جل حشا

واستأصلوا أهل اللوا فانهزموا ... وشمَّرت عن سوقهن الحُرَمُ

مولولات إثرهم ورغبا ... في المغنم الرماة حين اسْتُلِبا

وخالف الرماة أمر المصطفى ... بالصبر والثبات خلف الحُنَفَا

فتركوا ظهورهم لخالد ... فكرَّ راجعاً بكل حارد

وحالت الريحُ ودارت الرحى ... وذاقَ مَنْ خَالَفَهُ ما اجْترَحَا

وصرخ الصَّارخُ أن مَاتَ النَّبي ... فارتهبوا لذاك كل الرَّهب

وقال إذ ذلك لو كان لنا ... من دَهَشٍ قائلُهم فافتتنا

وَنَجلُ مُطْعِم جُبير إذْ قَتَلْ ... حَمزَةَ عَمَّه طُعيمة اختفَلْ

لقتله بأنْ عليه ذمَّرا ... وخشِيَّهُ يَومئذ وحَرَّرا

ودقَّهُ في شدقِه ابن حَرْب ... فقال ذُق عُقَقُ أي ذق حَرْبي

أبلى بلاء حسنا قزْمَانٌ ... على الحِفَاظِ فله الخُسْرَانُ

وعكسه الأصيرمُ المُخَرْدَلُ ... ليس له غير القتالِ عَمَلُ

وثبتت مع النبيّ اثنا عشر ... بَيْنَ مُهَاجِرٍ وبين مَنْ نَصَرْ

منهم أبو دجانة وابن أبي ... وقَاصٍ الذي افتداه بالأب

وطلحةٌ وفيه شَلَّت يدُه ... إذ اتَّقى النَّبْلَ بها يَصُدُّهُ

وتحتَهُ جَلَسَ أنْ أجْهَضَهُ ... دِرْعَاهُ والجِراحُ فاسْتَنْهَضَهُ

والعُمْران وعليٌّ وعَفَا ... إلَهنا عن الذي منهم هَفَا

وثبتت نسيبةُ المبايعةْ ... قبلُ وعن خير الورى مدافِعَةْ

وجرحت فيه وشَلَّتْ يدها ... وللتَّبرُّكِ الْوَرَى تَقْصِدُهَا

في حفرةٍ وقَعَ خير مُرْسَلِ ... فناشه طلحةُ والصُّهْرُ على

إذْ عُتْبَةٌ هَشَّ رَبَاعيته ... وشقَّ مِن شِفْوتِه شَفَتَهُ

وشَجَّه ابْنُ قَمِيئَةٍ وابن شِهابْ ... صلى عليه الله ما سحَّ سَحَابْ

وازدرد الدَّمَ أبو الخدريّ ... وانتزَعَ الْحَلْقَةَ في النبيْ

أبو عبيدةَ فكان أثْرَ مَا ... بساقط الثنتين أعلما

بِمِلْءِ درقةٍ من المهراس ... جاء ليشرَبَ شفيع الناس

حَيْدَرَةٌ فعافهُ ورَحَضَا ... عن وجهه الدَّمَ ففاز بالرِّضَا

قتادةٌ ذو العين ردها النبي ... بقوسه وقد تشظَّظَ حُبِي

أولُ مَنْ عَرَفَهُ فَبَشَّرا ... بِه ابن مالك قريعُ الشُّعَرا

فَعَاوَدُوهُ وتَسَاقَطُوا عليه ... ونَهَضُوا للشِّعْبِ إذْ أوَوا إليه

فبايعوا على الممات المجتبى ... صلى عليه الله ما هبَّ الصَّبَا

وبعدما اطمأنَّ في الشّعب علتْ ... عاليةٌ من فوقهم فأُنْزِلَتْ

صلَّى بهم وقعَدُوا وقَعَدَا ... ظُهْرا لما مِنَ الجراحِ أُجْهِدَا

واستبدلَتْ هندُ من اللآلي ... قلائداً مِن أنفِ الرِّجَالِ

وطوقَتْ وحْشيَّها الفرِيدا ... وأدْبَرَتْ تُرَدِّدُ النَّشِيدا

نَحْنُ جزيناكم بيوم بدر ... والحربُ بعد الحرب ذَاتُ سُعْرِ

ما كان عن عتبةَ لي من صَبْر ... ولا أخي وعَمِّه وبكرْ

كلا المجدَّعِ وسَعْدِ المُقْتَدى ... سأل رَبَّ العرش منهم أسَدَا

أمَّا المجدَّعُ فللشَّهادَةْ ... وسَعْدٌ الفَتْكُ به أرَادَهْ

وإذْ أبو رهم الغفاري نُحِرْ ... بريقه في الحين قام مُسْتَمِرْ

واسْتُشْهِدَ اللَّذَانِ قد تَخَلَّفَا ... لِكِبَر فلحقا وَزَحَفَا

هما حُسَيْلٌ اليمانِ أسْلَمَه ... حُذيفَةٌ إذْ أهلكتْهُ المُسْلِمَةْ

وثابت بن وَقْشٍ المُسْتَشْهَدُ ... أُخُوهُ وابْنَاهُ وكل وَتَدُ

وابْـنُ الـرَّبِـيـع سَـعْـدٌ الَّـذْ سَـألاَ	نَـبِـيَّـنَـا عـنـه فـألْـفِـيَ عَـلـى
شَـفَـا الـشَّـهَـادَةِ فَـأرسَـلَ الـرِّضَـا	إلـى الـنـبـيّ بـالـسَّـلام والـرِّضَـا
وذو الـوصـايـا الـجُـمّ لِـلْـبَـشِـيـر	وهـو مُـخَـيْـرِيـقُ بـنـي الـنَّـضِـيـر
ومـصـعـبٌ شِـمَّـاسُ والـمـجـدَّعُ	بـحـمـة الـمـهـاجـرون أرْبَـعُ
حـنظِـلـةُ الْـغَـسِـيـلُ نَـجـلُ الْـفَـاسِـقْ	زوجُ جـمـيـلـةَ ابـنـة الـمـنـافِـقْ
اجْـنَـبَ مـنـهـا فـاسْـتَـحَـقَّـهُ الْـقِـتَـالْ	عن شقه أو عن جميع الاغْـتِـسَـالْ
وقـــال صــــخـــر إذ رآهَ قَـــتَـــلَـــهْ	شَـدَّادُ هـم حَـنْـظَـلَـةُ بِـحَـنْـظَـلَـةْ
واسْتُشْهِدَ الأَعْرَجُ عمرو بن الجموح	وَعَنْ حَيَاةِ الْمُصْطَفَى أبَا الفُتُوحْ
سـأل صَـخْـرٌ وانـثـنـى يُـغَـرِّدُ	مـوعـدكـم بَـدْرٌ وقَـالَ الـمـوْعِـدُ
وارتـقـبـوا إنْ يَـجْـنِـبُـوا فَـهُـم قُـفُـلْ	أو يُـسْـرِجُـوا فـهـم لـطـيـبةَ نُـسُـلْ
وبـأبِـيٍّ مـرَّ بَـعْـدُ ابْـنُ عُـمَـرْ	وهـو الـذي رمـاه خَـالِـق الـبَـشَـرْ
مُـسَـلْـسَـلاً صـديـان فَـاسْـتَـسْـقَـاهُ	والـشَّـقِـيُ عـنـه مـسـلـك نَـهَـاهُ
ومـر أيـضـاً بـأبـي جـهـل لـدى	بـدريـه أضَـرَّ لاعِـجُ الـصـدى

غزوة حمراء الأسد

قال ابن كثير: قال محمد بن إسحاق في مغازيه: فلما كان يوم الأحد [الغد من يوم السبت الذي وقعت فيه وقعة أحد] السادس عشر من شوال أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأذّن مؤذنه: أن لا يخرجنَّ أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، فكلمه جابر بن عبدالله فأذن له. قال ابن إسحاق: إنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدو ليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا أن به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم. قال ابن إسحاق بعدما ساق سنداً إلى السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلاً من بني عبدالأشهل قال: شهدت أحداً أنا وأخ لي فرجعنا جريحين فلما أذن

مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو وقلت لأخي وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ والله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر منه جرحاً، فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة. قال ابن هشام وقد استعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: كانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله ﷺ بتهامة، لا يخفون عنه شيئاً كان بها، قال: فمر معبد بن أبي معبد الخزاعي، وهو يومئذ مشرك، مر برسول الله ﷺ وهو مقيم بحمراء الأسد فقال: يا محمد، أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج من عند رسول الله ﷺ حتى لقى أبا سفيان بالروحاء وقد أجمعوا الرجوع إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وقالوا: أصبنا أشراف أصحابه وقادتهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرنَّ على بقيتهم فلنفرغن منهم، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أرَ مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أرَ مثله قط، قال ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل، قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل شأفتهم، قال فإني أنهاك عن ذلك، ووالله لقد حملني ما رأيت على إن قلت فيه أبياتاً من شعر، قال: وما قلت؟ قال قلت:

كادت تَهُدُّ مِن الأصوات راحلتي ... إذا سالت الأرض بالجرد الأبابيل
تردى بأسد كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدواً أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم ... إذا تغطمطت البطحاء بالجيل

إنــي نــذيــر لا الــبــســل ضــاحــيــة لــكــل ذي إربـةٍ مــنــهــم ومــعــقــول
من جيش أحـمـد لا وخـش قنابلُهُ وليـس يـوصـف مـا انـذرت بـالـقيـل

ا.هـ.

قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه، ومر به ركب من عبدقيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: المدينة، قال: ولِمَ؟ قالوا: نريد المِيرةَ، قال: فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحمّل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم، قال: إذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصلهم، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**». قال ابن كثير: وأخرج البخاري بسنده عن ابن عباس: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

وذكر ابن كثير أن رسول الله ﷺ أخذ في وجهه ذلك قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس جد عبدالملك بن مروان لأمه، وأبا عزة الجمحي، فأمر عاصم بن ثابت بضرب عنق أبي عزة ففعل، واستأمن عثمان رضي الله عنه لمعاوية على أن لا يقيم بعد ثلاث فبعث رسول الله ﷺ بعد الثلاث زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال: «**ستجدانه في مكان كذا وكذا فاقتلاه**» ففعلا رضي الله عنهما هذا، وكان عبدالله بن أبي بن سلول له مقام يقومه كل جمعة، إذا جلس رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة قام ابن أبي وقال: أيها الناس هذا رسول الله بين أظهركم، أكرمكم الله به فانصروه وعززوه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس، قام يفعل كما كان يفعل، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس عدو الله، والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بُجراً أن قمتُ أشدد أمرَه، فلقيه رجال من الأنصار

بباب المسجد فقالوا: ويلك ما لك؟ فذكر لهم ما وقع، فقالوا: ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ، فقال: والله ما أبغي أن يستغفر لي. ا هـ. من ابن كثير (البداية) بتصرف.

وذكر المناوي على شرح ألفية العراقي في السيرة أن من أحداث السنة الثالثة دخوله ﷺ بحفصة بنت عمر رضي الله عنهما.

ودخوله ﷺ بزينب بنت خزيمة الحارثية أم المساكين في رمضان على رأس واحد وثلاثين شهراً من مقدمه المدينة.

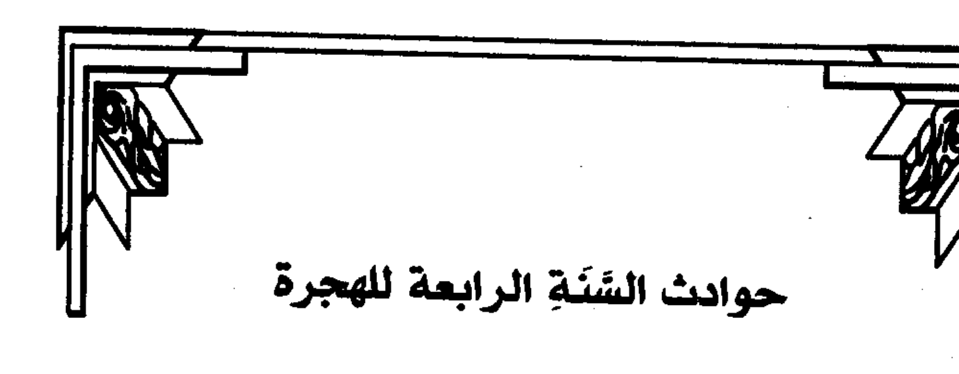
ودخوله بزينب بنت جحش التي ذكر أمرها في سورة الأحزاب بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ الآية.

قال المناوي: وفيها بني عثمان بن عفان بأم كلثوم بنت محمد ﷺ وقد ذكر العلامة الشيخ أحمد البدوي المجلسي ثم الموريتاني غزوة حمراء الأسد بقوله:

وبَعْدَهَا غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الأَسَدْ ... كانَتْ لإرْهابِ صَبِيحَةَ أُحُدْ
وأمَرَ النَّبِيُّ أن لاَ يَخْرُجَا ... إلاَّ الَّذِي بِالأَمْسِ كَانَ خَرَجَا
ولابْنِ عَبْدِ اللّهِ جَابِرٍ سَمَحْ ... بِالْغَزْوِ وإذْ لإخْوَاتِهِ جَنَحْ
بِالأَمْسِ إذْ قَالَ أبوه يا بُنَيْ ... مَا كُنْتُ أوثرك بِالْغَزْوِ عَلَيْ
وَفَتَكُوا بِجَدْ عَبْدِ المَلِكْ ... لأمِّهِ سِبْطِ أبي العَاصِ الذَّكِي
وهو المُمَثِّلُ بِعَمِّ أحْمَدِ ... وبِمُعَاوِيَةَ يُعْرَفُ الرَّدِي
وبِالَّذِي عَلَيْهِ قَبْلُ أشْفَقَا ... نَبِيُّنَا ثُمَّ ارْتَجَى أنْ يُطْلَقَا
ثَانِيَةً أنْ كَانَ ذَا بَنَاتِ ... وَهْوَ أبُو عَزَّةَ ذو الْهَنَاتِ

ا هـ.





حوادث السَّنَةِ الرابعة للهجرة

بعث أبي سلمة بن عبدالأسد إلى قطن

أبو سلمة هو عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، وأمه برة بن عبدالمطلب، كان هاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة وشهد بدراً وأحداً مع رسول الله ﷺ وجرح بأحد فأقام شهراً يداوي جرحه حتى برىء فبعثه عليه الصلاة والسلام في هذه السرية، فلما رجع منها انتقض جرحه فمات عليه رضوان الله.

قال المقريزي: قطن جبل بناحية فَيْد به ماء لبني أسد بن خزيمة، قال: وكانت يعني هذه السرية، في المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة.

قال ابن كثير: دعا رسول الله ﷺ أبا سلمة رضي الله عنه فقال: «**اخرج في هذه السرية فقد استعملتك عليها**» وقد عقد له لواء وقال: «**سر حتى تأتي أرض بني أسد فأغِز عليهم**» وأوصاه بتقوى الله ويمن معه من المسلمين خيراً، وخرج معه خمسون ومائة رجل، فانتهى إلى أدنى قطن، وهو ماء لبني أسد وكان به طليحة وأخوه سلمة ابنا خويلد. قال المقريزي: وكان الذي هيج هذا أن رجلاً من طيىء يدعى الوليد بن زهير بن طريف، قدم المدينة وذكر أنه ترك طليحة وأخاه سلمة في قومهما ومن أطاعهما لحرب رسول الله ﷺ، قال: فلما بلغ رسول الله ذلك أرسل أبا سلمة وخرج الطائي معه دليلاً، فنكب بهم الطريق وسار بهم ليلاً ونهاراً حتى

انتهوا بعد أربع إلى قطن، فوجدوا سرحاً فأخذوه وبه ثلاثة رعاء مماليك، ونذر بهم القوم فتفرقوا في كل وجه، فورد أبو سلمة الماء وقد تفرقوا عنه، فبعث في طلب النعم والشاء فأصاب منها ولم يلق كيداً، فانحدر إلى المدينة وقد أعطى الطائي الدليل من المغنم ما أرضاه ثم أخرج صفياً لرسول الله ﷺ كان عبداً ثم أخرج الخمس وقسم باقي الغنيمة بين أصحابه رضي الله عنهم أجمعين ثم رجعوا إلى المدينة.

قال المقريزي: وذكر بعضهم أنه كان قتالٌ بينهم وبين القوم قتل فيه رجل من المشركين واستشهد فيه مسعود بن عروة ا هـ. منه بتصرف والله تعالى أعلم.

قلت: وذكر هَذا البعث العلامة الموريتاني غالي بن المختار فال في بعوثه فقال:

ثـمَّ ابـنَ عـبـد الأسـد الأَمـيـنْ	أولُ آخـذِ كـتـابِ بـالـيـمـيـنْ
إلـى طـلـيـحـة فـتـى خـويـلـد	أشـجـع فـارسٍ بـحَـيِّ أَسَـدِ
مَـع أخـيـه حـزَّبـا جـمـوعـا	لِـحَـرْبِ أَفْـضَـلِ الْـوَرَى جـمـيـعَـا
فَـجَـاءَهُـمْ وجـمـعـهـم قـد ذهـبـا	فَـسَـاقَ شَـاءَهُـم وإبـلاً نَـهَـبَـا

ويشير العلامة غالي بقوله: أول آخِذِ كتاب باليمين، إلى ما نسبه إلى تحقيق المباني قال: فائدة: روي أن أول من يأخذ كتابه بيمينه عمر بن الخطاب.

لذلك فإنه يعني بقوله: أول آخذ كتاب باليمين، أي: بعد عمر بن الخطاب؛ وقد ذكر العلامة البدوي في عمود النسب أن أخاه الأسود بن عبدالأسد هو أول من يأخذ كتابه بشماله، والعياذ بالله، قال في عمود النسب:

ومـن هـلال الـلـذان مـا اتّـحـد	أخذهـمـا الـسِّجِلَّ من عبـد الأسـد
عـبـد الإلـه بـالـيـمـيـن قـد أخـذ	بـالـعـكـس الأسـود أخـوه الـمـنـتـبـذ

ا.هـ.



بعث عبدالله بن أُنَيس
إلى سُفيان بن خالد بن نبيح بعُرَنَة

قال في سبل الهدى والرشد:

روى أبو داود بإسناد حسن، والبيهقي وأبو نعيم عن عبدالله بن أُنيس رضي الله عنه، ومحمد بن عمر عن شيوخه، والبيهقي وأبو نعيم عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب، وعروة عن شيوخ محمد بن عمر: قالوا: خرج عبدالله بن أنيس من المدينة يوم الاثنين لخمس ليال خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ.

قلت: وتحديدها بهذا التاريخ تكون هذه السّرية من أعمال السنة الثالثة، والله أعلم.

وعبدالله بن أنيس بن أسعد بن حرام بن حبيب بن مالك جهني حليف لبني سلمة من الخزرج لقبه ذو المخصرة، لأن النبي ﷺ أعطاه مِخْصَرَةً وقال: «**تلقاني بها في الجنة**»، شهد العقبة الأخيرة والمشاهد كلها. وقيل: إنه مات يوم موته ﷺ حزناً عليه عليه الصلاة والسلام، والمشهور أنه عاش إلى أربع وخمسين رضي الله عنه. قال الصالحي: بلغ رسول الله ﷺ أن سفيان بن خالد بن نُبيح الهذلي ثم من بني لحيان كان ينزل بعرنة وما ولاها في أناس من قومه وغيرهم يريد أن يجمع جموعاً إلى رسول الله ﷺ، فضوى بشر كثير من أخلاط الناس إليه.

قال عبدالله بن أُنَيس رضي الله عنه: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «**إنه بلغني أن سفيان بن خالد بن نبيح يجمع لي الناس ليغزوني وهو بنخلة أو بعُرنة فائته فاقتله**» قلت: يا رسول الله صفه لي حتى أعرفه فقال: «**آية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته هبته وفرِقت منه ووجدت له قُشعريرة وذكرت الشيطان**» قال عبدالله: وكنت لا أهاب الرجال فقلت: يا رسول الله: ما فرقت من شيء قط، قال: «**بلى، آية ما بينك وبينه ذلك أن تجد له قُشعريرة إذا رأيته**» قال: واستأذنت رسول الله ﷺ أن أقول... فقال: «**قل**

ما بدا لك» وقال: «انتسب لخزاعة» قال: فأخذت سيفي ولم أزد عليه، وخرجت أعتزي لخزاعة حتى إذا كنت ببطن عُرنة لقيته يمشي ووراءه الأحابيش، فلما رأيته هبته وعرفته بالنعت الذي نعت لي رسول الله ﷺ، فقلت: صدق الله ورسوله، وقد دخل وقت العصر حين رأيته فصليت وأنا أمشي وأومىء برأسي إيماءً، فلما دنوت منه قال: من الرجل؟ فقلت: رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك عليه، قال: أجل، إني لفي الجمع له، فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثي وأنشدته وقلت: عجباً لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث، فارق الآباء وسفه الأحلام، لم ألق أحداً يشبهني ولا يحسن قتاله، وهو يتوكأ على عصا يهد الأرض حتى انتهى إلى خبائه وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه، وهم يطيفون به، فقال: هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه، فقال: اجلس، فجلست معه حتى إذا هدأ الناس ونام اغتررته، وفي أكثر الروايات أنه قال: فمشيت معه حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف فقتلته وأخذت رأسه، ثم أقبلت فصعدت جبلاً فدخلت غاراً، وأقبل الطلب من الخيل والرجال تمعج في كل وجه وأنا متمكن في الغار وضربت العنكبوت على الغار.

وأقبل رجل معه إداوته ونعله في يده وكنت حائفاً، فوضع إداوته ونعله وجلس يبول قريباً من فم الغار، ثم قال: ليس في الغار أحد، فانصرفوا راجعين، وخرجت إلى الإداوة فشربت ما فيها وأخذت النعلين فلبستهما. فكنت أسير الليل وأكمن النهار حتى جئت المدينة فوجدت رسول الله ﷺ بالمسجد، فلما رآني قال: «أفلح الوجه» فقلت: وأفلح وجهك يا رسول الله، فوضعت رأسه بين يديه وأخبرته خبري فدفع إليَّ عصا وقال: «تخصر بها في الجنة إن المتخصرين في الجنة قليل» قال الصالحي: فكانت العصا عند عبدالله بن أنيس حتى إذا حضرته الموت أوصى أهله أن يدرجوا العصا في أكفانه ففعلوا. ا هـ.

قلت: ذكر الشيخ غالي بن المختار فال بَعْثَ عبدالله بن أنيس فقال:

فَابْنُ أنيسٍ ذا الْبَسَالَةَ العلى ... لذي الجهالة ابن ثور الهذلي
نَعَتَهُ له النبيُّ فَعَرَفْ ... حينَ رآه كل ماله وَصَفْ

مِن ذكره الشيطانَ واقشعرار — بجلده عند اللقاء طار
فَحَزَّ رأسَهُ وعَنهُ سارا — يَسيرُ لَيلاً يكْمُنُ النَّهارا
حتى أتى برأسه فقالا — لَهُ النَّبِيُّ وفَلاحاً نالا
أفلحَ وَجْهُكَ وهذه العَصَا — آيتنا يومَ يُذَادُ مَنْ عَصَى
فلم تَزَلْ لَدَيْهِ حَتَّى مَدْفَنِهْ — فأدخِلَتْ لجَنْبِهِ في مَدْفَنِهْ

هذا، وذكر العلامة غالي بعد ذكر هذه السرية أن عبدالله بن أنيس رضي الله عنه أنشد في قتله هذا الكافر هذه الأبيات:

تركت ابن ثور كالحوار وحوله — نوائح تفرى كل جيب مقدّد
تناولته والظعن خلفي وخلفه — بأبيض من ماء الحديد مهند
عجوم لهام الدار عين كأنّه — شهاب بكفي قابسٍ متوقد
أقول له والسيف يعجم رأسه — أنا ابن أنيسٍ فارساً غير قعدد
وقلت له خذها بضربة ماجد — حنيف على دين النبي محمد
وكنت إذا هم النبي بكافر — سبقت إليه باللسان وباليد

ا هـ.

بعث الرجيع

قال ابن كثير: قال الواقدي، وكانت في صفر يعني من سنة أربع.

قال البخاري حدثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة قال: بعث النبي ﷺ سريةً عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين مكة وعسفان، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رامٍ فاقتصوا آثارهم

حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، قال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا رسولك، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق فنزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم، فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث يستحد بها فأعارته، قالت: فغفلت عن صبي لي فدرج حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأته فزعت فزعة عرف ذلك مني، وفي يده الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله، وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قِطْف عنب وما بمكة يومئذ من ثمرة، وأنه لموثق بالحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله.

فلما خرجوا به إلى الحل ليقتلوه قال: دعوني أُصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت، فكان أول من سن ركعتين عند القتل ثم قال: اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً، ثم قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً	على أيّ جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ	يبارِكْ على أوصال شلو مُمَزَّع

قال ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله. وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدَّبر فحمته من رسلهم فلم

يقدروا منه على شيء. أما محمد بن إسحاق فقد نقل عنه ابن كثير قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عَضَل والقَارَة، فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام، فبعث معهم رسول الله ﷺ نفراً ست هم: مرثد بن أبي مرثد الغنوي، قال ابن إسحاق: وهو الأمير، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوف، وخالد بن البُكير الليثي حليف بني عدي، وخبيب بن عدي أخو بني جحجبا بن كلفة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدُثُنَّة أخو بني بياضة بن عامر، وعبدالله بن طارق حليف بني ظفر، هكذا قال ابن إسحاق ستة وأميرهم مرثد بن أبي مرثد، وعند البخاري أنهم كانوا عشرة وأميرهم عاصم بن ثابت فالله أعلم.

قال ابن إسحاق: فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع غدروا بهم، واستصرخوا عليهم هذيلاً فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف يحيطون بهم، فتأهبوا لقتالهم، فقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتلكم ولكنَّا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه، فأما مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً، وقال عاصم بن ثابت:

مَا عِلَّتِي وأنا جَلْدٌ نَابِلُ ... والقوسُ فيها وتَرٌ عنابِل
تَزِلُّ عَن صَفْحَتِها الْمَعَابِلُ ... الموت حَقٌّ والحياةُ باطِلُ
وكل ما حَمَّ الإله نازل ... بالمرء والمرء إليه آئلُ
إن لم أقاتلكم فأمّي هَابِلُ

قال المقريزي: فرماهم عاصم حتى فنيت نبله ثم طاعنهم حتى كسرت رمحه، ثم كسر غمد سيفه وقاتل حتى قتل، فبعث الله عليه الدَّبْرَ فحمتْه فلم يدن منه أحد إلا لدغت وجهه، ثم بعث الله سيلاً في الليل فاحتمله فذهب به فلم يقدروا عليه، ذلك أنه نذر أن لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك، وقد كانوا يريدون حزَّ رأسه ليذهبوا به إلى سلافة بنت سعد بن الشُّهَيْد لتشرب

الخمر في قحف رأسه فإنها نذرت إن أمكنها الله من ذلك أن تفعله لأجل أنه قتل يوم أحد اثنين من أولادها من حملة اللواء.

قال المقريزي: وقدموا مكة بخبيب وزيد فابتاع خبيباً حُجير بن أبي إهاب بثمانين مثقالاً من ذهب، وقيل بخمسين من الإبل، واشترى زيداً صفوان بن أمية بخمسين بعيراً ليقتله بأبيه. وكان حجير يريد قتل خبيب بالحارث بن عامر بن نوفل وكان شراء قريش لهما رضي الله عنهما في شهر ذي القعدة وهو شهر حرام فحبسوهما حتى ينتهي الشهر الحرام، فلما انتهى ذو القعدة وحرمة الأشهر الحرم أخرجوهما إلى التنعيم ليقتلوهما في الحل، فصلى خبيب ركعتين تامتين لم يطول فيهما خشية أن يظن أنه إنما فعل ذلك جزعاً من الموت فكان أول من سن الركعتين عند القتل، وقال: اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً، ثم قال: اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو، اللهم ليس ههنا أحد يبلغ رسولك عني السلام فبلّغه أنت عني السلام، فقال رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه وقد أخذته غميَةٌ: «**وعليه السلام ورحمة الله**»، ثم قال: «**هذا جبريل يقرئني من خبيب السلام**». ثم قتلوه رضي الله عنه، فطعنه أبو سروعة عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبدمناف بن قصي، قال: وتولى قتل زيد نسطاس. ا هـ. من المقريزي باختصار.

ولقد ذكر العلأمة غالي في بعوثه هذا البعث فقال:

فمَرثَداً بَعْدُ إلى الرجيع ... فَفَتَكَتْ لِحْيانُ بِالْجَمِيعِ
فأخَذُوا ابن طارق وزيدا ... وابْنَ عَدِيٍّ بالأمانِ كيدا
ومَرْثِدٌ وعَاصِمٌ وخالد ... لم يقبلوا عهدهم وجالدوا
وعاصم أنشد إذ يقاتلُ ... ما عِلَّتِي وأنا جَلْدٌ بَازِلُ
الموت حقٌ والحياة باطلُ ... وكل مَا حمَّ الإله نَازِلُ
بالمرء والمرءُ إليه آيِلُ ... إن لم أقاتِلْكُمُ فإني جاهَل

لطيفة: قد كان ممن حضر قتل خبيب سعيد بن عامر الجهني ثم أسلم

بعد ذلك واستعمله عمر رضي الله عنه على بعض الشام، فكانت تصيبه غشية فذكر ذلك لعمر بن الخطاب وقيل له إنَّ الرجل لمصاب، فاستدعاه فقال له إنه بلغني عنك كذا؟ قال كنت ممن حضر قتل خبيب بن عدي وسمعت دعوته، ووالله ما خطرت على قلبي إلا غُشِيَ عليَّ، فزاده ذلك عند عمر وبالله التوفيق.

تنبيهٌ: أخرج الصالحي: قال أبو بكر بن أبي خيثمة حدثنا يحيى بن معين، قال أخبرنا يحيى بن عبدالله بن بكير، قال حدثنا الليث بن سعد رحمه الله، قال بلغني أن زيد بن حارثة أكترى من رجل بغلاً من الطائف واشترط عليه المكري أن ينزله حيث يشاء، قال فمال به إلى خربة فقال له: أنزل فنزل فإذا بالخربة كثير قتلى، فلما أراد أن يقتله قال دعني أصلي ركعتين، قال له: صل فقد صلى هؤلاء قبلك فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً، قال: فلما صليت أتاني ليقتلني فقلت: [يا أرحم الراحمين] قال فسمع صوتاً قال: [لا تقتله] قال فهاب ذلك فخرج يطلب أحداً فلم ير شيئاً، فرجع إليَّ فناديت [يا أرحم الراحمين] ففعل ذلك ثلاثاً فإذا أنا بفارس بيده حربة من حديد برأسها شعلة نار فطعنه بها فأنفذها من ظهره فوقع ميتاً، ثم قال لي لما دعوت المرة الأولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة، فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم الراحمين كنت في سماء الدنيا، فلما دعوت المرة الثالثة يا أرحم الراحمين أتيتك. ا هـ. وقد ذكر الإمام السهيلي هذه الحكاية في الروض الأنف في الكلام على بعث الرجيع وبالله التوفيق.

وقال حسان رضي الله عنه يهجو من غدر بأهل بعث الرجيع:

لعمري لقد شانت هذيلَ ابنَ مدرك ... أحاديث كانت في خبيب وعاصم
أحاديث لحيان صلوا بقبيحها ... ولحيان ركَّابون شر الجرائم
قُبيْلَةٌ ليس الوفاء يهمهم ... وإن ظُلموا لم يدفعوا كفَّ ظالم
إذا الناس حَلُّوا بالفضاء رأيتهم ... بمجرى مسيل الماء بين المخارم
محلهم دار البوار ورأيهم ... إذا نابهم أمر كرأى البهائم

بَعْثُ بئر معونة

كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من مَقْدَمه ﷺ المدينةَ. ولقد اختلف فيها والتي ذكرنا قبلها، أعني بعث الرجيع: أيهما الأول؟ فقيل: هذا وقيل: ذاك. كان سبب هذا البعث أن ملاعب الأسنة عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، قدم على رسول الله ﷺ وأهدى له فرسين وراحلتين، فقال: **«لا أقبل هدية مشرك»** ورد الهدية، وعرض ﷺ الإسلام عليه، فلم يسلم ولم يُبْعِد وقال: يا محمد إني أرى أمرك هذا حسناً شريفاً وقومي خلفي فلو أنك بعثت نفراً من أصحابك معي لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك، فإن هم اتبعوك فما أعزَّ أمرك، فقال عليه الصلاة والسلام: **«إني أخاف عليهم أهل نجد»** فقال عامر: لا تخف عليهم أنا لهم جار أن يعرضِ لهم أحد من أهل نجد.

ولقد كان في الأنصار جمع من الشباب سبعون فرداً يعرفون بالقراء، كان دأبهم أنهم إذا أمسوا أتوا ناحية من المدينة فتدارسوا وصلوا، حتى إذا كان الصبح استعذبوا من الماء وجمعوا الحطب وجاؤوا بذلك حجرات النبي ﷺ، فكان أهلهم يظنونهم في المسجد، وأهل المسجد يظنون أنهم ذهبوا إلى أهليهم. فأرسلهم النبي ﷺ وأمَّر عليهم المنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لوذان بن عبد وُدٍّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي أحد النقباء رضي الله عنه، وكتب معهم كتاباً فساروا ودليله المطلب من بني سليم حتى إذا كانوا ببئر معونة، وهو ماء من مياه بني سليم عسكروا بها وسرحوا ظهرهم وبعثوا في سرحهم الحارث بن الصمة بن عتيك بن عمرو بن عامر وهو مبذول بن مالك بن النجار، وعمرو بن أمية بن خويلد بن عبدالله بن إياس بن عبيد بن ناشرة بن كعب بن جُدَيّ بن ضمرة بن بكر بن عبدمناة الضمري.

وأرسلوا كتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل في رجال من بني عامر مع حَرام بن ملحان وهو مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري، فلم يقرأ عدو الله الكتاب ووثب على حرام

فقتله واستصرخ بني عامر فأبوا، وكان أبو براء بناحية نجد، فاستصرخ قبائل من سليم: عُصَيَّة ورِعْلاً، فنفروا معه حتى وجدوا القراء فقاتلوهم فقتلوا رضي الله عنهم إلا المنذر بن عمرو فإنهم أمَّنوه إن شاء فأبى أن يقبل أمانهم حتى يأتي مقتل حرام فلما أتى مصرعه قاتلهم حتى قتل.

وأقبل الحارث بن الصمة وعمرو بن أمية بالسرح والخيل واقفة، فقاتلهم الحارث حتى قتل بعد أن قتل منهم عدداً، وأعتق عامر بن الطفيل عمرو بن أمية عن أمه بعدما جز ناصيته.

وروى ابن إسحاق أن كعب بن زيد أخا بني دينار تركه العدو وبه رمق فارتثَّ من بين القتلى فعاش حتى قتل شهيداً بالخندق.

وكان عمرو بن أمية الضمري في رجوعه إلى المدينة لقى رجلين من بني كلاب قد لقيا رسول الله ﷺ فأمنهما وكساهما، فقتلهما للذي فعل بنو عامر بأصحاب رسول الله ﷺ فلما أخبر النبي ﷺ بقتله الرجلين العامريين، قال عليه الصلاة والسلام: «**بئس ما فعلت، قتلت رجلين قد كان لهما مني جوار وأمان، لأدينَّهما**»، وأخرج عليه الصلاة والسلام فيهما دية حرين مسلمين، فبعث بها وبسلبيهما إلى عامر بن الطفيل. وروى البخاري عن طريق هشام بن عروة قال أخبرني أبي قال: لما قُتل الذين قتلوا ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية، قال له عامر بن الطفيل: مَنْ هذا؟ وأشار إلى قتيل فقال: هذا عامر بن فهيرة، قال لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى إنِّي لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض.



ذكر من قتل
ببئر معونة رضوان الله عليهم

عامر بن فهيرة، والحكم بن كيسان، والمنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح، وأبو عبيدة بن عمرو بن مِحْصَن، والحارث بن الصمة بن

عمرو بن عتيك، وأبيُّ بن مُعاذ بن أنس بن قيس وأخوه أنس وقيل اسمه أوس، وأبو شيخ بن أبي ثابت، وحرام بن مِلحان وسليم بن مِلحان، وسفيان بن ثابت، ومالك بن ثابت من بني النَّبيت، وعروة بن أسماء بن الصلت، وقطبة بن عبد عمرو بن مسعود بن عبدالأشهل، والمنذر بن عمرو بن خُنيس، ومعاذ بن ماعص بن قيس وأخوه عائذ بن ماعص، ومسعود بن سعد بن قيس، وخالد بن ثابت بن النعمان، وسفيان بن حاطب بن أمية، وسعد بن عمرو بن ثقْف، وابنه الطفيل بن سعد، وابن أخيه سهل بن عامر بن سعد بن عمرو بن ثقْف، وعبدالله بن قيس بن صرمة بن أبي أنس، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي، والضحاك بن عبدعمرو بن مسعود، وعمير بن معبد بن الأزعر وخالد بن كعب بن عمرو بن عوف، وسهيل بن عامر بن سعد.

قال الصالحي: وبعض من ذكر اختلف في استشهاده هذا اليوم، اختلف في حضوره، فكل من كتب في المغازي متفقون على أن كل من حضرها استشهد إلا عمرو بن أمية الضمري وكعب بن زيد بن قيس الذي جرح يوم بئر معونة ومات شهيداً في الخندق.

ولقد بكى حسان على هؤلاء الشهداء فقال:

على قتلى معونة فاستهلي ... بدمع العين سحًا غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا ... ولاقتهم مناياهم بقدر
أصابهم الفناء بِعَقْدِ قوم ... تُخوِّنُ عَقْدُ حَبْلِهم بغَدْر
فيا لهفي لمنذرٍ إذ تَوَلَّى ... وأعْنَقَ في منيته بِصَبْرِ
فكائن قد أصيب غداة ذاكم ... من أبْيَضَ مَاجِدٍ من سر عمرو

ولقد ذكر الشيخ غالي البصادي ثم الموريتاني هذا البعث فقال:

فَمُنْذِراً سليلَ عمرو في حَلَبْ ... من صحبه الغُرِّ الجحاجحِ النُّجُبْ
أهلُ معونة وعامر خَفَرْ ... ملاعب الرماح إذْ بِهِم غَدَرْ
وسَبَبُ البعث أبو بَرَاءِ ... ملاعب الرماح ذو الدهاءِ

لـمـا أتـى نـبـيـنـا فَـعَـرَضَـا عـلـيـه الإسـلام وعَـنْـهُ أعْـرَضَـا
ولـم يُـبَـاعِـدْهُ ولـكـن قَـالاَ فَـلَـوْ بَـعَـثْـتَ نَـحْـوَنـا رِجَـالاَ
لـعـلَّ أهـلَ نَـجْـد يُـسْـلِـمُـونَـا وغَـيْـرَ دِيـن الله يُـسْـلَـمُـونَـا

لقد ذكر هنا أن أهل البعث الذين استشهدوا أربعين بقوله (حلب) الحاء بعدد ثمانية واللام بعدد ثلاثين والباء بعدد اثنين، ولكن المشهور الذي اعتمده صاحب عمود النسب أن الشهداء سبعون حيث يقول:

أصـيـبـت الأنـصـار يـوم أُحُـدِ بـئـر مـعـونـة الـيـمـامـة اغْـدُدِ
جِـسْـرِ أبـي عـبـيـد الـشـهـيـدِ سـبـعـيـن سـبـعـيـن بـلا مـزيـد

علماً بأنه عليه رحمة الله قال في المغازي إن أهل بئر معونة أربعون حيث يقول:

واربـعـو بـئـر مـعـونـة الـغـرر ابـن الـطـفـيـل عـامـر فـيـهـم خـفـر
أبـا بـراء وكـلا الـبـعـثـيـن قـد أرسـلا لـيـرشـدا فـي الـديـن

ا هـ.

وبالله تعالى التوفيق.

قال المقريزي: ولم يجد نبيّ الله ﷺ على قتلى مثل وجده على هؤلاء القراء قتلى بئر معونة، وأنزل فيهم قرآناً نسخت تلاوته: «بلغوا قومنا عنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه».



غزوة بني النضير

حكى البخاري عن الزهري عن عروة أنه قال: كانت غزوة بني النضير بعد بدر ستة أشهر قبل أُحُد قال ابن كثير وهكذا روى حنبل بن إسحاق عن

هلال بن العلاء عَن عبدالله بن جعفر الرقي عن مطرف عن مازن اليماني عن معمر عن الزهري، فذكر غزوة بدر في سابع عشر من رمضان سنة ثنتين، قال: ثم غزا بني النضير ثم غزا أحداً في شوال سنة ثلاث ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع، وقال البيهقي وكان الزهري يقول هي قبل أحد، قال: وذهب آخرون إلى أنها بعدها وبعد بئر معونة أيضاً، قال ابن كثير: هكذا ذكر كما تقدم، فإنه بعد ذكر بئر معونة ورجوع عمرو بن أمية الضمري وقتله ذينك الرجلين من بني عامر ولم يشعر بعهدهما الذي معهما من رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيليْن اللذين قتلهما عمرو بن أمية، فلما أتاهم النبي ﷺ قالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم إلى بعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد، فانتدب لذلك عمرو بن جحّاش بن كعب فقال: أنا لذلك، وهيأ الصخرة ليرسلها على رسول الله ﷺ وأشرف بها، فجاء الوحي بما همّوا به، فنهض رسول الله ﷺ سريعاً كأنه يريد حاجة ومضى إلى المدينة فلما أبطأ لحق به أصحابه وقد بعث في طلب محمد بن مسلمة، فأخبره بما همت به يهود، وجاء محمد بن مسلمة فقال: اذهب إلى يهود بني النضير فقل لهم: إنَّ رسول الله ﷺ أرسلني إليكم أن اخرجوا من بلده، فإنكم قد نقضتم العهد بما هممتم به من الغدر. وقد أجلتهم عشرة أيام فمن رُئي بعد ذلك ضربت عنقه.

فأخذوا يتجهزون في أيام، ثم بعث حيي بن أخطب أخاه جُدَيّ بن أخطب إلى النبي ﷺ، قال: قل له: إنا لا نخرج فليصنع ما بدا له، ذلك لأن عبدالله بن أبي بن سلول غرّه فأرسل له سويداً وداعساً بأن يقيم بنو النضير فإن معي ألفين من قومي ومن معهم من العرب فيموتون معكم في حصونكم يموتون دونكم؛ فلما بلّغ جُدَيّ رسالة أخيه كبّر رسول الله ﷺ وكبّر المسلمون معه وقال: حاربت يهود ونادى مناديه بالمسير إلى بني النضير.

وسار رسول الله ﷺ في أصحابه فصلى العصر في فضاء بني النضير، وقد قاموا على جُدُر حصونهم ومعهم النبل والحجارة، وخذلهم ابن أبيّ واعتزلتهم قريظة فلم تعنهم بسلاح ولا برجال؛ وجعلوا يرمون يومهم بالنبل والحجارة حتى أمسوا، فلما صلى رسول الله ﷺ العشاء، وقد تتامَّ أصحابه، رجع إلى بيته في عشرة من أصحابه، وعليه الدرع والمغفر وهو على فرس، واستعمل عليّاً رضي الله عنه على العسكر، ويقال: بل استعمل أبا بكر رضي الله عنه، وبات المسلمون يحاصرونهم يكبرون حتى أصبحوا وأذن بلال رضي الله عنه بالمدينة، فغدا رسول الله ﷺ في أصحابه الذين كانوا معه فصلى بالناس في فضاء بني خطمة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وحملت مع رسول الله ﷺ قبة أدَم أرسل بها سعد بن عبادة فضربها بلال ودخلها رسول الله ﷺ فرمى عَزْوَكُ اليهودي فبلغ نبله القبة، فحولت حيثُ لا يصلها النبل، ولزم رسول الله ﷺ الدرع وظل محاصرهم ستَّ ليال من ربيع الأول، قال: المقريزي: وحينئذ حرمت الخمر على ما ذكره أبو محمد بن حزم.

وفقد عليّ رضي الله عنه في بعض الليالي فقال النبيّ ﷺ إنه في بعض شأنكم، وعن قريب جاء برأس عَزْوَك، وقد كمن له حتى خرج في نفر من اليهود يطلب غرة من المسلمين، وكان شجاعاً رامياً، فشد عليه عليٌّ رضي الله عنه فقتله وفرَّ اليهود، فبعث معه النبي ﷺ أبا دجانة وسهل بن حُنيف في عشرة فأدركوا اليهود الذين فروا من عليّ رضي الله عنه فقتلوهم وأتوا برؤوسهم فطرحت في بعض الآبار، وقد كان سعد بن عبادة رضي الله عنه يحمل التمر للمسلمين.

وأمر رسول الله بالنخيل فقطِّع وحُرِّق، واستعمل على قطع النخيل وتحريقه كلاً من أبي ليلى المازني وعبدالله بن سلام فشق على يهود قطع النخيل، وبعث حيي بن أخطب إلى النبي ﷺ بأنه يخرج ومن معه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا أقبل ذلك اليوم ولكن اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة، فلم يقبل حيي**»، وأسلم يامين بن عمير بن كعب ابنُ عم عمرو بن جحاش، وأبو سعيد بن وهب ونزلا فأحرزا.

أموالهما، ثم نزلت يهود على أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة، وجعل يامين لرجل من قيس عشرة دنانير، وقيل جعل له خمسة أوسق من تمر حتى قتل عمرو بن جحاش غيلة، فسر رسول الله ﷺ بقتله.

وأقام رسول الله ﷺ على حصار بني النضير خمسة عشر يوماً حتى أجلاهم، ووَلِيَ إخراجَهم محمد بن مسلمة، وكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم مما يليهم والمسلمون يخربونها مما يليهم ويحرقون حتى وقع الصلح، فجعلوا يحملون الخشب ويحملون النساء والذرية، وشقوا السوق بالمدينة على ظهور الإبل والنساء في الهوادج عليهن الحرير والديباج وحُلِيّ الذهب والمعصفرات وهن يضربن الدفوف ويزمرن المزامير تجلداً، وكبارهم يومئذ حيي بن أخطب وسلاّم بن أبي الحقيق، وقد صف لهم الناس وهم يمرون على ستمائة بعير فنزل أكثرهم بخيبر فدانت لهم، وذهبت منهم طائفة إلى الشام، فكان ممن نزل خيبر كبراؤهم: حيي بن أخطب، وسلاّم بن أبي الحقيق، وكنانة بن الرَّبيع بن أبي الحقيق، هذا، وقد حزن المنافقون أشد حزن لخروج بني النضير. وقبض رسول الله ﷺ الأموال والحلقة، فوجد خمسين درعاً وخمسين بيضة، وثلاثمائة سيف وأربعين سيفاً.

وقال المقريزي: إن عمر رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: **«ألاَ تُخَمِّسُ ما أصبتَ؟»** فقال ﷺ: **«لا أجعل شيئاً جعله الله لي دون المؤمنين»** بقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾... الآية، كهيأة ما وقع فيه السهمان للمسلمين.

وكانت بنو النضير من صفايا رسول الله ﷺ جعلها حبساً لنوائبه، وكان ينفق على أهله منها فكانت خالصة له، فأعطى منها ما أعطى وحبس منها ما حبس، وكان يزرع تحت النخل، وكان يدّخر منها قوت أهله سنة من الشعير والتمر لأزواجه ولبني عبدالمطلب، وما فضل جعله في الكراع والسلاح.

واستعمل على أموال بني النضير مولاه أبا رافع وكانت صدقاته منها ومن أموال مخيريق.

وكانت الأنصار أول ما قدم المهاجرون ونزل رسول الله ﷺ المدينة بعد مقامه الأيام في بني عمرو بن عوف، كانت الأنصار تنافست فيهم حتى أفضى بهم ذلك إلى القرعة فما نزل مهاجري على أنصاري إلا بالقرعة من شدة حرصهم على إيوائهم، ولذلك كان المهاجرون في دور الأنصار وأموالهم. فلما غنم رسول الله ﷺ بني النضير بعث ثابت بن قيس بن شماس فدعا الأنصار كلها: الأوس والخزرج، فلما اجتمعوا عند رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين، وإنزالهم إياهم في منازلهم، وأثرتهم لهم على أنفسهم، ثم قال: **«إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليَّ من مال بني النضير، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا عنكم»**، فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: يا رسول الله بل تقسمه للمهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا، فنادت الأنصار: رضينا وسلمنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار»**، وقسم ما أفاء الله عليه على المهاجرين دون الأنصار إلا رجلين من الأنصار كانا محتاجين هما: سَهْلُ بن حُنيف بن واهب بن العُكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن خُناس بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري.

وأبو دُجانة سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة الأنصاري وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق، وكان سيفاً له ذكر.

ولما آثرت الأنصار إخوانهم المهاجرين بمال بني النضير قال أبو بكر رضي الله عنه: يا معشر الأنصار جزاكم الله عنا خيراً، فوالله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الغنويّ:

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت ... بنا نعلنا في الواطئين فزَلّتِ
أبَوْا أن يملُّونا ولو أن أُمّنا ... تُلاَقي الذي يلقوْنَ منا لَملّتِ

وأنزل الله تعالى سورة الحشر في بني النضير:

قلت: ولقد ذكر العلامة الشيخ أحمد البدوي المجلسي ثم الموريتاني في مغازيه عزوة بني النضير هذه فقال:

ثُمَّ النَّضير هَاجَها أنْ جَاءَهُمْ ... مُسْتَوْهِباً مِن دِيَّةٍ مَا نابَهُمْ
فأضْعَدُوا أحَدَهُم لِيُلْقِيَا ... عَلَيْهِ صَخْرَةً تُرِيحُ الأغْبِيا
وأخبر ابن مِشْكَم أنْ يُخْبَرا ... وزجر الرَّهْطَ فلم يَنْزَجِرا
وجاءه الخبر من ربِّ السَّما ... وفي حصارها العُقارُ حُرِّما
والحَشْرُ أنزِلَتْ بِهَا ونَقَضَا ... نَجْلُ أبيِّ عَهْدَهُمْ ورَفَضَا
وفيئُهُمْ والفَيْءُ في الأنفالِ ... ما لم يكن أخِذَ عن قِتال
أمّا الغنيمةُ ففي زِحَافِ ... والأخْذِ عَنْوَةً لدى الزِّحَافِ
لخير مُرْسَلٍ وخصَّ فِئَتَهْ ... وفي رِضَى أنصاره عَطِيَّتَهْ
كان الترحُّمُ على الأنصارِ ... أنْ آثَرُوا بِهِ بَنِي نِزَارِ
وشَاطَروهم مَالَهُمْ ونَزَلُوا ... عَنِ الحَلائِلِ لَهُمْ وأوَّلُ
مَنْ سَنَّه مُخيراً بَيْنَ اثنتين ... ابْنُ الرَّبيع لابْنِ عَوْفِ المَكِينْ
فَتَركوهُنَّ لهُمْ تَعَفُّفَا ... فَعَفَّ هَذاكَ وذاك أسْرَفَا

ا هـ.

قال المقريزي: وفي جمادى الأولى مات عبدالله بن عثمان، أمه رقية بنت محمد ﷺ.

وفي شوال من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ بأم سلمة.



غَزْوَةُ ذَاتِ الرقاع

قال ابن كثير نقلاً عن ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهري ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجداً يريد بني

محارب وبني ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر، ويقال عثمان بن عفان فسار حتى نزل نخلاً، وهي غزوة ذات الرقاع، قال ابن هشام لأنهم رقعوا فيها راياتهم، وقيل: لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع، وقيل: لجبل به بقع حمر وسود وبيض، وفي حديث أبي موسى: إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق لشدة الحر، فالله تعالى أعلم لم سميت بذلك، قال: فلقي بها غطفان فتقارب النّاسُ ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف.
قال ابن كثير: وقد ساق ابن هشام سند حديث صلاة الخوف ههنا إلى جابر بن عبدالله من طريقين وأسنده إلى نافع عن ابن عمر ولكنه لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ولم يتعرض لزمان ولا مكان؛ وفي كون غزوة ذات الرقاع التي كانت بنجد لقتال بني محارب وبني ثعلبة قبل الخندق نظر ا هـ. منه بتصرف، وذهب البخاري إلى أن ذلك كان بعد خيبر، واستدل بأن أبا موسى الأشعري شهدها وقدومه إنما كان في خيبر صحبة جعفر وأصحابه، وكذلك أبو هريرة، وقد روي عنه أنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف في غزوة نجد.

قال: ومما يدل على أنها بعد الخندق حديث ابن عمر: غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد، وذكر صلاة الخوف، ومعلوم أن ابن عمر إنما أجازه رسول الله ﷺ أول ما أجازه يوم الخندق.



قصة غورث بن الحارث

ساق ابن إسحاق سنداً إلى جابر بن عبدالله أن رجلاً من بني محارب يقال له غورث قال لقومه: ألا تحبون أن أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به، قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيف رسول الله في حجره، فقال يا محمد انظر إلى سيفك هذا؟ قال:

«نعم»، فأخذه وجعل يهزه ويهُمُّ، فيكبته الله، ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: «لا وما أخاف منك؟» قال أما تخافني وبيدي السيف؟ قال: «لا يمنعني الله منك» ثم عمد إلى سيف النبي ﷺ فرده إليه، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ الآية من آل عمران.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان أنها نزلت في عمرو بن جحاش أخي بني النضير وما هَمَّ به.

وحديث غورث هذا متكلم في سنده عند ابن إسحاق، حيث إنه يرويه عن عمرو بن عبيد القدري، وقال ابن كثير: إنه ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه والحمد لله.

وقد وقع في هذه الغزوة ما كان من خبر عباد بن بشر وإصابة الرجل له بالسهام وهو يصلي فلم يقطع صلاته حتى كاد أن يقع لنزيف الدم فأيقظ عمار بن ياسر وقد كانا يحرسان رسول الله ﷺ.

ووقع فيها ما كان من خبر جابر بن عبدالله الذي أبطأ به بعيره فنخسه رسول الله ﷺ حتى صار يسابق العضباء، وما كان من شرائه ﷺ لهذا الجمل ورده له مع ثمنه الذي اشتراه به.

وما كان من مداعبته لجابر في حديثه ﷺ معه.

فليراجع ذلك الذي يريد الاطلاع على تفصيله في محله، وكذلك من أراد الاطلاع على أحكام صلاة الخوف فليرجع إلى محل ذلك والله الموفق وهو على كل شيء قدير.

وقد ذكر الشيخ أحمد البدوي المجلسي ثم الموريتاني هذه الغزوة فقال:

ثُمَّ إلى مُحَارِبٍ وثَعْلَبَهْ ... ذَاتِ الرِّقَاعِ ناهزوا المضاربهْ

ولم يكن حربٌ وغَوْرَثُ جَرى ... فيها له الذي لدعثور جرى

مع النبيِّ وعلى المعتمد ... جرت لواحد بلا تردد

اهـ.



غزوة بدر الموعد

يقول المقريزي: ثم كانت غزوة بدر الموعد لهلال ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهراً. وسببها أن أبا سفيان بن حرب لما أراد الانصراف يوم أحد نادى: موعد بيننا وبينكم بدر الصفراء رأس الحول نلتقي فيه فنقتتل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نَعَمْ، وذلك بأمره ﷺ، قال: نعم إن شاء الله، وكانت بدر الصفراء سوقاً تجتمع فيه العرب من هلال ذي القعدة إلى ثمان منه، فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج وأحبَّ أن لا يوافي رسول الله الموعد، وكان يظهر أنه يريد الغزو في جمع كثيف، فيبلغ أهل المدينة عنه أنه يجمع الجموع ويسير في العرب، فتأهب المسلمون له وقدم نعيم بن مسعود الأشجعي مكة فأخبر أبا سفيان وقريشاً بتهيؤ المسلمين لحربهم، وكان عاماً جدباً فأعلمه أبو سفيان بأنه كاره للخروج إلى لقاء المسلمين واعتل بجدب الأرض، وجعل لنعيم عشرين من الإبل توضع تحت يد سهيل بن عمرو على أن يخذل المسلمين عن المسير لموعده وحمله على بعير، فقدم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبي سفيان حتى رعَّب المسلمين وهو يطوف فيهم حتى قذف الرعب في القلوب ولم تبق للمسلمين نية في الخروج، واستبشر المنافقون واليهود وقالوا: محمد لا يغْلِبُ هذا الجمع، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ حتى خشي أن لا يخرج معه أحد، وجاءه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقد سمعا ما سمع، وقالا: يا رسول الله إن الله مظهر دينه ومعز نبيه، وقد وعدنا القوم موعداً، ولا نحب أن نتخلف فيرون أن ذلك جبن، فَسِرْ لموعدهم، فوالله إن في ذلك لخيراً، فَسُرَّ رسول الله ﷺ، ثم قال: **«والذي نفسي بيده لأخرجنّ وإن لم يخرج معي أحد»**، فبصَّر الله المسلمين وأذهب ما كان بهم من رعب ألقاه الشيطان، وخرجوا بتجارات لهم إلى بدر فربحت ربحاً كثيراً.

واستخلف على المدينة عبدالله بن رواحة، وسار ﷺ في ألف وخمسمائة معهم عشرة أفراس، وحمل لواءه عليّ بن أبي طالب رضي الله

عنه، فانتهوا إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وقام السوق صبيحة الهلال وأقاموا ثمانية أيام والسوق قائمة.

وخرج أبو سفيان من مكة في ألفين معهم خمسون فرساً ثم رجعوا من مجَنَّة، وذلك أن أبا سفيان بدا له الرجوع فقال: يا معشر قريش، ارجعوا فإنه لا يصلحنا إلاَّ عام خصيب غيداق نرعى فيه الشجر ونشربُ اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب، فإنّي راجع فارجعوا، فرجع الناس، فسمَّاهم أهل مكة جَيْشَ السَّويقِ، يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق.

وسأل مجدي بن عمرو رسول الله ﷺ، والناس مجتمعون في سوقهم، والمسلمون أكثر ذلك الموسم، فقال مجدي في سؤاله: يا محمد لقد أخبرنا أنه لم يبق منكم أحدٌ، فما أعلمكم إلا أهل الموسم! فقال رسول الله ﷺ: **«ما أخرجنا إلاَّ موعد أبي سفيان وقتالُ عدونا، وإن شئت مع ذلك نبذنا إليك وإلى قومك العهد ثم جالدناكم قبل أن نبرح من منزلنا هذا»**، فقال الضمري: بل نكف أيدينا عنكم ونتمسك بحلفك، وانطلق معبد بن أبي معبد الخزاعي، فأسرع إلى مكة، فأخبر بكثرة المسلمين وأنهم أهل ذلك الموسم، وأنهم ألفان، وأخبرهم بما قال رسول الله ﷺ للضمري، فأخذوا بعد ذلك في الكيد والنفقة استعداداً لغزو رسول الله ﷺ واستجلبوا من حولهم من العرب، وجمعوا الأموال، وضربوا الضرائب على أهل مكة فلم يترك أحد منهم حتى يأتي بمال، ولا يقبل من أحد أقلُّ من أوقية، وذلك الاستعداد لغزوة الخندق. وأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ الآية من آل عمران.

وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة فكانت مدة غيبته عنها ست عشرة ليلة، هذا، وذكر أبو محمد بن حزم أن بدر الموعد كانت بعد ذات الرقاع، فالله أعلم هذا، وقد ذكر الصالحي أن رسول الله ﷺ استخلف على المدينة عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول، ولقد ربح أصحاب رسول الله ﷺ مَن تجارتهم تلك من الدينار ديناراً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

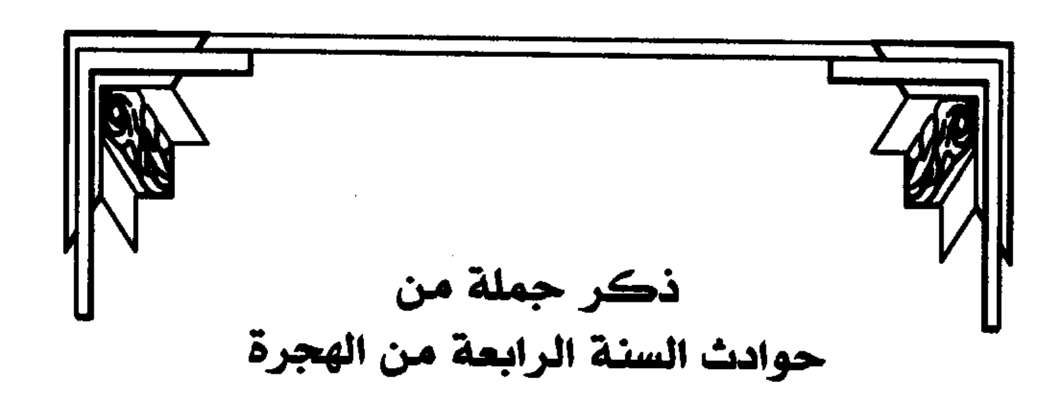
وقال عبدالله بن رواحة في هذه الغزوة:

وعَدْنا أبا سفيان بدراً فلم نجد لميعاده صدقاً وما كان وافيا
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا لأُبْتَ ذميماً وافتقدتَ المواليا
تركنا به أوصال عتبة وابنه وعمرا أبا جهل تركناه ثاويا
عصيتم رسول الله أفٍّ لدينكم وأمركم السَّيِّىء الذي كان غاويا
فإنّي وإن عنّفتموني لقائلٌ فِدًى لرسول الله أهلي وماليا
أطعناهُ فلم نَعْدِلْه فينا بغيره شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا

ا هـ.

قلت: ولقد خصّص العلامة الشيخ أحمد البدوي في نظم الغزوات لهذه الغزوة العظيمة الجدوى بيتاً واحداً. فقال عليه رحمة الله:

ثُمّ لميعاد ابن حرب بدر وكَعَّ عَنْها نَجْلُ حَرْبٍ صَخْرُ



ذكر جملة من
حوادث السنة الرابعة من الهجرة

قال ابن جرير: وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبدالله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو الذي أمه رقية بنت رسول الله ﷺ، مات عن ست سنين، فصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته والده عثمان رضي الله عنه.

وفي هذه السنة ذكر ابن كثير أنه توفي بها أبو سلمة عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي وأمه برة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ، وكان رضيعه عليه الصلاة والسلام؛ أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب تبت يداه.

ونسب في البداية لابن جرير أنه قال: وفي ليال خلون من شعبان منها ولد الحسن بن عليّ من فاطمة بنت محمد ﷺ.

وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبدالله بن عمرو بن عبدمناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية رضي الله عنها، وهي التي تعرف بأم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم وإحسانها إليهم، وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشأ ودخل بها في رمضان، وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها، وقال ابن الأثير: كانت لعبدالله بن جحش فمات عنها يوم أحد رضي الله عنه، ولا خلاف-أنها ماتت في حياته ﷺ ثم تزوج عليه الصلاة والسلام أم سلمة

في شوال من هذه السنة، فإن أبا سلمة توفي عنها لثلاث بقين من جمادى الأولى من السنة الرابعة فلما حلت في شوال خطبها ﷺ إلى نفسها بنفسه الكريمة فاعتذرت بأنها امرأة غَيْرَى، أي: شديدة الغيرة، وأنها مصبية، فقال عليه الصلاة والسلام: أما الغيرة فندعو الله فيذهبها، وأما الصبية فإلى الله ورسوله نفقتهم، فأذنت فتزوجها عليه الصلاة والسلام بولاية ولدها سلمة بن أبي سلمة، وقد زوجه رسول الله ﷺ ابنة عمه أمامة بنت حمزة وقال: «كفيت سلمة؟» إشارة إلى أنه كافأه بها على أنه زوجه أمه والله أعلم، وقد ذكرت ذلك في نظمي النسب الشريف والحسب المنيف بقولي:

ثم له أمامة من زينب	بنت عُميس ولهذه النَّبي
زوَّج من ربيبه الكريم	لابن أبي سلمة المخزومي
وقال حينَ خصَّه بالمكرمة	مداعباً: أما (كفيت سلمة)؟
ذلك أنه الذي قد زوجَهْ	بأمه هند فنال الدرجهْ

ا هـ.

ثم إن رسول الله ﷺ بعد رجوعه من بدر الموعد أقام بالمدينة حتى مضى ذو الحجة.



بَعْثُ عبدالله بن عتيك لقتل أبي رافع اليهودي

قال المقريزي: كان قتل ابن أبي الحقيق ليلة الاثنين لأربع خلون من ذي الحجة سنة أربع من الهجرة على رأس ستة وأربعين شهراً من مَقْدَمه ﷺ المدينة. وقيل: كان قبله في جمادى الأولى سنة ثلاث.

وأما الصالحي فإنه جعل هذه السرية بعد ما انقضى شأن الخندق وأمر

بني قريظة، قال: وكان سلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ. قال: وكانت الأوس قبل أحد قد قتلوا كعب بن الأشرف لعداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه، لذلك، فقد استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلّام بن أبي الحقيق وهو بخيبر، فأذن لهم.

قال الصالحي: وكان مما صنع الله من الفضل لرسوله ﷺ أن هذين الحيين ـ الأوس والخزرج ـ كانا يتنافسان في سبيل مرضاة الله ورسوله، بمعنى أنه لا تصنع الأوس مثلاً شيئاً فيه غناء عن رسول الله ﷺ إلا قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ في الإسلام، فلا ينتهون حتى يأتوا بمثلها، وإذا فعَلَتِ الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك... وهكذا، لما أصابت الأوس كعب بن الأشرف لعداوته للنبي عليه الصلاة والسلام، تذاكر الخزرج من رجل عداوته لرسول الله ﷺ مثل عداوة ابن الأشرف له، فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر. قال ابن سعد: كان أبو رافع بن أبي الحقيق قد أجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب، وجعل لهم الجعل العظيم لحرب رسول الله ﷺ، فاستأذنت الخزرج رسول الله في قتله فأذن لهم فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر هم: عبدالله بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن زيد بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري، قال محمود شاكر في تحقيق إمتاع الأسماع للمقريزي، قال: هو خزرجي، والتحقيق أن نسبه عبدالله بن عتيك بن قيس بن الأسود بن مرّي بن كعب بن غنم بن سلمة بن الخزرج.

وكانت لعبدالله بن عتيك أم يهودية بخيبر أرضعته، وكان معه في سريته عبدالله بن أنيس الجهني حليف الأنصار.

وأبو قتادة الحارث بن ربعي.

وخزاعي بن الأسود أو الأسود بن خزاعي حليف للخزرج.

ومسعود بن سنان.

وأمّر عليهم رسول الله ﷺ عبدالله بن عتيك ونهاهم عن قتل النساء والولدان. قال الصالحي: زاد البراء بن عازب كما الصحيح: عبدالله بن عُتبة فيكونون به ستة، وزاد موسى بن عقبة والسهيلي: أسعد بن حرام، فيكونون به سبعة.

قال المقريزي: فلما أتوا خيبر نزلوا على أم عبدالله بن عتيك ليلاً، وقد تلقتهم بتمر وخبز فكمنوا حتى هدأت الرِّجْل، ثم خرجوا، فاستفتحوا على أبي رافع، فقالت امرأته: ما شأنكم؟ فقال لها عبدالله بن عتيك وكان يرطن باليهودية: جئت أبا رافع بهدية، ففتحت له فدخل بمن معه، وأبو رافع نائم فعلوه بأسيافهم، وقد صاحت المرأة واتكأ عبدالله بن أنيس بسيفه على بطنه حتى بلغ الفراش وهلك عدو الله فنزلوا، ونسي أبو قتادة قوسه فرجع فأخذها ووقع من الدرجة فانفكت رجله فاحتملوه. وقام الصائح فخرج في طلبهم أبو ذؤيب الحارث ومعه جمعهم فنجاهم الله منه، فكمنوا يومين حتى هدأ الطلب ثم أقبلوا إلى المدينة ورسول الله ﷺ على المنبر فقال: «**أفلحت الوجوه**»، فقالوا: أفلح وجهك يا رسول الله، قال: «**أقتلتموه؟**»، قالوا: نعم، كلنا يدَّعي قتله، وأروه أسيافهم، قال: «**هذا قتله، هذا أثر الطعام في سيف عبدالله بن أنيس**». فكانت غيبتهم عشرة أيام. قال المقريزي: وقيل: كانت هذه السرية في رمضان سنة ست. وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه يذكر بقتل ابن الأشرف وقتل سلاَّم بن أبي الحقيق:

لله در عصابة لاقيتهم ... يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكمُ ... مرحاً كأسَدٍ في عرين مُغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم ... فسقوكمُ حَتْفاً ببيضٍ ذُفُّف
مستبصرين لنصر دين نبيهم ... مستَصْغرين لكل أمْرٍ مُجْحفِ

اهـ.

هذا، وفي رواية أخرى أوردها البخاري أنه كان في حصن له بالحجاز وأن عبدالله بن عتيك انفرد بقتله، وقد بسط الصالحي تفصيل هذه الرواية في الجزء السادس صفحة ١٦٣/١٦٤ وبالله تعالى التوفيق.

قلت: وقال الشيخ غالي بن المختار فال يذكر هذا البعث:

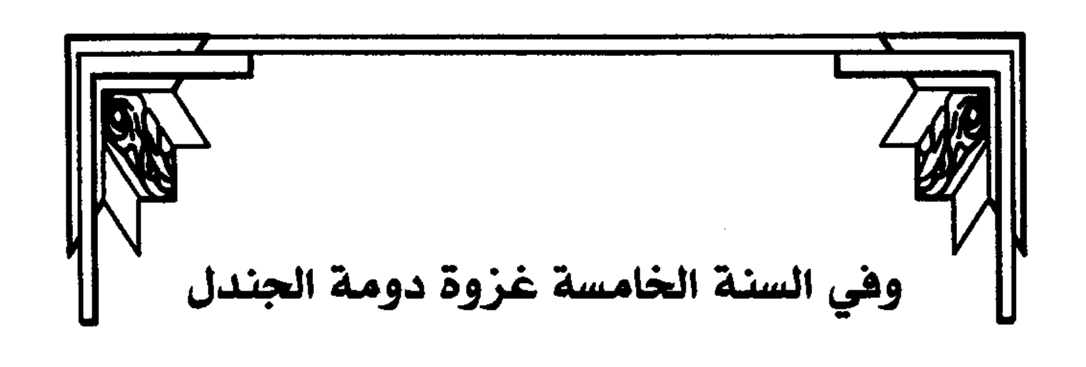
فابْنَ عتيك المطيعَ الخذِما لابْنِ أبي الحقيق حتى هَجَمَا
عَلَيْهِ لَيْلاً نائماً فَقَتَلَهْ وابْنُ أنَيْسٍ سَيْفُهُ شَهِدَ لهْ

ا هـ.

وعلى رواية البخاري مشى العلامة غالي. قال في الشرح: قتله ابن عتيك وحده كما في صحيح البخاري ووقف أصحابه خارج الدار. وكان ضعيف البصر فوقع من الدرجة فانكسرت رجله أو وثئت وثأً شديداً. قال وَثِىءَ الجرح كفرِح وجع من غير كسر ا هـ. منه.

وقال المقريزي نقلاً عن البلاذري: إن الخمر حرمت سنة أربع من الهجرة، وقد سبق أن أشرنا في غزوة النضير إلى تحريم الخمر وبالله تعالى التوفيق.





وفي السنة الخامسة غزوة دومة الجندل

وفي ربيع الأول من سنة خمس غزا ﷺ دومة الجندل، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري، قال ابن إسحاق: ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ولم يلق كيداً.

قال الصالحي: وكان سببها أن رسول الله ﷺ أراد أن يدنو إلى أدنى الشام وذكر له أن بها جمعاً كثيراً وأنهم يظلمون من مرَّ بهم، وأنهم يريدون الدنو من المدينة، فندب النبي ﷺ الناس وخرج في ألف من أصحابه، فكان يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل من نبي عذرة يقال له مذكور رضي الله عنه وكان هادياً خريتا فأغذَّ السير ونكب عن طريقهم فلما دنا رسول الله ﷺ من دومة الجندل قال له الدليل: إن مواشيهم ترعى عندك فأقم لي حتى أطلع لك، ففعل، وخرج العذري طليعة وحده حتى وجد آثار النعم والشاء وهم مغربون ثم رجع إليه ﷺ فأخبره وقد عرف مواضعهم، فسار عليه الصلاة والسلام حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب منها وفر باقيهم، فتفرق أهل دومة الجندل ونزل ﷺ بساحتهم فلم يجد منهم أحداً فأقام أياماً هناك وبعث السرايا فعادت كل سرية بإبل ولم تلق أحداً، إلا أن محمد بن مسلمة أخذ رجلاً منهم فأتى به النبي ﷺ فسأله عن أصحابه، فقال: هربوا أمس لما سمعوا أنك أخذت نعمهم، فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام فأسلم، ورجع ﷺ إلى المدينة في العشرين من ربيع الآخر، ووادَع في طريقه عيينة بن حصن الفزاري أن يرعى بتغلميس وما والاها إلى المراض، وكانت بلاده قد أجدبت.

وكانت أم سعد بن عبادة رضي الله عنه ماتت بعد ما خرج رسول الله ﷺ وولدها معه في تلك الغزوة فلما قدم رسول الله ﷺ صلى عليها وقد مضى لذلك شهر، رواه أبو عيسى الترمذي. ويظهر من ذلك أنه غاب شهراً عن المدينة أو يزيد والله تعالى أعلم.

أما العلامة البدوي فإنه لم يذكر هذه الغزوة إلا ببيت واحد قال:

فَدومَةُ الجَنْدَلِ هَاجَهَا زُمَرْ بِدُومَةٍ يَظْلِمْنَ مَنْ بِهِنَّ مَرْ

وقال المقريزي يذكر أحداثاً وقعت في هذه السنة قال:

وفي ذي القعدة من هذه السنة تزوج ابنة عمته زينب بنت جحش، وقيل سنة ثلاث وقيل تزوجها سنة ثلاث مع زينب أم المساكين، وفيها نزلت آية الحجاب، وفي هذه السنة أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت بتعلم كتاب اليهود، وفيها رجم ﷺ اليهوديَّ واليهودية.

وفي جمادى الأخيرة منها خسف القمر وصلَّى ﷺ صلاة الخسوف، وفيها سابق رسول الله ﷺ بين الخيل وجعل بينها سَبَقاً ومحللاً، وقيل كان ذلك سنة ست والله تعالى أعلم.



غزوة المريسيع
وهي غزوة بني المصطلق

اعلم أنهم اختلفوا في تاريخ هذه الغزوة: أكانت سنة أربع أم سنة خمس أم هي وقعت سنة ست؟ قال البخاري: وقال موسى بن عقبة: سنة أربع، قال ابن حجر: كذا ذكره البخاري وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع، قال: والذي في مغازي موسى بن عقبة من عدة طرق أخرجها الحاكم وأبو سعيد النيسابوري والبيهقي في الدلائل وغيرهم

سنة خمس، ولفظه عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب: ثم قاتل رسول الله ﷺ بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس ويؤيده ما أخرجه البخاري في الجهاد عن ابن عمر أنه غزا مع النبي ﷺ بني المصطلق في شعبان سنة أربع، ولم يؤذن له في القتال لأنه إنما أذن له فيه في الخندق كما تقدم، وهي بعد في شعبان سواء قلنا إنها سنة خمس أو سنة أربع.

وقال الحاكم في الإكليل: قول عروة وغيره إنها وقعت سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق. قال ابن حجر: ويؤيده ما ثبت في حديث الإفك أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة في أصحاب الإفك كما سيأتي، فلو كان المريسيع في شعبان سنة ست مع كون الإفك كان فيها لكان ما وقع في الصحيح من ذكر سعد بن معاذ غلطاً، لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة وكانت سنة خمس على الصحيح، وإن كانت كما قيل سنة أربع فهي أشد، فظهر أن المريسيع كانت وقعت سنة خمس في شعبان لتكون قبل الخندق، لأن الخندق كانت في شوال سنة خمس أيضاً فتكون بعدها، فيكون سعد موجوداً في المريسيع ورمى بعد ذلك بسهم في الخندق ومات من جراحته في بني قريظة. إلى أن قال: ويؤيده أيضاً أن حديث الإفك كان سنة خمس، إذِ الحديث فيه التصريح بأن القصة وقعت بعد نزول الحجاب ونزول الحجاب كان في ذي القعدة سنة أربع عند جماعة فيكون المريسيع بعد ذلك فيترجح أنها سنة خمس. قال المقريزي: يقال غزوة بني المصطلق وهم بنو جذيمة بن كعب بن خزاعة، فجذيمة هو المصطلق، والمريسيع ماء لخزاعة بينه وبين الفُرع نحو من يوم، وبين الفُرع والمدينة ثمانية برد.

خرج رسول الله ﷺ يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، وقال ابن هشام: استعمل أبا ذر، وقيل استعمل نميلة بن عبدالله الليثي فالله أعلم؛ ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر رضي الله عنه، وقيل عمار بن ياسر، ودفع راية الأنصار إلى سعد بن عبادة.

وسببها أن الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن مالك بن جُذَيمة بن كعب بن خزاعة سيد بني المصطلق جمع لحرب رسول الله ﷺ من قدر عليه من قومه ومن العرب فتهيؤوا للمسير إليه، وكانوا بناحية الفُرع فبلغ خبرهم رسول الله ﷺ فبعث بريدة بن الحُصيب بن عبدالله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدي بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارث بن عمرو بن عامر الأسلمي، بعثه يعلم علم ذلك.

قال الصالحي: واستأذنه في القول فأذن له، فخرج حتى ورد عليهم ماءهم، فوجد قوماً مغرورين قد تألبوا وجمعوا الجموع، فقالوا: من الرجل؟ قال رجل منكم قدمت لما بلغني عن جمعكم لهذا الرجل، فأسير في قومي ومن أطاعني فنكون يداً واحدة حتى نستأصله، قال الحارث بن أبي ضرار: فنحن على ذلك فعجل علينا، فقال بريدة: الآن فآتيكم بجمع كثيف من قومي، فَسُرُّوا بذلك منه، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر القوم فندب رسول الله ﷺ الناس وأخبرهم خبر عدوهم فأسرع الناس الخروج، وقادوا ثلاثين فرساً منها عشرة للمهاجرين وعشرون فرس للأنصار ولرسول الله ﷺ من ذلك فرسان هما: لِزَارٌ والظَّرِبُ.

وخرج مع المسلمين في هذه الغزوة كثير من المنافقين ليصيبوا من عرض الدنيا ولقرب السفر عليهم.

فلقي رسول الله ﷺ في طريقه رجلاً من عبدالقيس فعرض عليه الإسلام فأسلم وسأل: أي الأعمال أحب؟ قال: **«الصلاة في أول وقتها»** فكان لا يؤخر الصلاة إلى الوقت الأخير، وأصاب عيناً من المشركين فسأله عن قومه فلم يذكر من خبرهم شيئاً، فعرض عليه الإسلام فأبى، فأمر عمر بن الخطاب فضرب عنقه.

وانتهى رسول الله ﷺ إلى المريسيع وهو ماء لخزاعة من ناحية قديد إلى الساحل، وقد بلغ القوم مسير رسول الله ﷺ وأنه قتل عينهم، فتفرق عن الحارث من كان قد اجتمع إليه من أفناء العرب. وضربت قبة من أدم

لرسول الله ﷺ، وكان معه من نسائه في هذه الغزوة عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما، فصف أصحابه رضي الله عنهم، وتهيأ الحارث للحرب، ونادى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الناس بأمر رسول الله ﷺ: **«قولوا لا إله إلا الله تمنَعُوا بها أنفسكم وأموالكم»**، فأبوا، فتراموا بالنبل ساعة، فكان أول من رمى بسهم رجل منهم، فرمى المسلمون ساعة بالنبل ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يحملوا فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت من المشركين إنسان واحد، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم، وسبا رسول الله ﷺ الرجال والنساء والذرية، والنعم والشاء، ولم يُقتل من المسلمين إلا رجل واحد يقال له هشام بن صبابة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من المشركين فقتله خطأً، فأمر النبي ﷺ بإخراج ديته فقبضها أخوه مِقْيَسُ بن صبابة أتى مسلماً فيما يظهر وهو يطلب دية أخيه، فلما قبض الدية عدا على قاتِل أخيه فقتل أوساً الذي قتله ثم ارتد ورجع إلى مكة وقال في ذلك:

شفى النفس أن قد بات بالقاع مُسْنَداً	يُضَرِّجُ ثوبيه دماءُ الأخَادِعِ
وكانت هموم النفس من قبل قتله	تُلِمُّ فتحميني وطاء المضاجع
حللت به وترى وأدركت ثؤرتي	وكنت إلى الأوثان أول راجعِ
ثأرت به فِهْرا وحَمَّلتُ عَقله	سُراةَ بني النجار أرباب فارعِ

ا هـ.

وكان ذلك سبب إهدار رسول الله ﷺ دمه ولو وجد معلقاً بأستار الكعبة، فقتله يوم الفتح نميلة بن عبدالله الليثي.

وأمر رسول الله ﷺ بالأسرى فكتفوا واستعمل عليهم بريدة بن الحصيب، وأمر بما وُجِدَ في رحالهم من متاع وسلاح فَجُمِعَ، وسيقت النعم والشاء واستعمل عليها شقران مولاهُ، واستعمل على المقسم: مقسم الخمس، وسهمان المسلمين مَحْمِيةَ بن جَزْءٍ بن عبديغوث بن عُوَيْج بن عمرو بن زُبَيْد الأصغر الزُّبيدَيّ، فأخرج رسول الله ﷺ الخُمسَ من جميع المغنم فكان يليه مَحْمِيةُ بن جَزْءٍ، وكان يجمع إليه الأخماس، وكانت

الصدقات على حدتها وأهل الفيء بمعزل عن الصدقة، وأهل الصدقة بمعزل عن الفيء، فكان يعطي من الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف، فإذا احتلم اليتيم نقل إلى الفيء وأخرج من الصدقة، ووجب عليه الجهاد، فإن كره الجهاد وأباه لم يعط من الصدقة شيئاً، وخَلَّى بينه وبين أن يكتسب لنفسه.

وكان رسول الله ﷺ لا يمنع سائلاً، فأتاه رجلان يسألانه من الخمس فقال إن شئتما أعطيتكما منه، ولا حظٌ فيها لغنيٍ ولا لقويٍ مكتسب.

وفرق السبي، فصار في أيدي الرجال، وقسم المتاع والنعم والشاء، وعدلت الجزور بعشر من الغنم، وبيعت رثة المتاع فيمن يزيد، وأُسْهِمَ للفرس سَهْمَانِ ولصاحبه سَهْمٌ وللراجل سهمٌ، وكانت الإبل ألفي بعير، والغَنَم خمسة آلاف شاة، وكان السبي مائتي أهل بيت وكانت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له فكاتبها على تسع أواق من ذهب. فبينما النبي ﷺ على الماء إذ دخلت عليه تسأله في كتابتها وقالت: يا رسول الله إني امرأة مسلمة، وتشهدت وانتسبت وأخبرته بما جرى لها واستعانته في كتابتها، فقال: «**أوَخيرٌ من ذلك؟ أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك**»، قالت نعم، فطلبها من ثابت فقال: هي لك يا رسول الله، فأدّى ما عليها وأعتقها وتزوجها. وخرج الخبر إلى الناس وقد اقتسموا رجال بني المصطلق وملكوهم ووطئوا نساءهم، فقالوا: أصهار النبي ﷺ، فأعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي، فكانت جويرية رضي الله عنها عظيمة البركة على قومها.

وكان اسم جويرية قبل الإسلام برة فأسماها رسول الله ﷺ جويرية. قال المقريزي: وكانوا قدموا المدينة ببعض السبي فقدم عليهم أهلوهم فافتدوهم فلم تبق امرأة من بني المصطلق إلاّ رجعت إلى قومها.

وسئل رسول الله ﷺ في هذه الغزوة عن العزل فقال: «**ما عليكم أن لا تفعلوا! ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلاّ هي كائنة**»، فقال رجل من اليهود لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقد خرج بجارية يبيعها في

السوق: لعلك تريد بيعها وفي بطنها منك سخحلة؟ فقال: كلاً إني كنت أعزل عنها، فقال: تلك المؤودة الصغرى، فلما أخبر رسول الله ﷺ بذلك قال: **«كذبت يهود»**.

وذكر الصالحي في سبل الهدى والرشاد مناماً لأم المؤمنين جويرية بنت الحارث أضاف روايته إلى هشام بن عروة عن أبيه، قال قالت جويرية رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري فكرهت أن أخبر بها أحداً من الناس حتى قدم رسول الله ﷺ فلما سبينا رجوت الرؤيا، فلما أعتقني وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله تعالى.

خبر جهجاه وسنان على الماء

وبينما المسلمون على ماء المَريسيع، وقد انقطع الحرب، وهو ماء ظنون، إنما يخرج في الدلو نصفُه، أتى سنان بن وَبَر الجهني حليف الأنصار وعلى الماء جمع من المهاجرين والأنصار، فأدلى سنان دلوه وأدلى جهجاه بن مسعود الغفاري أجير عمر بن الخطاب دلوه، فالتبست دلو سنان ودلو جهجاه، فضرب جهجاه سناناً فسال الدم، فنادى سنان: يا لَلأنصار، ونادى جهجاه: يا لَلمهاجرين، وفي لفظ نادى: يا لقريش، فأقبل جمع من الحيين وشهروا السلاح حتى كادت أن تكون فتنة عظيمة، فخرج رسول الله ﷺ فقال: **«ما بال دعوى الجاهلية؟»** فأخبر، فقال: **«دعوها فإنها منتنة، ولينصر الرجل أخاه ظالماً كان أو مظلوماً، فإن كان ظالماً فلينهه وإن كان مظلوماً فلينصره»** فقام رجال في الصلح فترك سنان حقه.

وكان عبدالله بن أبي بن سلول جالساً في عشرة من المنافقين فغضب وقال: والله ما رأيت كاليوم مذلّة، والله إن كنت لكارهاً لوجهه هذا ولكن

قومي قد غلبوني، قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلدنا وأنكروا منَّتنا، والله ما صرنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سَمِّنْ كلبك يأكلك. والله لقد ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما هتف به جهجاه وأنا حاضر لا يكون لذلك مني غيرٌ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضر من قومه وقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم ونزلوا منازلكم، وآسيتموهم في أموالكم حتى استغنوا، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم، ثم لم ترضوا ما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضاً للمنايا فقتلتم دونهم فأيتمتم أولادكم وقَلِلْتم وكثُروا. وكان زيد بن أرقم، وهو غلام قد ناهز الحلم أو يكاد، كان حاضراً، فحدَّثَ رسول الله ﷺ بذلك وعنده نفر من المهاجرين والأنصار، فتغير وجهه ثم قال: **«يا غلام، لعلك غضبت عليه؟»** قال: لا والله لقد سمعت منه، قال: **«لعله أخطأ سمعك؟»** قال: لا يا نبي الله، قال: **«لعله شبه عليك؟»** قال لا والله لقد سمعت منه يا رسول الله. وشاع في العسكر ما قال ابن أبيّ حتى ما كان للناس حديث غيره. وأنّب جماعة من الأنصار زيد بن أرقم، فقال في جملة كلامه: إني لأرجو أن ينزل الله على نبيه حتى تعلموا مَنْ الكاذب أنا أم غيري، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، مُرْ عبّاد بن بشر فلْيأتك برأسه، فكره ذلك وقال: **«لا يتحدَّثُ الناسُ أن محمداً يقتل أصحابه»**، وبلغ الخبر ابن أبي فحلف بالله ما قال، وأسرع رسول الله ﷺ عند ذلك السير، وارتحل في ساعة لم يكن يرتحل فيها.

فأقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى جاء رسول الله ﷺ وعنده غُلَيِّمٌ أسود يغمز ظهره، فقال: يا رسول الله كأنك تشتكي ظهرك؟ فقال: **«تقحمت بي الناقة الليلة»**، فقال عمر: يا رسول الله، إيذنْ لي أن أضرب عنق ابن أبي في مقالته، فقال: **«لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»**.

ولم يشعر أهل العسكر إلا برسول الله ﷺ على راحلته، وكانوا في حر شديد، وكان لا يروح حتى يبرد إلا أنه لما جاءه ابن أبي رحل في تلك الساعة فكان أول من لقيه سعد بن عبادة رضي الله عنه ويقال: أسيد بن

حضير، فقال: خرجت يا رسول الله في ساعة ما كنت تروح فيها، فقال: **«أوَلم يبلغك ما قال صاحبكم ابنُ أبي؟ زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل؟»** فقال: أنت يا رسول الله تخرجه إن شئت، فهو الأذل وأنت الأعز، يا رسول الله ارفق به، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز، ما بقيت عليهم إلا خرزة واحدة عند يوشع اليهودي ليتوجوه، فما يرى إلا أنك قد سلبته ملكه. وبينما رسول الله ﷺ يسير من يومه ذلك، وزيد بن أرقم يعارضه براحلته يريد وجهه، ورسول الله ﷺ يستحث راحلته فهو مُغِذٌ في السير، إذ نزل عليه الوحي فسُرِّيَ عنه فأخذ بأذن زيد بن أرقم حتى ارتفع من مقعده عن راحلته وهو يقول: **«وَفَتْ أُذُنُكَ يَا غُلَام وصدّق الله حديثك»** ونزل في ابن أبي ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ السورة كلها نزلت جملة. وكان عبادة بن الصامت قد قال قبل ذلك لابن أبي: رأيت رسول الله يستغفر لك، فلوى رأسه معرضاً، فقال له عبادة: والله لينزلنَّ في لَيِّ رأسِك هذا قرآن يصلى به.

ومر عبادة بن الصامت بابن أبيٍّ عشيةَ راح رسول الله ﷺ من المريسيع، وقد نزل فيه القرآن، فلم يسلم عليه، ثم مر أوس بن خوليٍّ فلم يسلم عليه، فقال: إن هذا الأمر قد تمالأتما عليه، فرجعا إليه فأنّباه وبكّتاهُ بما صنع وبما نزل من القرآن تكذيباً لحديثه، فقال: لا أعود أبداً، وجاء ابنه عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول فقال: يا رسول الله إن كنت تريد أن تقتل والدي فيما بلغك فمرني به، فوالله لأحملنَّ إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا، والله لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبرٌ بوالده مني، وإنّي لأخشى، يا رسول الله، أن تأمر غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأدخل النار، وعفوك أفضل ومَنُّك أعظم، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أردت قتله، وما أمرت به، ولنُحْسِنَنَّ صحبته ما كان بين أظهرنا»**، فقال: يا رسول الله، إنَّ أبي كانت هذه البحيرة قد اتفقوا عليه ليتوجوه، فجاء الله بك فوضعه ورفعنا بك، ومعه قوم يطيفون به يذكرونه أموراً قد غلب الله عليها. وقال عبدالله في ذلك شعراً.

ولما خرجوا من المريسيع قبل الزوال لم يُنِخ أحدٌ منهم إلا لحاجة أو لصلاة ورسول الله يستحثُّ راحلته بالسوط في تراقيها ﷺ، حتى أصبحوا، ومدُّوا يومهم حتى انتصف النهار ثم راحوا مسرعين فنزلوا ماءً يقال له بَقْعَاء، فأخذتهم به ريح شديدة إلى أن زالت الشمس ثم سكنت آخر النهار حتى أشفقوا عنها فسألوا عنها رسول الله ﷺ فأخبرهم أنه مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة فلذلك عصفت الريح، وكان موته للمنافقين غيظاً شديداً، وهو رفاعة بن زيد بن التابوت، وكان أحد بني قينقاع وكان كهفاً للمنافقين، لقد مات هذا اليوم، وكانت هذه الريح بالمدينة حتى دفن عدو الله فسكنت.

ولقد أخبر عبادة بن الصامت عدو الله ابن أبي فقال: أبا حباب مات خليلك، قال: أيهم؟ قال: مَنْ موتُه فتحٌ للمسلمين، رفاعة بن زيد بن التابوت، قال: يا ويلاه! كان والله وكان، فقال عبادة: اعتصمت والله بالذَّنب الأبتر، قال من خبّرك؟ قال: رسول الله أخبرنا أنه مات هذه الساعة. فأُسْقط في يديه وانصرف كئيباً حزيناً، فلما دخلوا المدينة وجدوا عدو الله مات في تلك الساعة.

قال المقريزي: وسابق ﷺ يومئذ بين الإبل والخيل، فسبقت القصواء الإبل وسبق الخيل فرسه ﷺ الظرب فكان بلال على القصواء وعلى الظرب أبو أسَيد الساعدي.



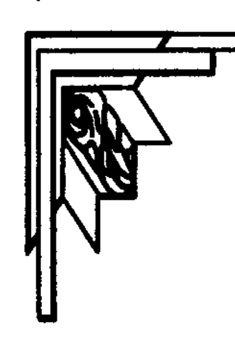
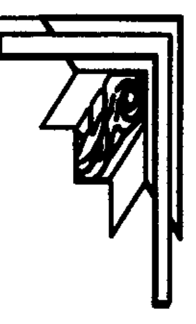
نُزولُ آيةِ التيمم وسبب ذلك

ونزل رسول الله ﷺ منزلاً ليس معه ماء، وسقط عقد لعائشة رضي الله عنها من عنقها، فأقام رسول الله ﷺ حتى أصبحوا وضجر الناسُ وقالوا: حبستنا عائشة، فضاق بذلك أبو بكر ذرعاً فعاتب عائشة عتاباً شديداً، فنزلت آية التيمم طلوع الفجر فمسح المسلمون أيديهم بالأرض

وتيمموا وصلوا وقال رسول الله ﷺ : «**كان مَنْ قبلَكم لا يصلون إلا في بيعهم وكنائسهم وجعلت لي الأرض طهوراً حيث ما أدركتني الصلاة**».

ثم ساروا فنزلوا موضعاً دمثاً ذا أراك، فقال ﷺ لعائشة: «**هل لك في السباق؟**» قالت، نعم، فتحزَّمت ثيابها وفعل ذلك رسول الله ﷺ ثم استبقا فسبق رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها، فقال: «**هذه بتلك السبقة التي كنت سبقتِني بها**»، يشير ﷺ إلى أنه كان جاء إلى منزل أبي بكر رضي الله عنه، ومع عائشة شيء، فقال عليه الصلاة والسلام: هلمّيه! فأبتْ وسعتْ فسعى في أثَرِها فسبقته. وأخرج أبو داود من حديث هشام بن عروة عن أبيه، وعن أبي سلمة عن عائشة أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر: فسابقْتُه فسبقْتُه على رجليّ، فلما حملت اللّحم سابقته فسبقني، فقال: «**هذه بتلك**». قال المقريزي: وخرجه ابن حبان به ولفظه: سابقني النبي ﷺ فسبقته، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللّحمُ سابقني النبي ﷺ فسبقني، فقال: «**هذه بتلك**».



حديث الإفك

قال ابن حجر في شرحه للبخاري: حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله حدثنا إبراهيم بن سعيد عن صالح عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيِّب وعلقمة بن وقّاص وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يُصدِّق بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض، قالوا: «قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أنزل الحجاب، فكنت أُحْمَلُ في هودجي وأُنْزَلُ فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه. قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يُرحلوني فاحتملوا هودجي فرَحَّلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه ـ وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يَهْبُلْنَ ولم يَغْشَهُن اللحم، إنما يأكلن العُلْقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السِّنّ فبعثوا الجمل فساروا،

ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داعٍ ولا مجيب. فتيممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعونَ إليّ. فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سوادَ إنسان نائم، فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمّرت وجهي بجلبابي، والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته، فوطىء على يدها، فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغِرين في نحر الظهيرة وهم نزول. قالت: فهلك فيَّ من هلك. وكان الذي تولى كِبْرَ الإفك عبدالله بن أبي بن سلول. قال عروة: أُخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فَيُقرُّه ويستمعه ويستوشيه. وقال عروة أيضاً: لم يسمّ من أهل الإفك أيضاً إلاّ حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم، غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى، وإن كِبَر ذلك يقال عبدالله بن أبي بن سلول. قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي يقول:

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهراً، والناس يُفيضُونَ في أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيُسلِّم ثم يقول: «كيف تيكم؟» ثم ينصرف، فذلك يريبني ولا أشعر بالشر، حتى نقَهتُ، فخرجت مع أم مسطح قِبَلَ المناصع، وكان متبرزَنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكُنُف قريباً من بيوتنا، قالت وأمرنا أمرُ العرب الأول في البيرية قبل الغائط وكنا نتأذى بالكُنُفِ أن نتخذها عند بيوتنا. قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رُهم بن المطلب بن عبدمناف، وأمُّها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عبّاد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أمُّ

مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها بئس ما قلتِ، أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: أيْ هَنْتَاهُ، ولم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت: ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك. قالت: فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمّي: يا أمَّتاهُ ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها، قالت: فقلت سبحان الله، أوقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت: ودعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة فأشار إلى رسول الله ﷺ بما يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهْلَكَ ولا نعلم ألا خيراً، وأما عليّ فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وسَلِ الجارية تَصْدُقْك، قالت: فدعا بريرة فقال: «**أي بريرة، هل رَأيت من شيء يريبك؟**» قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمِصُه، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن تأكله، قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبدالله بن أبي، وهو على المنبر، فقال: «**يا معشر المسلمين، من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي؟ والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلا معي**»، قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبدالأشهل، فقال: أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد بن حضير، وهو

ابن عم سعد، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله، لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر. قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أني لأظنُّ أن البكاء فالق كبدي، فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنَتْ عليَّ امرأة من الأنصار فأذِنْتُ لها، فجلست تبكي معي. قالت: فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، ولقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: **«أما بعد يا عائشة، إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه»**. قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة، لا تصدقونني، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة، لتصدقُنّي، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، والله يعلم أني حينئذ بريئة وأن الله مبرّئي ببراءتي، ولكِن والله ما كنت أظن أن الله تعالى منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسولُ الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها. فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرحاء حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل

الجمان وهو في يوم شات، من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت فسُرّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: «**يا عائشة أمّا الله فقد برّأكِ**» قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: لا والله لا أقوم إليه، فإنّي لا أحمد إلا الله عز وجل، قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ إلى عشر آيات، ولما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فقال أبو بكر الصديق: بلى يا رب، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجّع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب: «**ماذا علمتِ أو رأيتِ؟**» فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع، قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك.

قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط. ا هـ. فتح الباري.

ولما نزل القرآن ببراءة أم المؤمنين عائشة خرج رسول الله ﷺ مسروراً فصعد المنبر وتلا على الناس ما نزل عليه في براءتها رضي الله عنها. قال المقريزي: كان نزول براءة أم المؤمنين عائشة بعد قدومه المدينة بسبع وثلاثين ليلة.

قلت: وهذا أكبر دليل على أن النبي لا يعلم الغيب، وأنه لا يعلم منه إلا بقدر ما يُعلّمه الله منه، وصدق الله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧﴾... الآية من الجن.

وكان الذين خاضوا في الإفك مع ابن أبي: مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش رضي الله عن ثلاثهم أجمعين، قال المقريزي: فضربوا الحد، وقيل: لم يضربوا، وهو أثبت، وقال ابن كثير: فضربوا حدهم، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين عن الزهري، وهذا الحديث فيه فوائد جمة وذكر حد القذف لحسان ومن معه، رواه أبو داود في سننه، قال: وقال ابن إسحاق وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه:

لقد ذاق حسان الذي كان أهله ... وحمنةُ إذْ قالوا هجيرا ومسطحُ
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم ... وسخطةَ ذي العرش الكريم فأُتْرِحوا
وآذوا رسول الله فيها فجُلِّلوا ... مَخازِيَ تبقى عُمِّمُوها وفُضِّحُوا
وصبت عليهم محصدات كأنها ... شآبيبُ قطر في ذُرى المزن تَسْفَحُ

ا هـ.

قال المقريزي: وكان عبدالله بن أبي بن سلول لما قال الإفك، ذكر جعيل بن سُراقة الغفاري وجهجاه بن مسعود، وكانا من فقراء الصحابة المهاجرين، قال: ومثل هذين يكثر على قومي، وقد أنزل محمداً في ذروة كنانة وعزِّها؟ والله لقد كان جعيل يرضى أن يسكت فلا يتكلم، فصار اليوم يتكلم، ثم كان من كلامه في صفوان بن المعطل ما كان ورميه بالإفك، وقد قال حسان رضي الله عنه أبيات أولها:

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا ... وابْنُ الفريعة أمسى بيضة البلد

في أبيات مع هذا البيت، فجاء صفوان بن المعطل بعدما قدموا المدينة إلى جُعيل بن سُراقة فقال: انطلق بنا نضرب حسان، فوالله ما أراد غيرك وغيري، ولنحن أقرب إلى رسول الله منه، فأبى جعيل أن يذهب إلا بأمر رسول الله ﷺ وخرج صفوان مصلتاً السيف حتى ضرب حسان بن ثابت في نادي قومه وهو يقول:

تلق ذباب السيف عنّي فإنني - غلامٌ إذا هو جيت لست بشاعر

فوثب الأنصار فأوثقوه رباطاً، ووَلِيَ ذلك منه ثابت بن قيس بن شماس، فمر به عمارة بن حزم بن زيد فخلّى عنه، وجاء به وبحسان إلى رسول الله ﷺ، فقال حسان: يا رسول الله شهَّر عليَّ السيف في نادي قومي ثم ضربني لأن أموت، ولا أراني إلاَّ ميتاً من جراحي، فقال ﷺ لصفوان: «**لمَ ضربته وحملت عليه السلاح؟**» فقال: آذاني وهجاني وسفُهَ عليَّ وحسدني في الإسلام، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**احبسوا صفوان فإن مات حسان فاقتلوه به**» فخرجوا بصفوان، وبلغ ذلك سعد بن عبادة فأقبل على قومه فقال: عمدتم إلى رجل من قوم رسول الله تؤذونه وتهجونه بالشعر فغضب لما قيل له، ثم أسرتموه أقبح الأسر ورسول الله بين أظهركم؟ فقالوا: إن رسول الله أمرنا بحبسه وقال: «**إن مات صاحبكم فاقتلوه**»، فقال سعد: والله إن أحب الأمرين إلى رسول الله العفو ولكن رسول الله قد قضى لكم بالحق وإن رسول الله ليحب أن يترك صفوان، والله لا أبرح حتى يطلق، فقال حسان ما كان لي من حق فهو لك، فأطلق صفوان وذهب به سعد إلى بيته فكساه حلة ثم خرج به إلى المسجد ليصلي فيه فرآه رسول الله ﷺ وقال: من كساه؟ قالوا: سعد بن عبادة، قال: كساهُ الله من ثياب الجنة.

ثم جاء حسان في قومه إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله كل حق لي قبل صفوان بن المعطل فهو لك، قال: قد أحسنت وقبلتُ ذلك وأعطاه ﷺ أرضا براحاً وسيرين أخت مارية رضي الله عنها وأعطاه سعد بن عبادة حائطاً كان يجذ منه مالاً كثيراً عوضاً بما عفا من حقه.

ولقد بادر رسول الله الإصلاح بين الأوس والخزرج من أجل ما دار بين السعدين فإنه أخذ بيد سعد بن معاذ في نفر من قومه حتى دخل على سعد بن عبادة ومن معه فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن عبادة طعاماً فأصابوا منه وانصرفوا، ثم إنه بعد أيام أخذ بيد سعد بن عبادة في نفر من قومه فأتى سعد بن معاذ في منزله فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن معاذ طعاماً فأصابوا منه ثم خرجوا فذهب من أنفسهم ما كانا تقاولا من ذلك اليوم. ا هـ. من إمتاع الأسماع للمقريزي.



غزوة الأحزاب وهي الخندق

اختلف المؤرخون في تاريخ هذه الغزوة فقد أخرج البخاري عن موسى بن عقبة أنها كانت سنة أربع من الهجرة، قال ابن حجر: هكذا رويناه في مغازيه، وتابعه مالك بن أنس على ذلك، وأخرجه أحمد عن موسى بن داود عنه.

وقال ابن إسحاق: كانت في شوال سنة خمس، وبذلك جزم غيره من أهل المغازي. قال: ومال المصنف، يعني البخاري، إلى قول موسى بن عقبة وقواه بما أخرجه أول أحاديث الباب من قول ابن عمر أنه عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة ويوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فيكون بينهما سنة واحدة، وأحد كانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة أربع. قال ابن حجر: ولا حجة في هذا إذا ثبت أنها كانت سنة خمس لاحتمال أن يكون ابن عمر في أحد كان حين طَعَنَ في أول الرابع عشرة، وكان في الأحزاب قد أكمل الخامس عشرة، وبهذا أجاب البيهقي.

قال: ويؤيد هذا أن أبا سفيان قال للمسلمين لما رجع من أحد: موعدكم العام المقبل بدر، فخرج النبي ﷺ من العام المقبل إلى بدر وتأخر مجيء أبي سفيان، تلك السنة للجدب الذي كان حينئذ، وقال لقومه: إنما يصلح الغزو في سنة الخصب.

قال ابن حجر: وقد بين البيهقي سبب هذا الخلاف، وهو أن جماعة من السلف كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة ويُلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول. وعلى ذلك جرى يعقوب بن سفيان في تاريخه، فذكر أن غزوة بدر الكبرى كانت في السنة الأولى وأن غزوة أحد كانت في الثانية وأن الخندق كانت في الرابعة، وهذا عمل صحيح على ذلك البناء لكنه بناء واه مخالف لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة، وعلى ذلك تكون بدر في الثانية وأحد في الثالثة والخندق في الخامسة وهو المعتمد. ا هـ. فتح الباري.



سبب هذه الغزوة

أنه ﷺ لمّا أجلى بني النضير ساروا إلى خيبر وبها من يهود قوم أهل عدد وجلد، وليست لهم بيوت لها من الأحساب ما لبني النضير، فخرج سلاَّم بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي في بضعة عشر رجلاً إلى مكة يدعون قريشاً وأتباعها إلى حرب رسول الله ﷺ فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمداً، جئنا لنحالفكم على عداوته وقتاله، فنشطت قريش لذلك وتذكروا أحقادهم ببدر، فقال أبو سفيان: مرحباً وأهلاً! أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد، وأخرج خمسين رجلاً من قريش من بطونها كلها وتحَالَفُوا وتعاقدوا وقد ألصقوا أكبادهم بالكعبة وهم بينها وبين أستارها أن لا يخذل بعضهم بعضاً ولتكوننَّ كلمتهم واحدة على محمد ما بقي منهم رجل ثم قال أبو سفيان: يا معشر يهود، أنتم أهل الكتاب الأول والعلم، أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أديننا خير أم دين محمد؟ فنحن عمّار البيت وننحر الكوم ونسقي الحجيج ونعبد الأصنامَ، فقالت يهود: اللهم أنتم أولى بالحق منه، إنكم لتعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية وتنحرون البدن وتعبدون ما كان يعبد آباؤكم، فأنتم أولى بالحق منه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ الآية النساء. وتواعدوا وعداً وَقَّتُوه، وخرجت يهود إلى غطفان وجعلوا لهم تمر خيبر سنة إنْ هم نصروهم، وتجهزت قريش وسيرت تدعو العرب إلى نصرها وألَّبوا أحابيشهم، وأتت يهود بني سليم فوعدوهم السير معهم، ولم يكن أحد أسرع إلى ذلك من حذيفة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جُرَيَّة بن لوذان بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان الفزاري.

لقد خرجت قريش وأحابيشها في أربعة آلاف، وعقدوا اللّواء في دار الندوة، وحَمَلَهُ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس وكان معهم ألف وخمسمائة بعير، ولاقتهم سليم في مر الظهران في سبعمائة

يقودهم سفيان بن عبدشمس حليف حرب بن أمية، وكان أبو سفيان قائد قريش، وخرجت بنو أسد يقودها طليحة بن خويلد الأسدي، وخرجت فزارة في ألف مقاتل يقودها عيينة بن حصن، وخرجَتْ أَشْجَعُ في أربعمائة مقاتل يقودهم مسعود بن رخيلة بن عائذ بن مالك بن حبيب بن نبيح بن ثعلبة بن قنفذ بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان، وقيل في سلسلة نسبه غير ذلك، وخرجت بنو مرة في أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مُرّة بن نشبة بن غيظ بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، وبالجملة فإن الأحزاب بلغ جميعهم عشرة آلاف مقاتل.

فنزلت قريش وأحابيشها وادي العقيق، ونزلت غطفان بجانب أحد ومعها ثلاثمائة فرس؛ فسرحت قريش ركابها في عضاه وادي العقيق، ولم تجد لخيلها هناك شيئاً إلا ما حملت من علفها وهو الذرة.

وسرحت غطفان إبلها في الغابة في أثلها وطرفائها، وكان الناس قد حصدوا زرعهم قبل ذلك بشهر. وأدخلوا حصادهم في مخازنهم، فكادت خيل غطفان تهلِك من الهزال لما كان بالمدينة آنذاك من جدب. وأرسلت خزاعة من يخبر رسول الله ﷺ من مكة فوصل المدينة الخبر في أربعة أيام من خروج قريش فندب ﷺ الناس وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم فأشار سلمان الفارسي بالخندق فأعجبهم ذلك وأمرهم رسول الله ﷺ بالجد ووعدهم النصر إن هم صبروا واتقوا.

وركب ﷺ فرساً له ومعه جمع من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم فارتاد موضعاً ينزله فكان أحب المنازل إليه أن يجعل سلعاً خلف ظهره ويحفر الخندق من المذاد إلى ذباب إلى راتج وعسكرهم إلى سفح جبل سلع وندب الناس إلى العمل وخبّرهم بدنو عدوهم، فجعل المسلمون يعملون في الخندق متعجلين واستعاروا من بني قريظة آلةً كثيرةً من مساحي وآلة حفر أخرى مثل الكرازين والمكاتل. وقسم النبي ﷺ نواحي الحفر بين الناس فكان المهاجرون يحفرون من راتج إلى ذباب، والأنصار يحفرون من ذباب إلى جبل أبي عبيدة.

وتنافس المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلاً قويًا، قال هؤلاء وهؤلاء: هو رجل منا، فقال عليه الصلاة والسلام: **«سلمان منّا أهل البيت»**، قالوا: وكان سلمان يعمل عمل عشرة رجال حتى عانه قيس بن أبي صعصعة فلبُط به، فقال رسول الله ﷺ: **«مروه فليتوضأ له وليغتسل به سلمان وليكفإ الإناء خلفه»**، ففعل فكأنما حل من عقال.

قال أنس بن مالك: وحفر رسول الله ﷺ بنفسه وحمل التراب على ظهره حتى إن التراب علا ظهره وبطنه.

وكان المهاجرون والأنصار يحملون التراب في المكاتل يرمونها بناحية الجبل ويرجعون بها ملأى من الحجارة يصبونها خلف الخندق وكانت من أعظم سلاحهم. وكان رسول الله ﷺ من شدة اجتهاده في العمل يضرب مرة بالمعول ومرة يغرف بالسحاة التراب ومرة يحمل التراب في المكتل، وبلغ منه التعب يوماً مبلغاً فجلس ثم اتكأ على حجر على شقه الأيسر فنام فقام أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على رأسه ينحيان الناس عنه أن يمروا به فينبهوه، ثم استيقظ ووثب فقال: **«أفلا أفزعتموني؟»** وأخذ الكرزن يضرب به ويقول:

اللهمّ أن العيشَ عيشُ الآخرةْ   فاغفر للأنصار والمهاجرةْ
اللهم الْعَنْ عضلاً والقَارَةْ   فهم كلفوني أنقل الحجارةْ

وعمل المسلمون في الخندق حتى أحكموه في ستة أيام.

وأعقب بين عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش، فتكون الواحدة عنده أياماً وتأتي الأخرى تكون عنده كذلك، وكان سائر باقي نسائه في أطم بني حارثة وكان حصيناً، وقيل: كُنّ في النّسْرِ أطم بني زُريق، وقيل غير ذلك.

وضرب يوماً بالكرزين فصادف حجراً فصلّ الحجرُ، فضحك رسول الله ﷺ، فقيل: ممَّ تضحك يا رسول الله؟ قال: **«أضحك من قوم يؤتى بهم من المشرق في الكبول يساقون إلى الجنة وهم كارهون»**. وضرب

عمر بن الخطاب بالمعول فصادف حجراً صلداً، فأخذ رسول الله ﷺ منه المعول فضرب ضربة فذهبت أولها برقة إلى اليمن، ثم ضرب أخرى فذهبت برقةً إلى الشام، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة إلى المشرق، وكسر الحجر عند الثالثة، فقال ﷺ: **«رأيت في الأولى قصور اليمن وفي الثانية قصور الشام وفي الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن»**، وجعل يصفه لسلمان، فقال: صدقت والذي بعثك بالحق، إن هذه لصفته وأشهد أنك رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **«هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدي، يا سلمان لتفتحُنَّ الشام ويهرب هرقل إلى أقصى مملكته وتظهرون على الشام ولا ينازعكم أحد، ولتفتحُنَّ اليمن، ولتفتحُنَّ هذا المشرق ويقتل كسرى فلا يكون كسرى بعده»**.

ولما كمل الخندق كانت المدينة كالحصن ورفع المسلمون النساء والأطفال في الآطام. ورأى جابر بن عبدالله رضي الله عنه رسول الله ﷺ يعمل بنفسه ورآه خميصاً فأتى امرأته فأخبرها بما رأى من خَمَص رسول الله ﷺ فقالت: والله ما عندنا شيء إلاَّ هذه الشاة ومُدٌّ من شعير، قال: فاطحني وأصلحي، فطبخوا بعضها وشووا بعضها، وخبزوا الشعير ثم أتى جابر رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، قد صنعت لك طعاماً فإيتِ أنت ومن أحببتَ من أصحابك، فشبك ﷺ أصابعه بين أصابع جابر ثم قال: **«أجيبوا جابراً يدعوكم»**، فأقبلوا معه، فقال جابر في نفسه: والله إنها الفضيحة، وأتى المرأة فأخبرها فقالت: أنت دعوتهم أو هو؟ قال: بل هو دعاهم، قالت: دعهم، فهو أعلم. وأقبل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه أن يدخلوا كل عشرة، ثم قال لجابر: **«اغرفوا وغطُّوا البرمة وأخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه»**، ففعلوا وجعلوا يغرفون ويغطون البرمة ثم يفتحونها فما يرونها نقصت شيئاً، ويخرجون الخبز من التنور ويغطونه فما يرونه نقص شيئاً فأكلوا حتى شبعوا، وأكل جابر وأهله.

وعرض يومئذ الأطفال فأجاز من بلغ منهم الخامس عشرة ورد من لم يبلغها، فكان ممن أجازهم يومئذ عبدالله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت والبراء بن عازب. واختلف في عدد المسلمين يوم الخندق، فقيل:

ثلاثة آلاف وقيل تسعمائة فقط. قال المقريزي: وهو الأصح. وقال الصالحي بل الأول أصح، وعسكر فجعل سلعاً خلف ظهره والخندق أمامه، ودفع لواء المهاجرين لزيد بن حارثة ودفع لواء الأنصار لسعد بن عبادة، وضربت له قبة من أدَمٍ. وتقدم أن قلنا إنه عاقب بين ثلاث من نسائه.

وكان حيي بن أخطب يقول لأبي سفيان ولقريش: إن قومي قريظة معكم وهم أهل حلقة وافرة وهم سبعمائة وخمسون مقاتلاً، فلما دنوا قال له أبو سفيان: إيتِ قومَك حتى ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد، فأتى حيي قريظة، أتى كعب بن أسد وكان صاحب عقد قريظة وعهدها، فكرهت قريظة دخول حيي إلى دارها فإنه يحب الرئاسة والشرف عليهم، قالوا: وكان يُشَبَّه بأبي جهل في قريش، فلقيه غزال بن سموأل أول الناس، فقال له حيي: قد جئتك بما تستريح به من محمد، هذه قريش قد دخلت وادي العقيق، وغطفان بالرغابة، فقال غزال: جئتنا والله بذل الدهر، فقال: لا تقل هذا. ثم أتى كعب بن أسد فقال له: أنت امرؤ مشؤوم وقد شأمت قومك حتى أهلكتهم فارجع عنا، فما زال به حتى لانَ له ونقض العهد وشقوا الكتاب الذي كتب رسول الله ﷺ بينه وبينهم واستدعى رؤساءهم وهم: الزُّبير بن باطا، ونبَّاش بن قيس، وغزال بن سموأل، وعقبة بن زيد، وكعب بن زيد، وأعلمهم بما صنع من نقض العهد فلحمه الأمر لما أراد الله بهم من الهلاك.

فبينا رسول الله ﷺ في قبته، والمسلمون يتناوبون على خندقهم والخيل تطوف بالخندق، إذ جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله بلغني أن قريظة نقضت العهد وحاربت، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وقال: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**»، فبعث رسول الله إليهم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير لينظروا ما بلغه عن بني قريظة وأوصاهم، إن كان حقًّا، أن يلحنوا له لحناً يفهمه ولا يفصحوا لئلا يفتوا بذلك في أعضاد المسلمين، فوجدوهم مجاهرين بالعداوة والغدر فتسابوا فسبهم سعد بن معاذ وانصرفوا عنهم، فقال رسول الله ﷺ: «**وما وراءكم؟**» قالوا: عَضَلٌ والْقَارَه، يعنون غدرهم بأصحاب الرجيع، فكبَّر ﷺ

وقال: «أبشروا بنصر الله وعونه» وانتهى الخبر إلى المسلمين فاشتد الخوف وعظم البلاء، ونجم النفاق وفَشِل الناس وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ الآيــة من الأحزاب وتكلم قوم بكلام قبيح، فقال معتِّبُ بن قُشَيْر بنِ حُليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، قال: يعدنا محمد أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن لحاجته أن يذهب لها، وما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً.

قال المقريزي: وهمت قريظة أن تغير على المدينة ليلاً وأرسل حيى بن أخطب إلى قريش أن يأتيهم ألف رجل منهم وألف من غطفان فتكون الإغارة بهم جميعاً، فجاء بذلك الخبر رسول الله وعظم البلاء، فبعث رسول الله ﷺ مائتي رجل من الأنصار بقياد سلمة بن أسلم بن جريش بن عديّ بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، وثلاثمائة مقاتل من المهاجرين بقيادة زيد بن حارثة لحراسة المدينة، ويظهرون التكبير ومعهم خيل المسلمين، وكان الخوف على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من الخوف من قريش وغطفان، إلا أن الله رد بني قريظة عن المدينة بأنها كانت تحرس. وكان خوات بن جبير بن النعمان أخو بني عمرو بن عوف أرسله رسول الله ﷺ لينظر غرة لبني قريظة فكمن لهم فأخذه النوم في مكمنه فجاء رجل منهم فحمله فأمكنه الله من العدوّ فقتله ولحق بالنبي ﷺ فأخبره. وخرج نباش بن قيس في عشرة من اليهود يريد المدينة ففطن بهم نفر من أصحاب سلمة بن أسلم فرموهم حتى هزموهم، ومر سلمة فيمن معه فطافوا بحصون يهود فخافوا وظنُّوا أنه البيات.

وبعث بنو حارثة إلى رسول الله يستأذنون في الرجوع إلى بيوتهم يحرسونها بدعوى أنها عورة ليس بينها وبين غطفان أحد يردهم عنها، فأذن لهم، فلما علم سعد بن معاذ بذلك قال: يا رسول الله لا تأذن لهم، إنا والله ما أصابنا وإياهم شدة إلا صنعوا هكذا، فردهم عليه الصلاة والسلام.

وكان ﷺ يخاف من ثلمة في الخندق فيحرسها بنفسه، فإذا آلمه البرد

دخل قبته حتى يستدفىء ثم يخرج، فبينما هو في قبته قد دفىء إذ قال: **«ليت رجلاً صالحاً يحرسنا الليلة»** فجاء سعد بن أبي وقاص فقال: **«عليك بهذه الثلمة فاحرسها»** ونام.

وقام عليه الصلاة والسلام ليلة يصلي في قبته ثم خرج فإذا خيل للمشركين تُطِيف بالخندق، فنادى: **«يا عباد بن بشر»** قال: لبَّيْك! قال: **«معك أحد؟»** قال: نعم، أنا في نفر حول قبتك، فبعثه يطيف بالخندق وأعلمه بخيل المشركين التي تُطِيف به، ثم قال: اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم واغلبهم لا يَغْلِبُهم غيرك.

وكان المشركون يتناوبون بينهم، فيغدو أبو سفيان بأصحابه يوماً، ويغدو خالد بن الوليد يوماً، ويغدو عمرو بن العاص يوماً، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري يوماً، فلا تزال خيلهم تطيف بالخندق تجتمع تارة وتتفرق أخرى، ويناوشون المسلمين، وتارة يقدمون رماتهم فيرمون.

وكان عبَّادُ بن بشر أَلْزَمَ أصحابِ رسول الله لقبةِ رسول الله ﷺ يحرسها، وكان أسيد بن حضير في ليلة في حراسة الخندق إذا عمرو بن العاص في نحو المائة يريد العبور من الخندق فرماهم هو ومن معه حتى ولوا على أعقابهم. وكان المسلمون يتناوبون الحراسة على الرغم مما هم فيه من شدة الجوع والبرد، وكان شعار المسلمين: يا خيل الله.

وكان مع المشركين رماة يقدمونهم إذا غدوا متفرقين أو مجتمعين بين أيديهم منهم حبان بن العرقة وأبو أسامة الجشمي وآخرون فتناوشوا ساعة وهم جميعاً في وجه واحد قبالة قبة رسول الله ﷺ ورسول الله قائم بسلاحه على فرسه، فرمى حبان بن العَرِقة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكحله وقال خذها وأنا ابن العرقة فقال عليه الصلاة والسلام: عرَّق الله وجهه في النار. وقيل: رماه أبو أسامة الجشمي.

ثم أجمع رؤساء المشركين على أن يغدوا جميعاً فأرادوا مضيقاً يقحمون خيلهم منه فأتوا مكاناً ضيقاً أغفله المسلمون ذلك الوقت فاقتحمته خيولهم، فعبر كل من عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبدالله المخزومي،

وضرار بن الخطاب الفهري، وهبيرة بن أبي وهب، وعمرو بن عبد ود، وقام سائرهم وراء الخندق، فطلب عمرو بن عبد ود البراز، وكان قد بلغ تسعين عاماً وحرَّم الدهن حتى يثأر من محمد وأصحابه، فأعطى رسول الله ﷺ سيفه عليًا وعممه، وقال: «**اللهم أعنه عليه**»، فخرج له وهو راجل فَسَخِر به عمرو، ودنا منه عليّ، فلم يكن أسرع من أن قتله عليٌ، فولى أصحابه الأدبار وسقط نوفل بن عبدالله عن فرسه في الخندق فرمي بالحجارة حتى قتل، وقام عمر بن الخطاب والزبير بن العوام فناوشوا القوم ساعة فسقط درع هبيرة بن أبي وهب في الخندق فأخذها الزبير بن العوام.

ثم إن المشركين جاؤوا سَحَراً وعبأ رسول الله أصحابه فقاتلوا يومهم إلى هَوِيٍّ من الليل، وما قدر أحد أن يزول من موقعه، وما قدروا على صلاة ظهر ولا عصر ولا مغرب ولا عشاء، فجعل الأصحاب يقولون: يا رسول الله ما صلينا، فيقول: «**ولا أنا، واللَّهِ ما صليتُ**»، حتى كشف الله المشركين بفضله ورجع كل من الفريقين إلى منزله. وقام أسيد بن حضير في مائتي رجل على شفير الخندق، فكرت خيل للمشركين يطلبون غرة فناوشهم، فزرق وحشي الطفيل بن النعمان بن خنساء الأنصاري السلمي بمزراقه فقتله.

فلما وصل رسول الله ﷺ إلى موضع قبته أمر بلالاً فأذن وأقام للظهر، وأقام بعدُ لكل صلاة إقامة، فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصليها في وقتها. قالوا: وذلك قبل نزول صلاة الخوف، بقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ الآيتان من البقرة. وقال عليه الصلاة والسلام يومئذ: «**ملأ الله قبورهم ناراً شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر**» أو كما قال ﷺ. وفيما ورد أن بني مخزوم بعثوا يطلبون جيفة نوفل بن عبدالله يشترونها، وبالغوا فيما يعطون مقابلها، فقال رسول الله ﷺ: إنما هي جيفة حمار، وكره ثمنه، فأعطي لهم وقال عليه الصلاة والسلام: «**خذوه فإنه خبيث الدية خبيث الجُثّة**».

ثم إن طليعتين للمسلمين خرجتا ليلاً فالتقتا ولا يشعر بعضهم ببعض، ولا يظنون إلا أنهم العدو، فكانت بينهم جراحات وقتل حتى نادى كل

منهما بشعار المسلمين «حم لا ينصرون» فكفَّ بعضهم عن بعض، وجاؤوا رسول الله ﷺ فقال: **«جراحكم في سبيل الله ومن قتل منكم فإنه شهيد»**، فكانوا بعد ذلك إذا دنا بعضهم من بعض نادوا بشعارهم.

وكان فتى حديث عهد بعرس فاستأذن في الذهاب إلى أهله، فأخذ سلاحه فلما وصل بيته إذا امرأته قائمة بين البابين، فهيأ الرمح ليطعنها به، فقالت: اكفف حتى ترى ما في بيتك، فإذا بحية على فراشه، فركز فيها رمحه فاضطرب، وخرَّ الفتى ميِّتاً، فقال رسول الله ﷺ لما أخبر بذلك: **«إن بالمدينة جنًا قد أسلموا، فإذا رأيتم منه شيئاً فآذنوهم ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنه شيطان»**.

وكان المسلمون قد أصابتهم مجاعة شديدة، وكان أهلوهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه، فأرسلت عمرة بنت رواحة ابنتها بحفنة تمر عجوة في ثوبها إلى زوجها بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري وإلى أخيها عبدالله بن رواحة، فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في أصحابه، فقال: **«تعالَيْ يا بنية! ما هذا معك؟»** فأخبرته فأخذه في كفيه ونثره على ثوب بُسط له وقال لجَعَال بن سراقة: **«اصْرُخ يا أهل الخندق أن هلم إلى الغداء»**، فاجتمعوا عليه يأكلون منه حتى صدر أهل الخندق وإنه ليفيض من أطراف الثوب.

لقد دام الحصار بضعة عشر ليلة حتى اشتد الكرب، وقال رسول الله ﷺ: **«اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إنك إن تشأ لا تعبد»**.

وأرسل إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف، وهما رئيسا غطفان أن يجعل لهما ثلث تمر المدينة ويرجعان بمن معهما فطلبا نصف التمر فأبى عليهما إلا الثلث، فرضيا، وجاءا في عشرة من قومهما حتى تقارب الأمر، فأحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان رضي الله عنه الصلح، وعباد بن بشر قائم على رسول الله ﷺ مقنع في الحديد، فأقبل أسيد بن حضير وعيينة ماد رجليه، فقال: يا عين الهجرس اقبض رجليك، أتمد رجليك نحو رسول الله؟ والله لولا رسول الله لأنفذت خصنيك بالرمح! ثم قال: يا رسول الله صلى الله عليك، إن كان أمراً من السماء فامض له، وإن كان غير ذلك والله لا نعطيهم إلاَّ السيف، متى طمعتم بهذا منا؟ فدعا

رسول الله ﷺ السعدين فاستشارهما خفية فقالا: إن كان هذا أمراً من السماء فامض له، وإن كان أمراً لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمعٌ وطاعة وإن كان إنما هو الرأي فما لهم عندنا إلا السيف، فقال رسول الله ﷺ: **«إني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة فقلت أرضيهم ولا أقاتلهم»**، فقالا: يا رسول الله، والله إن كانوا ليأكلون العلهز في الجاهلية من الجهد وما طمعوا بهذا منا قط أن يأخذوا تمرة إلا بشراء أو قرى، فحين أتانا الله بك وأكرمنا بك، وهدانا بك، نعطي الدنية، لا نعطيهم أبداً إلاّ السيف، فقال ﷺ: **«شقوا الكتاب»**، فشقه سعد، فقام عيينة والحارث، فقال ﷺ: **«ارجعوا، بيننا وبينكم السيف ورفع بها صوته عليه الصلاة والسلام»**.

دور نُعيم بن مسعود الأشجعي

وكان نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة الأشجعي صديقاً لبني قريظة وقدم مع قومه من الأحزاب حين أجدب الجناب وهلك الخف والحافر، فتفضل الله عليه أن هداه للإيمان، فأتى رسول الله ﷺ فأسلم ليلاً، فأمره أن يخذل الناس، وأذن له أن يقول، فتوجه إلى بني قريظة وأشار عليهم ألاّ يقاتلوا مع قريش وغطفان حتى يأخذوا منهم رهائن من أشرافهم، فقبلوا رأيه واستكتمهم مجيئه إليهم، ثم جاء إلى أبي سفيان ورجال قريش وأعلمهم أن قريظة ندمت على ما كان منها وأنهم راسلوا محمداً بأنهم يأخذون من أشراف قريش وغطفان سبعين رجلاً يسلمونهم إليه ليضرب أعناقهم حتى يرد بني النضير إلى ديارهم ويكونون معه حتى يردوا قريشاً عنه، وأشار إليهم أن لا يجيبوا قريظة إلى إعطاء الرهائن، وسألهم أن يكتموا عليه أمره، ثم جاء غطفان وأعلمهم عن بني قريظة بما أعلم به قريشاً عنهم وحذرهم أن يدفعوا الرهائن.

فأرسلت يهود غزال بن سموأل إلى قريش بأن الثواء قد طال ولم يصنعوا شيئاً والرأي أن يتواعدوا على يوم تزحف فيه قريش وغطفان وهم،

ولكنهم لا يخرجون لذلك معهم حتى يرسلوا إليهم برهائن من أشرافهم، فإنهم يخافون إن أصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتمونا، فلم يَرجعوا إليهم بجواب، وجاء نعيم إلى بني قريظة وقال لهم: إني عند أبي سفيان وقد جاءه رسولكم يطلب منه الرهائن فلم يرد عليه شيئاً فلما ذهب رسولكم قال: لو طلبوا مني عناقاً ما رهنتها، فلا تقاتلوا معه حتى تأخذوا الرهن، فإنكم إن لم تقاتلوا محمداً، وانصرف أبو سفيان، تكونوا على موادعتكم الأولى، فلما كان ليلة السبت بعث أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل إلى بني قريظة أن يخرجوا غداً ليناجزوا محمداً جميعاً، فقالوا: إن غداً السبت لا نقاتل فيه ولا نعمل عملاً، وإنا مع ذلك لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهاناً من رجالكم لئلاّ تبرحوا، فإنا نخاف إن أصابتكم الحرب أن تشمروا إلى بلادكم وتَدَعونا إلى محمد، ولا طاقة لنا به، فتحققت قريش صدق ما قاله نعيم لهم، وأرسلت غطفان إلى قريظة مسعود بن ريخيلة في رجال بمثل ما أرسل لهم به أبو سفيان فأجابوه بمثل ما أجابوا به عكرمة، فتحققت غطفان وبنو قريظة ما قاله نعيم ويئس كل منهم من الآخر واختلف أمرهم، وجعل أبو سفيان ومن معه يلومون حيي بن أخطب، فأتى بني قريظة فلم يجد منهم موافقة له، وأبوا أن يقاتلوا مع قريش حتى يأخذوا سبعين رجلاً من قريش وغطفان رهاناً عندهم.

وكان رسول الله ﷺ دعا على الأحزاب فقال: «**اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم**»، وكان دعاؤه عليهم يوم الاثنين ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، فاستجيب له بين الظهر والعصر يوم الأربعاء، فعرف السرور في وجهه، فلما كانت ليلة السبت بعث الله الريح على الأحزاب حتى ما يكاد أحدهم يهتدي لموضع رحله ولا يقر لهم قدر ولا بناء، وقام رسول الله ﷺ يصلي إلى أن ذهب ثلث الليل، وكذلك فعل ليلة قتل كعب بن الأشرف، وكان ﷺ إذا حزبه أمر أكثر من الصلاة، وبعث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لينظر ما فعل القوم وما يقولون، فدخل عسكرهم في ليلة شديدة البرد فإذا هم يصطلون على نار لهم والريح لا تقر لهم قدراً ولا بناء وهم يتشاورون في الرحيل حتى ارتحلوا، وأقام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد في مائتي فرس جريدة، ثم ذهب حذيفة إلى غطفان فوجدهم قد ارتحلوا، فرجع وأخبر النبي ﷺ بذلك،

فلما كان السحر لحق عمرو وخالد بقريش ولحقت كل قبيلة بمحلها، قال: فكانت مدة حصار الخندق خمسة عشر يوماً، وقيل عشرين يوماً، وقيل قريباً من شهر، ولما أراد أبو سفيان الانصراف كتب إلى رسول الله ﷺ: باسمك اللهم فإني احلف باللات والعزى لقد سرت إليك في جمعنا وإنا نريد أن لا تعود أبداً حتى نستأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا وجعلت مضائق وخنادق، فليت شعري من علمك هذا؟ فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد؛ وبعث بكتابه مع أبي أسامة الجشمي فقرأه أبيّ بن كعب على النبي ﷺ في قبته، وكتب ﷺ: **«من محمد ﷺ رسول الله إلى أبي سفيان بن حرب، أما بعد غرك الغرور أما ما ذكرت أنك سرت إلينا في جمعكم وأنك لا تريد أن تعود حتى تُستأصلنا، فذاك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى. وأما قولك مَنْ علّمك هذا؟ فإن الله ألهمني ذلك لما أراد من غيظك وغيظ أصحابك، وليأتين عليك يوم تدافعني فيه بالراح، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل حتى أذكر ذلك»** ـ اهـ. وأصبح رسول الله ﷺ بعد رحيل الأحزاب فأذن للمسلمين في الانصراف فلحقوا منازلهم. وأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ الآية ٩ من الأحزاب.

قلت: المواقف الثلاثة التي أنزل الله فيها الملائكة على نبيه ﷺ نصراً وتأييداً ولم يقاتلوا هي:

الأول: ليلة خروجه إلى الغار مهاجراً قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ الآية ٤٠ من التوبة.

والثاني: هو هذا الموقف الذي نحن نصدده أعني ليلة الأحزاب.

والثالث: في معركة حنين حيث يقول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

ذكر من استشهد يوم الأحزاب، ومن مات من المشركين

لقد استشهد من المسلمين في الخندق ستة شهداء: ثلاثة من بني عبدالأشهل هم: سعد بن معاذ، وأنس بن أوس بن عتيك، وعبدالله بن سهل رضي الله عنهم، واثنان من بني سلمة هما: الطفيل بن النعمان وثعلبة بن عنمة ـ وواحد من بني النجار هو كعب بن زيد فقد أصابه سهم غرب فاستشهد بسببه.

وأما المشركون فقد مات منهم ثلاثة نفر هم: منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبدالدار، أصابه سهم فمات منه بمكة، ونوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي الذي سقط في الخندق، وعمرو بن عبد ودّ قتله عليّ رضي الله عنه وكانت الخندق آخر غزوة تغزو كفار قريش فيها المسلمين والحمد لله.

قلت: وكان العلامة الشيخ أحمد البدوي في مغازيه ذكر غزوة المريسيع إلا أنه أخرها إلى عام ست تبعاً لابن إسحاق فقال:

ثُمّ المُريسيعُ أو المصطلق	كلاهما على الغُزاة تطلق
لم يَنْفَلِتْ منهم أنيس وسبا	غير رجال عشرة قد نهبا
أعمارَهم وسبيت جويرية	ووهبَ السبي لها لدرية
وأسلموا بَعْدُ وفي من فُسّقا	أرسله الهادي لهم مُصَدِّقا
إن جاءكم فاسقُ أنزل وهُمْ	خزاعة مصطلق جدٌّ لهم
وأفزعت ريح خيار النات	فقال لا بأس بموت عات
فوجدوا كهف المنافقينا	رفاعةً يومئذ دفينا
وهو النّفاق في الشيوخ لا الشباب	والخير كل الخير في عصر الشباب
ووردت واردة العرمرم	فافتتن الوارد في المزدحم
فاستصرخ الأنصار فارط لهم	لطمه من ناله معروفهم

واستصرخ المهاجرين اللّذْ كسر ... عصا النبي جهجاهُ عامل عمر
وقال فيها ابن أبيٍّ منكراً ... وعاه زيد موقناً وما امترى
وحلف الفاجر ما قال المقال ... وصدقته للمكانة رجال
فأنزل الله لئن رجعنا ... إلى المدينة ليخرجنَّا
وعرك النبي أذن الواعي ... زيد بن أرقم ذي الاستماع
أن شهد الله على المنافقين ... بالكذب المحض وأولاهُ اليقين
والإفك في قفولهم ونقلاً ... إن التيمم بها قد أنزلا

ا هـ.

ولقد ذكر عليه رحمة الله غزوة الخندق قبل المريسيع فقال:

ثُمَّت لما أجليت يهود ... وأوغرت صدورها الحقود
وحزبَتْ عساكراً عِناجُها ... إلى ابْن حزبٍ وقريش تاجها
وجعلوا كي يتروا خيرِ الورى ... لغطفان نصف تمر خيبرا
خندق خير مرسل بأمر ... سلمانَ والحروب ذات مكر
كم آيةٍ في حفره كالشبع ... من حفنة وسخلة للمجمع
وكم بشارة لخير مرسلِ ... من الفتوح تحت ضرب المعول
وكعبٌ بْنُ أسدٍ إذ فَتَنَهْ ... عن عهده حييُّ أعطي رسَنَهْ
فغدرت قريظة لغدره ... يومئذٍ إذْ هو أسُّ نَجْرِهِ
وأرسل السعدين خيرُ مرسلِ ... وابنَ رواحة لهم لينجلي
ما هم عليه فإذا هم عَضَلُ ... وسُرَّ خيرُ الحلق ذاك الخذلُ
قالت جنوب للشمال انطلق ... ننصر خير مرسل في الخندق
فقالت الشمائل أن الحرَّةْ ... لم تسر بالليل فذاك غُرَّةْ
فأرسل الله الصبا والملكه ... فنصرا نبيه في المعركه
وغطفانُ رام أن يُخَوَّلُوا ... ثلث تمر طيبةٍ ليعدلوا
وأنف السعدان من صلح النّبي ... وحكَّما حدَّ شفار القُضُبِ

ومُغتَبٌ نجل قُشير قالا ... وعدنا النبي أنْ نَنالاَ
قصور قيصر وكسرى ونرى ... أحدنا اليوم يخاف المخترى
ونوفلٌ من طيشه ونَزَقِهْ ... أوْثَبَ طرفه حَفير خندَقِهْ
فوقعا فيه وأعطى فديتهْ ... إخوانه فاستوهبوه جثتهْ
فقال فيه أكرم البريهْ ... خبيثٌ جيفةٌ خبيثٌ ديهْ
عمرو بن عبدود إذا قام له ... حيدرة بسيفه خَرْدَلَهُ
وفَضَّ جَمْعَهُم نعيم الأشجعي ... إذْ نمَّ بينهم بكل مَجْمَعِ
وعندما إلى التشتُّتِ الزُّمَرْ ... أجْمعَ أمرهم دعا خير البشر
من يأت بالخبر عنهم يكن ... غدا رفيقنا ومنهم يأمَن
فلم يقم إليه غير ابن اليمان ... من شدّة الذعر ومن برد الزمان
وقال خير الخلق لن تغزوكم ... قريش بعد اليوم والغزو لكم
وشغل النبي زحف الخندق ... عن ظهره وعصره للشفق

ا هـ.

غزوة بني قريظة

ذكر ابن حجر في الفتح أنها كانت لسبع بقين من ذي القعدة سنة خمس، وقال في إمتاع الأسماع: كانت يوم الأربعاء لسبع خلون من ذي الحجة سنة خمس، وقال ابن سعد: كانت في ذي القعدة سنة خمس من مهاجَرَه ﷺ، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن سعد: لما انصرف المشركون عن الخندق ورجع رسول الله ﷺ فدخل بيت عائشة أتاه جبريل فوقف عند باب موضع الجنائز فقال: عذيرَك من محارب! فخرج إليه ﷺ فزعاً فقال: إن الله

يأمرك أن تسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم حصونهم، فدعا رسول الله ﷺ عليًا رضي الله عنه فدفع إليه لواءه، وبعث بلالاً فنادى في الناس إن رسول الله ﷺ يأمركم أن لا تصلوا العصر إلاّ في بني قريظة، واستخلف على المدينة عبدالله بن أمّ مكتوم، ثم سار إليهم في المسلمين وهم ثلاثة آلاف معهم ست وثلاثون فرساً، وذلك يوم الأربعاء لست بقين من ذي القعدة، فحاصرهم خمسة عشر يوماً أشد الحصار، ولما اشتد عليهم الحصار قالوا: دعونا نكلمكم، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فأنزلوا نَبَّاش بن قيس فعرض على رسول الله ﷺ أن ينزلوا على ما نزل عليه إخوانهم بنو النضير من الأموال والحلقة وأن تُحقن دماؤهم فيخرجوا بالنساء والذراري ولهم ما حملت الإبل إلاّ الحلقة، فأبى رسول الله ﷺ ذلك العرض، فقال: تحقن لنا دماؤنا وتدفع النساء والذرية ولا حاجة لنا بشيء غير ذلك، فأبى رسول الله ذلك وقال إلا أن ينزلوا على حكمه، ورجع نباش إلى قومه بذلك، فلما أخبرهم الخبر قال كعب بن أسد: يا معشر بني قريظة قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا ما شئتم منها: إمَّا أن نتابع هذا الرجل ونُصَدقه، والله لقد تبيَّن لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون بذلك على دمائكم وأموالكم ونسائكم، والله إنكم لتعلمون أن محمداً نبيٌ، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب حيث لم يكن نبيًا من بني إسرائيل، فهو حيث جعله الله، ولقد كنت كارهاً لنقض العهد والعقد ولكن البلاء والشؤم من هذا الجالس، يعني حيي بن أخطب، فقد دخل في حصنهم معهم حين رجعت الأحزاب.

يا معشر قريظة، أنسيتم ما قال لكم ابن جواش حين قدم عليكم؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: إنه يخرج بهذه القرية نبيٌ فإن يخرج وأنا حيٌ أتبعْهُ وأنصرْهُ وإن خرج بعدي فإياكم أن تُخدعوا عنه واتبعوه فكونوا أنصاره وأولياءه وقد آمنتم بالكتابين كليهما الأول والآخر وأقرئوه مني السلام وأخبروه أني مصدق به، قال كعب: تعالوا فلنبايعْهُ ولنُصَدِّقْهُ، فقالوا: لا نُفَارِقُ حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره.

قال: فإذا أبيتم عليَّ هذه فهلم نقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف، ولم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبينه فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدنَّ النساء والأبناء، قالوا: أنقتل هؤلاء المساكين؟ فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم عليَّ هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها، فانزلوا لعلّنا نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ؟ فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً، فقال ثعلبةُ بن سعية وأخوه أسيد بن سعية وان عمهم أسد بن عبيد، قالوا: يا معشر بني قريظة، والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله وإن صفته عندنا وحدثنا بها علماؤنا وعلماء بني النضير، هذا أولهم، يعني حيي بن أخطب مع جبير بن الهيبان، إنه أصدق الناس عندنا، هو خبَّرنا بصفته عند موته، قالوا: لا نفارق التوراة، فلما رأى هؤلاء النفر إباءهم نزلوا ليلاً في الليلة التي نزل بنو قريظة فيها، فأسلموا وأمنوا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم.

وقال عمرو بن سُعْدَى: يا معشر يهود إنكم قد حالفتم محمداً على ما حالفتموه عليه فنقضتُمْ عهده الذي كان بينكم وبينه، فلم أدخل فيه ولم أشرككم في غدركم، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية فوالله ما أدري أيقبلها أم لا، قالوا: نحن لا نقر للعرب بخرج في رقابنا يأخذونه، بل القتل خير من ذلك، قال: فإني بريءٌ منكم، وخرج في تلك الليلة مع ابني سعية، فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليهم محمد بن مسلمة، فقال محمد: من هذا؟ قال عمرو بن سَعْدَى، قال محمد: مرّ اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، وخلّى سبيله، فخرج حتى أتى مسجد النبي ﷺ فبات به حتى أصبح غداً فلم يدر أنّى هو حتى الساعة، فذكر شأنه لرسول الله ﷺ فقال: **«ذاك رَجُلٌ نَجَّاهُ اللَّهُ بوفَائه»**. ذكره الصالحي.



أبو لبابة: طلب اليهود له، ما وقع له وتوبته

ولما اشتد على بني قريظة الحصار أرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبدالمنذر نستشيره في أمرنا فأرسله إليهم رسول الله ﷺ فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقال كعب بن أسد: يا أبا لبابة إنا قد اخترناك على غيرك إنَّ محمداً قد أبى إلاَّ أن ننزل على حكمه أفترى أن ننزل على حكمه؟ قال: نعم! وأشار بيده إلى حلقه، أي: إنه الذبح، قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، فندمت واسترجعت فنزلت وإن لحيتي لمبتلة من الدموع والناس ينتظرون رجوعي إليهم حتى أخذت من وراء الحصن طريقاً أخرى حتى جئت إلى المسجد ولم آت رسول الله ﷺ فارتبطت، وكان ارتباطي على الأسطوانة المخلقة التي يقال لها أسطوانة التوبة وقلت: لا أبرح من مكاني حتى أموت أو يتوب الله عليَّ مما صنعت، وعاهدت الله أن لا تطأ قدمي أرض بني قريظة أبداً ولا أرى في بلد خنت الله تعالى ورسوله ﷺ فيه أبداً. وبلغ رسول الله ﷺ ذهابي وما صنعت، فقال: **«دعوه حتى يحدث الله تعالى فيه ما شاء، لو كان جاءني استغفرت له، فإذا لم يأتني وذهب فدعوه»**، وأنزل في شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الآية من الأنفال. قال أبو لبابة فكنت في أمر عظيم وفي حر شديد عدة ليال لا آكل فيها ولا أشرب، وقلت لا أزال هكذا حتى أموت أو يتوب الله عليَّ. قال: فلم أزل كذلك حتى ما أسمع الصوت من الجهد. قال ابن هشام: أقام مرتبطاً ست ليال تأتي امرأته كل صلاة فتحله حتى يتوضأ ويصلي ثم يرتبط. واختلف في المدة التي مكثها مرتبطاً، قيل: عشرون يوماً وقيل خمسة وعشرون وقيل بضعة وعشرون، حتى أنزل الله في توبته قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ الآية من التوبة. يروى أن توبته نزلت سَحَراً

والنبي ﷺ في بيت أم سلمة، فاستأذنت رسول الله أن تبشره فأذن لها، فنادت وهي على باب حجرتها: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، فقام الناس إليه ليطلقوه، فقال إلاّ أن يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني، فلما مر عليه خارجاً لصلاة الصبح أطلقه. قال أبو لبابة: يا رسول الله من توبتي أن لا أطأ الدار التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي صدقة، قال: يجزئك الثلث يا أبا لبابة.

نزول بني قريظة على حكم رسول الله ﷺ

ولما أجهدهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأَمر عليه الصلاة والسلام بالمقاتلة فكتِّفُوا رباطاً وجعل على كتافهم محمد بن مسلمة ونحوا ناحية، وأخرجوا النساء والذرية من الحصون فكانوا ناحية، واستعمل عليهم عبدالله بن سلام. وجمعت أمتعتهم وما وجد في حصونهم من الحلقة والأثاث والثياب، فوجدوا فيها ألفاً وخمسمائة سيف، وثلاثمائة درع، وألفي رمح، وألفا وخمسمائة ترس وجحفة ووجدوا أثاثاً كبيراً وآنية وخمراً وجراراً وسكراً، فهُريق ذلك كله، ووجد من الإبل ومن الماشية شيء كثير. فَجُمع هذا كله. ولما فرغ من جمعه تنحى رسول الله ﷺ وجلس وتواثبت الأوس إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: حلفاؤنا دون الخزرج، وقد رأيت ما صنعت ببني قينقاع بالأمس حلفاء ابن أبي وهبت له ثلاثمائة حاسر وأربعمائة دارع، وقد ندم حلفاؤنا على ما كان من نقضهم العهد فهبهم لنا، وهو عليه الصلاة والسلام ساكت لا يتكلم حتى أكثروا عليه وألحوا ونطقت الأوس كلها، فقال رسول الله ﷺ: **«أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم؟»** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فذلك إلى سعد بن معاذ وفي رواية ابن عقبة: قال رسول الله ﷺ: **«اختاروا من شئتم من أصحابي»**، فاختاروا

سعد بن معاذ فرضي بذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام، وسعد يومئذ في المسجد بالمدينة في خَيمة كُعَيْبَة بنت سُعَيْد الأسلمية، وكانت تداوي الجرحى وتَلُمُّ الشَّعث، وتقوم على الضائع الذي لا أحد له، وكان لها خيمة في المسجد، وكان عليه الصلاة والسلام جعل سعداً في خيمتها ليعوده من قريب، فلما جعل عليه الصلاة والسلام الحكم إلى سعد، خرجت الأوس حتى جاؤوه فحملوه على حمار بأعرابي بِشَنَذَةٍ من ليف وعلى الشَّنَذَةِ قطيفة، وخطامه من ليف، وكان رجلاً جسيماً، فخرجوا حوله يقولون: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولاَّك أمر مواليك لتحسن فيهم فأحسِنْ، فقد رأيت ابن أبي وما صنع بحلفائه، وأكثروا عليه من هذا وشبهه وهو لا يتكلم، حتى إذا أكثروا عليه قال سعد: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فقال الضحاك بن خليفة الأشهلي: واقَوْماه، وقال غيره منهم نحو ذلك، ثم رجع الضحاك إلى الأوس فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، وذلك من أجل كلمته التي سمع منه، وأقبل سعد إلى رسول الله ﷺ والناس حوله عليه الصلاة والسلام جلوس، فلما دنا من المسجد الذي كان فيه رسول الله ﷺ، أعده للصلاة ببني قريظة، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**قوموا إلى سيدكم**» وفي لفظ «**خيركم**» وعند الإمام أحمد: «**قوموا إلى سيدكم**» فأنزلوه، وكان رجال من بني عبدالأشهل يقولون: قمنا له على أرجلنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ.

وفي حديث جابر رضي الله عنه عند ابن عائذ: فقال رسول الله ﷺ: «**احكم فيهم يا سعد**»، فقال: الله ورسوله أحق بالحكم، قال: «**قد أمر الله أن تحكم فيهم**». وقالت الأوس من كان عند رسول الله منهم: يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ قد ولاَّك الحكم في أمر مواليك فأحسِنْ فيهم واذكر بلاءهم عندك. فقال سعد: أترضون حكمي لبني قريظة؟ قالوا: نعم، قد رضينا بحكمك وأنت غائب عنا اختياراً منا لك رجاء أن تمن علينا كما فعل غيرك في حلفائه بني قينقاع، وأثرنا عندك أثرنا، وأحوج ما كنا اليوم إلى مجازاتك، فقال سعد: ما آلوكم جهداً، فقالوا: ما يعني بقوله هذا؟ ثم قال سعد: عليكم

عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم ما حكمت؟ قالوا نعم، ثم قال للناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عنها إجلالاً لرسول الله ﷺ: وعلى من ههنا مثل ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ ومن معه: «نعم»، فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن يقتل منهم كل من جرت عليه الموسى وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم الأموال، وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار، فقالت الأنصار: إخواننا كنا معهم، فقال: أحببت أن يستغنوا عنكم، فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سموات.

وكان سعد بن معاذ دعا في الليلة قبل ذلك فقال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنه لا قومَ أحبُ إليَّ أن أقاتلهم من قوم كذبوا رسولك وآذوه، وإن كانت الحرب قد وضعت أوزارها عنا وعنهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقرَّ عيني من بني قريظة، فأقر الله عينه منهم رضي الله عنه.



وكيف قتلوا؟؟

ولما حكم سعد بن معاذ في بني قريظة انصرف رسول الله ﷺ لتسع ليال خلون من ذي الحجة سنة خمس، ذكر ذلك كل من محمد بن عمر وابن سعد والدمياطي والظاهر أنه هو الحق، وأمر عليه الصلاة والسلام ببني قريظة فأدخلوا المدينة، فسيق السبي إلى دار أسامة بن زيد والنساء والذرية إلى دار رملة بنت الحارث، وقيل: حبس الجميع في دار رملة، وأمر لهم رسول الله ﷺ بأحمال من تمر باتوا يكدمونها كدم الحُمُر، وأمر بالسلاح والأثاث والمتاع والثياب فحمل إلى دار ابنة الحارث، وأمر بالإبل والغنم ترعى هناك في الشجر.

فلما أصبح رسول الله ﷺ غدا إلى السوق فأمر بأخدود فخدت ما بين دار أبي الجهم إلى أحجار الزيت، فكان أصحابه يحفرون هذه الأخدود، وجلس ﷺ ومعة علية أصحابه رضوان الله عليهم، ودعا برجال بني قريظة

فكانوا يخرجون أرسالاً تضرب أعناقهم في تلك الخنادق، وكان الذين يلون قتلهم عليّ بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وجاء سعد بن عبادة والحباب بن المنذر فقالا: يا رسول الله، إن الأوس قد كرهت قتل بني قريظة لمكان حلفهم، فقال سعد بن معاذ: ما كرهه منا أحد فيه خير، فمن كرهه فلا أرضاه الله، فقام أسيد بن حضير رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، لا يبقى بيت من الأوس إلا أرسلت إليه من هذه القتلى فمن سخط فلا يُرغمنَّ إلا أنفه، فابعث إلى داري أول دورهم، ففر قوم في دور الأوس فقتلوهم ثم جيء بحيي بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه عليه حلة حمراء قد لبسها للقتل وقد عمد إليها فمزقها أنملة أنملة لئلا ينتفع بها بعده أحد، فقال له رسول الله ﷺ حين طلع: **«ألم يُمْكِنِ اللّهُ منك يا عدوَّ الله؟»** قال وبكى أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولقد التمست العز في مكانه فأبى الله إلا أن يمكنك، ولقد قلقلت كل مقلقل ولكن من يخذل الله يُخْذَلْ، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، لا بأس بأمر الله قَدَرٌ وكِتَابٌ وملحمة كتبت على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه. وكان قتلهم في يوم صائف فأمر رسول الله بالإبراد وقال: **«لا تجمعوا بين حر النهار وحر السلاح»** فاستراحوا في شدة الحر ثم قتلوهم آخر النَّهار، حتى إن أواخرهم كانت تقتل على ضوء السعف.

ثم واروا التراب عليهم بتلك الخنادق التي خدت، وكانوا يقتلون كل من أنبت ويبقون غير ذلك ممن لم ينبت.

ولم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة تدعى نُباتةَ من بني النضير كانت تحت رجل من بني قريظة يقال له الحكم، فاحتال عليها حتى دحرجت حجراً من فوق حصن الزبير بن باطا فوقع على خلاَّد بن سويد رضي الله عنه فاستشهد فقتلت به.

وكان الزُّبير بن باطا منَّ على ثابت بن قيس بن شماس يوم بُعاث، فأتى ثابت الزبير فقال: يا أبا عبدالرحمن، هل عرفتني؟ قال: وهل مثلي يجهل مثلك؟ فقال ثابت: إن لك عندي يداً، وقد قدرت أن أجزيك بها، قال الزبير: أن الكريم يجزي الكريم وأحوج ما كنت إليك اليوم، فأتى ثابت رسول الله ﷺ واستوهبه الزبير فوهبه إياه فرجع إلى الزبير فقال إن

رسول الله ﷺ قد وهبك لي، فقال: شيخ كبير لا أهل لي بيثرب ولا مال، ما أصنع بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هب لي أهله وماله، فقال: «هو لك»، فرجع إلى الزبير فقال: رسول الله قد أعطاني أهلك ومالك وولدك، فقال: يا ثابت أمَّا أنت فقد كافأتني وقد قضيت الذي عليك، يا ثابت ما فُعِلَ بالذي كان وجهه مرآة صينية تتراءى عذارى الحي في وجهه كعب بن أسد؟ قال: قُتل، قال: ما فعل المجلسان، أعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة؟ قال: قتلوا، قال: يا ثابت ما في العيش خير بعد هؤلاء لا حاجة لي في ذلك، ولكن يا ثابت انظر إلى امرأتي وولدي فإنهم جزعوا من الموت فاطلب إلى صاحبك أن يطلقهم وأن يرد إليهم ما لهم ففعل ذلك ثابت ولبَّى رسول الله ﷺ طلبه إلا السلاح، ثم قال الزبير: يا ثابت، أسألك باليد التي لي عليك إلا ألحقتني بالقوم، فما أنا بصابر حتى ألقى الأحبة، فقدمه ثابت فضربت عنقه، قتله الزبير بن العوام، ولما بلغ أبا بكر قوله: ألقى الأحبة، قال: يلقاهم والله في نار جهنم خالداً مخلداً.

ولقد أخذ رسول الله ﷺ ريحانة بنت زيد لنفسه صفياً وعَزَلَهَا حتى تسلم. فما زال بها ثعلبة بن سعية حتى أسلمت، فبعث بها إلى بيت أم المنذر سلمى بنت قيس حتى حاضت ثم طهرت فجاءها ﷺ وخيرها: أيَعْتقُها ويتزوجها أو تبقى موطوءة بملك اليمين، فاختارت البقاء موطوءة بملك اليمين. وقيل: أعتقها وتزوجها. غير أن عدم عَدِّها ضمن زوجاته اللاتي توفي ﷺ عنهن يشهد للقول بأنها اختارت البقاء بملك اليمين والله تعالى أعلم.

بيع المتاع وقسمة الفيء

وأمر ﷺ بالمتاع فبيع بالمزاد وبيع السبي كذلك وقسم النخل أسهماً، وكانت الخيل ستًّا وثلاثين فرساً، فأسْهِم للفرس سهمان ولصاحبه سهم وللراجل سهم. وكان لرسول الله ﷺ ثلاثة أفراس فلم يضرب إلا لواحد

منها، وأسهم لخلاَّد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو رضي الله عنه وقد قتل تحت الحصن طرحت عليه رحى فشدخته، وكان أبو سنان بن محصن واسمه وهب بن عبدالله وقيل وهب بن محصن وقيل في اسمه غير ذلك. قال المقريزي: وأصح ما قيل فيه إنه أخو عكاشة بن محصن، كان رضي الله عنه مات أثناء حصار رسول الله ﷺ لبني قريظة فأسهم له ﷺ وكان المسلمون ثلاثة آلاف، فكانت لذلك سهمان الخيل والرجال ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً: للفرس سهمان ولصاحبه سهم.

وجزئت الأموال خمسة أجزاء وكتب في سهم منها لله ثم فض أربعة أسهم على الناس، وأخذ فيء رسول الله ﷺ النساء اللاتي حضرن القتال ولم يسهم لهن، وهنَّ: صفية بنت عبدالمطلب، وأم عمارة، وأم سَلِيطٍ، وأم العلاء الأنصارية، والسميراء بنت قيس الأنصارية، وأم سعد بن معاذ كبشةُ بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة.

وكان السبي ألفاً من النساء والأطفال فخمس فأخذ رسول الله ﷺ خمسة قبل بيع المغنم فعتق منه ووهب وأخدم من أراد.

وكان الذي أشرف على قسم المغنم بين المسلمين مَحْمِيَةُ بن جَزْءٍ الزُّبيديُّ، ونهى رسول الله ﷺ أن يفرَّق في القسم والبيع بين الأم وولدها حتى يبلغوا، قيل: يا رسول الله وما بلوغهم؟ قال: تحيض الجارية ويحتلم الغلام، وكانت الأم وولدها الصغار تباع من المشركين من العرَب ومن يهود المدينة ويهود تيماء وخيبر يخرجون بهم ولا يباع الولد الصغير ليس معه أمه إلا من المسلمين، وكانت أموال قريظة أول فيء وقع فيه السهمان والخمس. ا هـ. من إمتاع الأسماع.



وفاةُ سعد بن معاذ

ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة رجع إلى خيمة

رُفَيْدَة بنت سعد الأسلمية، وكان قد كوى جرحه بالنار فانتفخت يده وسال الدم فحسمه أخرى فانتفخت يده، فسأل الله أن يبقيه حتى يقاتل بني قريظة، فانفجر جرحه بعد عودته إلى المدينة وبعدما عاده رسول الله ﷺ، فحمل إلى منزله وغسله الحارث بن أوس بن معاذ وأسيد بن حضير، وسلمة بن سلامة بن وقش بحضرة رسول الله ﷺ وأم سعد تبكي وتقول:

ويـــل أم ســـعـــد ســـعـــدا	صـــرامـــةً وحـــدًّا
وســـؤدداً ومَـــجْـــدا	وفـــارســـاً مُـــعِـــدًّا
سُـــدَّ بـــه مَـــسَـــدًّا	يَـــقُـــدُّهـــا مـــا قَـــدًّا

فقال رسول الله ﷺ: «كل البواكي يكذبن إلاّ أم سعد»، ثم كُفِّن في ثلاثة أثواب وحمل في سرير، فحمل رسول الله ﷺ جنازته وهو بين عمودي سريره حتى رفع من داره إلى أن خرج، ومشى أمام الجنازة ثم صلى عليه، ونزل في قبره أربعة: الحارث بن أوس بن معاذ، وأسيد بن حضير، وأبو نائلة، وسلمة بن سلامة، ورسول الله ﷺ واقف على قبره، ولما وضع في قبره تغير وجهه وسبح ثلاثاً فسبح المسلمون ثلاثاً حتى ارتج البقيع، ثم كبر ثلاثاً وكبر أصحابه حتى ارتج البقيع، فسئل ﷺ عن ذلك فقال: «تضايق على صاحبكم قبره وضم ضمة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد»، ثم فرَّج الله عنه، وجاءت أم سعد تنظر إليه في اللحد وقالت: أحتسبك عند الله، وعزَّاها رسول الله ﷺ على قبره، وجلس ناحية والمسلمون يردون تراب القبر حتى سُوِّيَ ورش عليه الماء ثم وقف ﷺ ودعا ثم انصرف.

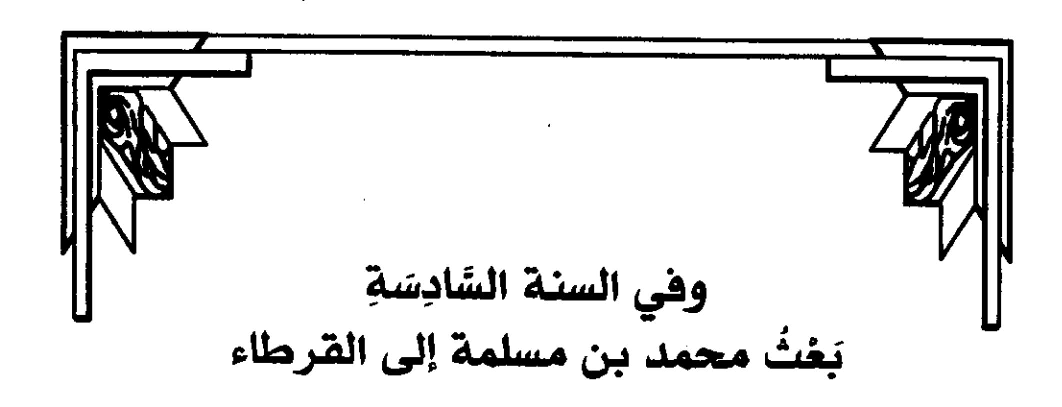
قلت: وهنا أستجلب ما ذكر به العلامة الشيخ أحمد البدوي في مغازيه غزوة بني قريظة، قال:

ثُـمَّ قـريـظَـة إلَـيْـهـا جَـبْـرَئـيـلُ	ولـم يَـضَـعْ سلاحَهُ استدعى رَعِيلْ
وقـــادَهُ وزلـــزل الـــحُـــصُـــونـــا	وقـــذف الـــرُّعْـــب ولا يَـــدْرُونـــا
واسْـتَـذْمَـرَ الـنـبـيُّ خـيـلَ الله	وعـن صـلاة الـعـصـر قـام الـنـاهـي
إلاّ بـهـم ولـم يَـعِـبْ مَـنْ أخَّـرَا	إلـى الـعِـشَـاءِ إذْ يـراهُ ائـتـمـرا
وخـيَّـر ابـنُ أسَـدٍ قُـريـظَـتَـهْ	بـيـنَ ثَـلاثٍ وازدَرَوْا رويـتَـهْ

أن يـؤمـنـوا فـيـمَـنُـوا فـقَـدْ دَروْا ... فـي كـتـبـهـم مـا عـنـه إذْ جـاء أبَـوْا
أوْ يَـخـصُـدوا الـنـسـاء والـصـبـيـانـا ... فـلـم يُـخـلُّـوا خَـلْـفَـهُـمْ إنْـسـانـا
أوْ يَـفْـتِـكُـوا في الـسَّـبْـتِ إذْ يـأمَـنُـهُـمْ ... جَـيْـشُ الـعـرمـرم ولا يـأبـنُـهُـمْ
وضـاقـت الأرض بـهـم لـرعـبـهـم ... وجـهـلـوا كـيـف الـنـكـايـة بـهـم
واسْـتَـنـبـئـوا أبـا لـبـابـة الـخـبـر ... فـرقٌ لـلـعـهـد الـذي بـهـم غَـبَـرْ
أن جـأرت فـي وجـهـه الـصـبـيـان ... واسـتـعـطـفـت رحـمـتـه الـنـسْـوَانُ
فـفـتـنـوهُ وانـتـحـى عـن بـلـد ... عـصـى بـهِ وشـاط نـحـو الـمـسـجـد
فـقـام فـيـه بـرهـة مـرتـبـطـا ... مُـعَـذِّبـا لِـنَـفْـسِـهِ مُـوَرِّطَـا
فـتـاب مـن هـفـوتـه الله عـلـيـه ... وحَـلَّـه خـيـر الأنـامِ بـيـديـهْ
وحكَّم الـنـبيُّ فـيـهـم سـعـد الأوس ... إذْ غـاظـهـم إطـلاقـه عـن كـل بـوسْ
لابْـنِ أبـيٍّ حُـلَـفـاء الـخـزرج ... وكـان في الـتـحـكـيـم جـسـم الـهـرج
وحـمـلـوا سـعـداً عـلـى حـمـار ... مـن الـمـديـنـة إلـى الـمـخـتـار
وحـيـنـمـا انـتـهـى إلـى الـنَّـديّ ... سـوده خَـيْـرُ بَـنـي لـؤيّ
عـلـى الـجـمـيـع أو عـلـى الأنـصـار ... لا غـيـرهـم عـنـد بـنـي نـزار
وراودتـه قـومـه أن يـحـكـمـا ... بـغـيـر مـا حـكـم فـيـهـم فـاخـتَـمَـى
وعـنـدمـا انـتـهـى الـحـصـار اسْتُشْـهِـدا ... واهـتـزَّ عـرش الله حـيـن بـردا
وخَـفَّ نَـعْـشُـه عَـلـى عـظـمَـتـهْ ... إذِ الـمـلائـكـةُ مِـنْ حَـمَـلَـتِـهْ

اهـ.





وفي السنة السَّادِسَةِ
بَعْثُ محمد بن مسلمة إلى القرطاء

قال ابن سعد: خرج محمد بن مسلمة إلى القُرَطَاءِ لعشر ليال خلون من محرم على رأس تسعة وخمسين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ بعثه في ثلاثين راكباً إلى القرطاء وهم بطن من بني بكر بن كلاب وكانو ينزلون البكرات بناحية ضَريَّة، وبين ضريَّة والمدينة سبعُ ليال، فغاب تسعَ عشرة ليلة وقدم لليلة بقيت من المحرم. وقال الصالحي: بعث محمد بن مسلمة في ثلاثين رجلاً ركباناً فيهم عبَّاد بن بشر، وسلمة بن سلامة بن وقش، والحارث بن خزيمة، إلى بكر بن كلاب وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار، وأن يشن الغارة عليهم، حتى إذا كان بالشَّربَّة لقي ظَعْناً فأرسل رجلاً من أصحابه يسأل مَنْ هم؟ ورجع إليه فقال: قوم من محارب، فنزلوا قريباً منه وحلُّوا وروحوا ماشيتهم فأمهلهم حتى إذا عطنوا أغار عليهم فقتل نفراً منهم وَهَرب سائرهم فلم يطلب من هرب واستاق نعماً وشاء ولم يتعرَّض للظُّعن، ثم انطلق حتى إذا كان بموضع يطلعه على بني بكر بعث عائذ بن يسر إليهم فأوفى على الحاضر فأقام، وخرج محمد في أصحابه فشن عليهم الغارة فقتل منهم عشرة واستاق النعم والشاء، ثم انحدر إلى المدينة فما أصبح إلا بضريَّة مسيرة ليلة أو ليلتين، وقدم المدينة، وكان النعم مائة وخمسين بعيراً والشاء ثلاثة آلاف، فخمَّس رسول الله ﷺ الخمس وقسم ما بقي فعدل الجزور بعشرة من الغنم.

تنبيه: ذكر الصالحي أن هذه السرية هي التي جاءت بثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه، ومعلوم أن رسول الله ﷺ ربط ثمامة بن أثال في سارية

من سواري المسجد يقول له كل يوم: «ما تقول يا ثمامة؟» فيقول: إن تُنْعِمْ تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، ثم أطلقه بعد ثالثة، فلما أطلق قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يا رسول الله إن خيلك أخذوني وأنا معتمر فماذا أفعل؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر فتوجه إلى مكة فكان أول من دخلها ملبياً، فقالت قريش: قد اجترأتَ علينا، ولم يتعرضوا له بسوء لحاجتهم إلى طعام اليمامة، وقالوا: أصبوت يا ثمامة؟ فقال لا، ولكنني أسلمت مع رسول الله ﷺ واتبعت خير دين، والله لا تصل إليكم حبة حنطة من اليمامة حتى يأذن رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى اليمامة فمنع الطعام أن يباع إليهم حتى أكلوا العلهز فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم وإنك قد قطعت أرحامنا. فكتب ﷺ إليه أن خل بينهم وبين الحمل. قالوا وكان مجاعتهم تلك سبب نزول قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ الآية.

قلت: وهذا البعث ذكره العلامة غالي بن المختار فال فقال:

ثم ابنَ مسلمة مكثر النَّهَابْ	للقُرطَا من آل بكر بن كلاب
فأسَرُوا ثمامَةَ الحنفي	وقدموا الطيبة لم يُعْرَفِ
عرفَهُ إذ جاءه فأمرا	بحسن أسْرِه الشفيعُ في الورى
ونَالَه من أحمدَ الإحسانُ	ونَال من إمعانه الإيمانُ
فاستأذن الهادي في الاعتمار	وجا مُلَبِّياً إلى الكُفَّار
ولم يزل حنيفيًا لمَّا بَنُو	حنيفة عن دينهم قد فُتِنوا

غزوة بني لحيان

والتحقيق أنها كانت في شهر ربيع الأول سنة ست من هجرته ﷺ، وكان بنو لحيان بناحية عسفان، قال ابن سعد: وجد رسول الله ﷺ على

عاصم بن ثابت وأصحابه وجدا شديداً، فخرج وأظهر أنه يريد الشام وعسكر لغرة هلال شهر ربيع الأول في مائتي رجل ومعهم عشرون فرساً، واستخلف على المدينة عبدالله بن أم مكتوم ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غُرَّان، وبينها وبين عسفان خمسة أميال حيث كان مصاب أصحابه فترحم عليهم ودعا لهم، فسمعت بهم بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال فَلم يقدر منهم على أحد، ثم خرج حتى أتى عسفان، فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرَهُم، فأتوا الغميم ثم رجعوا ولم يلقوا أحداً، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة وهو يقول: «**تائبون آئبون إن شاء الله حامدون لربنا عابدون! أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال**». رواه جابر بن عبدالله.

ولقد ذكر العلامة الشيخ أحمد البدوي في مغازيه هذه الغزوة فقال:

ثمَّ غَزا لحيانَ جرَّاء الرجيع ... فاحتضنوا بكل بَاذِخٍ مَنِيعْ

بَعْثُ الرجيع ستة أو عَشَرةْ ... لحيانُ حييٌ مِن هُذيل غُدَرَةْ

والعضل والقارة نجلا الهُونِ ... نَجْلِ خزيمةَ سَعَوْا في الهونِ

واربعو بئر معونة الغُرَزْ ... ابْنُ الطفيل عَامِرٌ فيهم خَفَزْ

أبا بَراءٍ وكلا البعثَيْنِ ... قد أرسلا ليرشِدا للذّين

ا هـ.



غزوة الغابة وهي غزوة ذي قرد

قال ابن سعد: ثم غزوة رسول الله ﷺ الغابة، وهي على بريد من المدينة طريق الشام في ربيع الأول سنة ست من الهجرة.

كانت عشرون لقحة لرسول الله ﷺ ترعى بالغابة وكان أبو ذر فيها فأغار عليهم عيينة بن حصن ليلة الأربعاء في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أبي

ذر، وجاء الصريخ فنادى: الفزعَ الفزع، فنودي: يا خيل الله اركبي، وكان أول ما نودي بها ذلك اليوم، وركب رسول الله ﷺ فخرج في الحديد مقنعاً فوقف، فكان أول من أقبل إليه المقداد بن عمرو وعليه الدرع والمغفر شاهراً السيف فعقد له رسول الله ﷺ لواء في رمحه، وقال: «**امض حتى تلحقك الخيول، إنا على أثرك**»، واستخلُف رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم، وخلف سعد بن عبادة في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة، قال المقداد: فخرجت فأدركت أخريات العدو وقد قتل أبو قتادة مسعدة فأعطاه رسول الله ﷺ فرسه وسلاحه، وقتل عكاشة بن محصن أثار بن عمرو بن أثار وقتل المقداد بن عمرو حبيب بن عيينة بن حصن، وقرفة بن مالك بن حُذيفة بن بدر، وقُتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله مسعدة، وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على قدميه فجعل يراميهم بالنبل ويقول: خذها!

وأنـــــا ابـــــن الأكـــــوع الـــيـــوم يـــوم الـــرضـــعَ

حتى ذي قرد وهي بناحية خيبر مما يلي المستناخ، قال سلمة: فلحقنا رسول الله ﷺ والناس والخيول عشاء فقلت: يا رسول الله إن القوم عطاش فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما بأيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم، فقال النبي ﷺ: «**يا ابن الأكوع ملكت فاسجح**»، ثم قال: «**إن هم الآن ليقرون في غطفان**».

وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف فجاءت الأمداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذي قرد فاستنقذوا عشر لقاح وجمل أبي جهل وأفلت القوم بما بقي وهي عشر، وصلى رسول الله ﷺ بذي قرد صلاة الخوف، وأقام به يوماً وليلة يتحسس الخبر وقسم في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها وكانوا خمسمائة، ويقال سبعمائة، وبعث إليه سعد بن عبادة بأحمال من التمر وبعشرة أبعر ينحرونها فوافت رسول الله ﷺ بذي قرد. قال ابن سعد: والثبت عندنا أن رسول الله ﷺ أمر على هذه السرية سعد بن زيد الأشهلي ولكن الناس نسبوها إلى المقداد لقول حسان بن ثابت:

غـــــداة فـــــوارس الـــمـــقـــداد

فعاتبه سعد بن زيد فقال: اضطرني الروى إلى المقداد، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة يوم الاثنين وقد غاب خمس ليال.

وكانت راية رسول الله ﷺ العقاب يحملها سعد، وكان محرزُ أدرك القوم مهيباً فطاعنهم ساعة فقتله مسعدة بن حكمة، وقتل عبّادُ بن بشر أو عمرو بن أوبار، وقيل: بل قتله عكاشة بن محصن، ودعا رسول الله ﷺ لأبي قتادة فقال: **«اللهم بارك له في شعره وبشره»** وقال: **«أفلح وجهك!»** فقال: ووجهك يا رسول الله، ثم قال: **«قتلت مسعدة؟»** قال: نعم! قال: **«ما هذا بوجهك؟»** قال: سهم رميت به يا رسول الله، قال: **«ادنُ مني»** فدنا منه فبصق عليه فما ضرب عليه قط ولا فاح، فمات أبو قتادة عن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة، وأعطاه رسول الله ﷺ فرس مسعدة وسلاحه وقال بارك الله لك فيه.

وصلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف يومئذ فقام إلى القبلة وصف طائفة خلفه، وطائفة مواجهة للعدو، فصلى بالطائفة التي خلفه ركعة وسجدتين ثم انصرفوا وقاموا مقام أصحابهم، وأقبل الآخرون فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم، فكان لرسول الله ﷺ ركعتين ولكل من الطائفتين ركعة.

ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن غاب عنها خمسة أيام أقبلت امرأة أبي ذر على ناقته القصواء، وكانت في السرح، فدخلت عليه فأخبرته من أخبار الناس، ثم قالت يا رسول الله إنّي نذرت إن نجاني الله عليها أن أنحرها، فتبسَّم وقال: **«بئس ما جزيتِها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين إنما هي ناقة من إبلي، فارجعي إلى أهلك على بركة الله»**.

وجاء ابن أخي عيينة بن حصن بلقحة رسول الله ﷺ السمراء، فلما نظرها عرفها فسأله ما باله؟ قال أهدى إليك هذه اللقحة، فتبسَّم، بأبي هو وأمي، وعوضه ثلاث أواقي فضة، فَسخِطَها، فصلى رسول الله ﷺ الظهر وصعد المنبر فحمد الله ثم قال إن الرجل أهدى الناقة من إبلي أعرفها كما أعرف بعض أهلي ثم أثيبه عليها فيظل يتسخط عليَّ، ولقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي أو أنصاري، وفي رواية أو ثقيفي أو دوسي.

وقال العلامة الشيخ أحمد البدوي المجلسي ثم الموريتاني في مغازيه ذاكراً غزوة الغابة هذه:

فغزوة الغابة وهي ذو قَرذْ	خرج في إثِرْ لقاحه وَجَدْ
وناشهم سلمة بن الأكوع	وهو يقول اليومُ يومُ الرُّضَّع
وفرض الهادي له سهمين	لسبقه الخيل على الرجلين
واستنقذوا من ابن حصن عَشْرا	وقسَّم النبيّ فيهم جُزرا
وأقبلتْ امرأة الغِفاري	قتيل نهب إبل المختار
وهْيَ على راحلةٍ من ذي الإبِلْ	قد نذرَتْ إهْلاكَها حينَ تَصِلْ
ومَرَّ في طريقه بالْمالخ	بيان ذا اللقب غير صالح
فغيَّرَ اسمه وغيَّرَ الإله	صفته وبَعْدَ ذلك اشتراه
طلحة الفياض سماهُ النبيُّ	إذْ قد تصدَّق به ليشرب

ا هـ.

بعث عكاشة بن مِخصَنٍ إلى الغمر

ثم إن رسول الله ﷺ أرسل عكاشة بن محصن الأسدي إلى الغمر غمر مرزوق، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد. قال ابن سعد: طريق الأول إلى المدينة. وكان هذا البعث في ربيع الأول من سنة ست من هجرته ﷺ، بعثه في أربعين رجلاً فخرج سريعاً إلى القوم ولكنهم نذروا به فهربوا وتفرقوا فنزلوا بعلياء بلادهم، فلما بلغ ديارهم ووجدها خلوفاً، بعث شجاع بن وهب طليعة فرأى أثر النعم فتبع أثره فوجدوا ربيئة للقوم فأمنوه فدلهم على نعم لهم فأغاروا عليها واستاقوها وكانت مائتي بعير فأرسلوا الرجل وساقوا النعم إلى المدينة فقدموا على رسول الله ﷺ ولم يلاقوا كيداً. ا هـ. عن ابن سعد بتصرف.

هذا، وإن العلامة غالي بن المختار ذكر هذا البعث بقوله:

ثم ابنَ مِخصَنٍ عُكاشة الأسَدْ لِغِمْرِ مرزوق مُوَيْهِ لأسَدْ
فَسَمِعُوا خبرهم وهربوا ومائتين إبلاً انتهبُوا

ثم بَعث محمد بن مَسْلَمَةَ إلى ذي القصّة

قال ابن سعد: وكانت سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة في شهر ربيع الثاني سنة ست من هجرته ﷺ، بعثه إلى بني ثعلبة وبني عوال من ثعلبة وهم بذي القصة وبينها وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً طريق الربذة، وكان عليه الصلاة والسلام أرسله في عشرة رجال فوردوا عليهم ليلاً فأحدق بهم القوم والعدو مائة رجل، فتراموا ساعة من الليل ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فاستشهدوا جميعاً إلا محمد بن مسلمة فإنه سقط جريحاً فضرب كعبه فلا يتحرك، وجردوهم من الثياب، ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً إلى مصارع القوم فلم يجدوا أحداً ووجدوا نعماً وشاء فساق ذلك المال ورجع إلى المدينة اهـ. ابن سعد.

قلت: ولقد ذكر الشيخ غالي بن المختار هذين البعثين فقال:

ثُمَّ ابْنَ مَسْلمة النَّدبَ إلى حَيِّ بني ثعلبة فاقْتَتلا
في عَشْرَةٍ فجرحوا محمداً أميرهم ومن سواه اسْتُشْهِدَا
ثم أبا عُبَيدَةٍ بَعْدُ إلى ثَعْلِبَةٍ بأربعين رَجُلا
صَبَّحَهُمْ بغارةٍ شَعْوَاءِ فَنَالَ مِن نِعَمِهِم والشَّاءِ
وأعْجزوهُ في الجِبَال مَا عَدَا أحدَهم فأخَذُوهُ واهتَدَى

بَعْثُ زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم

قال ابن سعد: وهي في ربيع الثاني سنة ست من هجرة رسول الله ﷺ قالوا: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى بني سليم فسار حتى ورد الجموم ناحية بطن نخلة عن يسارها فأصابوا عليه امرأة من مزينة تسمى حليمة فدلتهم على محلة من محال سليم، فأصابوا نعماً وشاء وأسرى، فكان زوج حليمة المزنية هذه من بين الأسرى، فلما قفل زيد بما أصاب وهب رسول الله ﷺ للمزنية زوجها ونفسها.

وقال غالي بن المختار يذكر هذا البعث:

ثُمَّتَ زيداً لِسُليم فذهَبْ	فأسر الرجال والمالَ نَهَبْ
وكان في جُملة من قد أسَرا	فَرَدَّهُ لأهله خير الورى
زوج حليمة التي دَلَّتْهُمُ	على الذي قد أخذوا يومهمُ

اهـ.



سرية زيد بن حارثة إلى العيص

بين المدينة والعيص أربع ليال حسبما يقوله ابن سعد، قال: وبينها وبين ذي المروة ليلة واحدة، وكانت هذه السرية في جمادى الأولى، ست من هجرته ﷺ، ذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن عيراً لقريش قد أقبلت من الشام، فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة رجل راكب يتعرض لهذه العير، فأخذوا العير بجميع ما فيها، فأخذوا فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا ناساً ممن كانوا في العير قال ابن سعد: وكان أبو العاص من بين الأسرى، ولما وصل المدينة استجار بزينب بنت رسول الله ﷺ، فأجارته.

هذا، وقد قدمنا في الكلام على أبي العاص بن الربيع رضي الله عنه

حيث كان بين أسرى بدر، وفي الكلام استطراداً على جوار زينب رضي الله عنها له، إنه لم يكن من بين أسرى سرية زيد إلى العيص، وأنه هرب وفاتهم لكنه دخل المدينة ليلاً فاستجار بزينب رضي الله عنها، وهنا نحيل إلى هناك من تفصيل ذلك وبالله تعالى التوفيق.

ولقد أشار العلامة غالي بن المختار فال إلى هذا البعث ببيت واحد وأحال في الكلام على هذا البيت إلى ما ذكره البدوي في مغازيه عند ذكر أسارى بدر ـ قال رحمه الله في نظم البعوث:

ثم ابنَ حارثة للعير ألتي   أخذ فيها صهر هادي الملة

اهـ.

سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرَف

قال ابن سعد: وهو ماء قريب من المراض دون النخيل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة طريق البقرة على المحجة، قال: وكانت هذه السرية في جمادى الأخيرة سنة ست من الهجرة، خرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فأصاب نعماً وشاء وهرب الأعراب ورجع زيد بالنعم إلى المدينة وهي عشرون بعيراً ولم يلق كيداً وغاب عن المدينة أربعة أيام وكان شعارهم في ذلك البعث أمِتْ أمِتْ.

قال غالي:

ثم للطَّرْفِ أيضاً فهَرَبْ   ثعلبة مِنْهُ ومالهم نَهَبْ

بيت واحد فقط.



ثُمّ بَعْثُ زيد رضي الله عنه إلى حَسْمَى

قال ابن سعد: وهي وراء وادي القرى، بعث رسول الله ﷺ مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه في جمادى الآخرة سنة ست من الهجرة، ذلك أن دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه في رجوعه من عند قيصر وقد أجازه وكساه، لقيه الهنيد بن عارض وولده عارض بن الهنيد في ناس من جذام بحسمى فقطعوا عليه الطريق ولم يتركوا عنده إلا ثوباً خلقاً، فسمع بذلك نفر من بني الضبيب فنفروا إليهم واستنقذوا لدحية متاعه، ولما أخبر دحية النبي ﷺ بذلك، بعث زيد بن حارثة في خمسمائة مقاتل ومعهم دحية رضي الله عنه، فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل من بني عذرة، فأقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم، فقتلوا منهم وأوجعوا وقتل الهنيد وولده، وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم، فأخذوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة ومائة من النساء والأطفال.

ورحل زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه إلى رسول الله ﷺ فدفع إليه كتاباً كان قد كتبه له ولقومه، لما قدم عليه ليسلم، وقال: يا رسول الله، لا تحرّم علينا حلالاً ولا تحل لنا حراماً، فقال: كيف أصنع بالقتلى؟ قال أبو زيد بن عمرو: أطلق لنا يا رسول الله من كان حيًّا ومن قتل فهو تحت قدميَّ هاتين، فقال رسول الله ﷺ: «**صدق أبو زيد!**» فبعث معهم عليًّا رضي الله عنه إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم، فلقي عليّ زيداً رضي الله عنهما، لقيه بالفحلتين وهي بين المدينة وذي المروة، فأبلغه أمر رسول الله ﷺ، فرد إلى الناس كل ما كان أخذ لهم.

ولقد ذكر العلامة غالي بن المختار فال هذه السرية بقوله:

ثُـمَّـتَ أيـضـاً لـجُـذَام إذْ أتَـوْا	بِـمَـال دحـيـة وبِـئْـسَ مـا اجْـتَـنَوْا
فـانـتـزعَـتْ آلُ الـضُّـبَـيْـبِ بِـالْـغَـلَـبْ	لِـدِحْـيَـةٍ جـمـيـعَ مَـا مِـنْـهُ سُـلِـبْ
هـنـيـدٌ الـقـتـيـلُ يَـوْمَ حَـفَّـهُـمْ	زَيْـدٌ بِـفَـيْـلَـقٍ يَـجُـرُّ حَـتْـفَـهُـمْ
وقَـتْـل الـعـارِض فـيـمـن قـتـلا	سـلـيـلَـهُ وبـالـسـبـايـا قَـفَـلا
فـجـاءَهُ بـنـو الـضـبـيـبْ فـأبـى	عَـنْ أن يَـرُدَّ مِـنْـهُـمُ الَّـذي سَـبَـا

فـقـدمـوا عـلـى الـنـبـيِّ لِـيَـهَـبْ لـهـم جـمـيـعَ مـا الأبـي قـد نَـهَـبْ
ومَــنْ سَـبَـا وبـكـتـاب قــدمــوا كـتـبـه لِـبَـعْـضِـهِـم أن أسْـلِـمُـوا
فـقـال مـا أفـعَـلُ بـالَّـذي قُـتِـلْ قـال أبـو زيـدِ بـن عـمـرو الـبَـطَـلْ
أطـلـق جـمـيـع مـا فـي الـرِّمَـمِ أجْـعَـلُ مَـن قُـتِـلَ تَـحْـتَ قَـدَمِـي
فَـبَـعَـثَ الْـهَـادِي أَبَـا تُـرَابِ لـيـأخُـذَ الـنَّـهْـبَ مَـن الأصْـحَـابِ
ثُـمَّ مـضـى وسَـيْـفَـهُ أعْـطـاه لـكـي يـطـيـعَ أمْـرَهُ مَـوْلاهُ
فَـرَدَّ مَـا أخـذ مـن أمْـوَالـهـم ومـن نـسـائـهـم ومـن أطـفـالـهـم

ا هـ.



بَعْثُ عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

قال ابن سعد: وكانت هذه السرية في شعبان من سنة ست للهجرة، قال: دعا رسول الله ﷺ عبدالرحمن بن عوف فأقعده بين يديه وعممه بيده، وقال له: اغْزُ بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله، لا تَغُلَّ ولا تغدر ولا تقتل وليداً، وبعثه إلى كلب بدومة الجندل وقال: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم، فسار عبدالرحمن حتى وصل دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانيًا وكان رأسهم وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام على دينه على أن يعطى الجزية وتزوج عبدالرحمن تماضر بنت الأصبغ وقدم بها المدينة وهي أم أبي سلمة بن عبدالرحمن.

قلت: وهاك ما ذكر به العلامة غالي هذا البعث فقال:

ثُـمَّ ابْنَ عَوْفِ الـعـظـيـمَ الـمـعـتـلـى إلـى بـنـي كـلـب بـدومَ الـجَـنْـدَلِ

أسْلَمَ في ناسٍ مِنْ أهل مِلَّتِهْ … سَيِّدُهُمْ أصْبَغُ بَذْرُ فِتْنَتِهْ
وقبل الجزْيَةَ مَن لم يُسْلِمَ … وجَازَ أصْبَغُ كثير المغْنَمِ
إسْلامَهُ ونَجْلُ عَوْف صَاهَرَهْ … لأن أحْمد بذاك أمَرَهْ

ا هـ.

بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر بفدك

قال ابن سعد: كانت هذه السرية في شعبان سنة ست من الهجرة، قالوا: بلغ رسول الله أن بني سعد بن بكر لهم جمع يريدون أن يُمدوا به يهود خيبر، فبعث إليهم عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه في مائة رجل، فسار الليل وكمن النهار حتى انتهى إلى الهمج، وهو ماء بين المدينة وفدك، قال: وبين فدك والمدينة ست ليال، فوجدوا به رجلاً فسألوه عن القوم، فقال: أخبركم على أنكم تؤمنوني، فأمنوه، فدلهم، فأغاروا عليهم فأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظُّعن ورأسهم وبَرُ بن عُليم فعزل عليّ صفي النبيّ ﷺ لقوحاً تُدْعى الحفَذَة، ثم عزل الخمس وقسم سائر الغنائم على أصحابه وقدم المدينة ولم يلق كيداً.

ثم إن العلامة البصاري الشيخ غالي بن المختار فال بن أحمد تلمود ذكر هذا البعث ببيتين فقال:

ثُمَّ الأُصَيْلِعَ عليًّا لِفَدَكْ … إلى بَني سَعْدٍ وَمَا دَماً سَفَكْ
فَشَنَّ غَارَةً عليهم فَهَرَبْ … حَيُّهُمُ مِنْهُ ومالهم نَهَبْ

ا هـ.



بَعثُ زيد بن حارثة رضي الله عنه
إلى أمّ قِرفَة بوادي القرى

قال ابن سعد: كانت هذه السرية في رمضان ستة ست من الهجرة.

وذلك أن زيد بن حارثة رضي الله عنه خرج في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لبعض أصحاب النبي ﷺ، فلما كان دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، ثم استبل زيد وقدم على النبي ﷺ فأخبره فبعثه عليه الصلاة والسلام إليهم فمكثوا النهار وساروا الليل، ونذرت بهم بنو بدر، ثم صبحهم زيد وأصحابه فكبّروا وأحاطوا بالحاضر، وأخذوا أمّ قرفة وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر، فكان الذي أخذ جارية مسلمة بن الأكوع فوهبها لرسول الله ﷺ فوهبها رسول الله لحزن بن أبي وهب. وعمد قيس بن المحسر إلى قرفة، وهي عجوز كبيرة، فقتلها قتلة عنيفة ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها، وقتل النعمان وعبيدالله ابني مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر، وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك فدخل على رسول الله ﷺ، فقام إليه يجر ثوبه وعانقه وقبله وسأله فأخبر بما تفضل الله به عليه من الظفر قال الشيخ غالي:

ثم لأمِ قرفة وهي الَّتي مِن غَيِّها تسب هادي الأمة
زيداً وقِيل بعث الصديقا فمزقَتْ تبًّا لها تمزيقا

اهـ.



بَعْثُ عبدالله بن رواحة إلى أسير بن زارم

كانت هذه السرية في شوال سنة ست من هجرته ﷺ، ذلك أن عدو الله تعالى أُسير بن زارم اليهودي أمّرته يهود بعد أن قتل سلام بن أبي الحقيق فقام يعد العدة لحرب رسول الله ﷺ، فسار في غطفان وغيرهم يجمع لحرب رسول الله ﷺ، ولما بلغ رسول الله ﷺ خبره أرسل عبدالله بن رواحة في ثلاثة نفر في رمضان يستخبرون خبره سرًا، فرجعوا بخبره وغرّته فأخبروا به نبي الله ﷺ فانتدب عليه الصلاة والسلام ثلاثين رجلاً بقيادة عبدالله بن رواحة رضي الله عنه، فلما قدموا خيبر أرسلوا إلى أُسير بن زارم وقالوا: هل نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا من أجله؟ قال: نعم، ولي منكم مثل ذلك؟ قالوا: نعم! قالوا: إن رسول الله بعثنا لتخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليك، فطمع في ذلك وخرج ومعه تسعة وعشرون رجلاً فكانوا ثلاثين يهوديًا مع كل مسلم رديف من اليهود حتى إذا كانوا بقرقرة تيار ندم عدو الله، وكان رديف عبدالله بن أنيس، فأهوى بيده إلى سيف عبدالله ففطن له ودفع بعيره، وقال أغدراً عدو الله؟ ففعل ذلك مرتين، فنزل عبدالله بن أنيس فساق بالقوم حتى انفرد له أسير فضربه بالسيف فقطع فخذه وسقط عن البعير وبيده مِخْرش من شوْحط فضرب به عبدالله رضي الله عنه فشجه مأمومة، ومال أصحاب رسول الله ﷺ إلى أعداء الله فقتلوا عامتهم سوى رجل واحد منهم أعجزهم عَدْواً، ولم يصب أحد من المسلمين به. وقدموا المدينة، وقد خَرجَ رسول الله ﷺ يتحسس أخبارهم، فحدثوه حديثهم، فقال نجّاكم الله من القوم الظالمين، ونفث على شجة عبدالله بن أنيس فلم تفح بعد ذلك ولم تؤذه، ومسح على وجهه ودعا له.

ولقد ذكر العلامة غالي بن المختار فال هذه السرية في بعوثه فقال:

فابْنَ رواحة المَجيد فلقي ... بخيبر نَجْلَ رِزام الشَّقي

فوجدوه يجمَعُ الجُموعا ... ليغْزُوَ المؤيَّدَ الشَّفيعا

قالوا له إذا أتيتَ أحمدا	صِرتَ أميراً مُكْرَماً مُمَجَّدَا
فخرجُوا بِهِ فلما أتندمْ	عَلِمَ ذَاكَ ابنُ أُنَيْس فَاقْتَحَمْ
به عن البعير ثُمّ اقتَتَلوا	وغير واحد نجا قد جَدّلُوا

بَعثُ كُرز بن جابر إلى العُرَنيّين

كانت هذه السرية في شوال سنة ست من الهجرة النبوية الشّريفة، وسببها أن نفراً من عُرينة ثمانية قدموا على النبي ﷺ فأسلموا واستوبؤوا المدينة، فأمر بهم رسول الله ﷺ إلى لقاحه فشربوا من ألبانها وأبوالها فصحوا، وكان سرح المدينة بذي الجَذر بناحية قُباء قريباً من عير، ولما استصح القوم ساقوا لقاح رسول الله ﷺ فقاتلهم يسار مولى رسول الله ﷺ فقتلوه وقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات رضي الله عنه، وانطلقوا بالسرح فأقبلت امرأة من بني عمرو بن عوف على حمار لها حتى مرت بيسار تحت شجرة، فلما رأته وما به رجعت إلى قومه فأخبرتهم، فخرجوا إلى يسار حتى أتوا به إلى قباء ميتاً، فبعث رسول الله ﷺ في أثر هؤلاء اللصوص عشرين فارساً واستعمل عليهم كرز بن جابر بن حسل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك القرشي الفهري، فخرج بقومه في أثرهم فأدركهم الليل بالحرة، فأصبحوا وما يدرون أين يذهبون، فإذا هم بامرأة تحمل كتف بعير فأخذوها فقالوا: ما هذا معك؟ قالت مررت بقوم قد نحروا بعيراً فأعطوني هذا ودلتهم على موضعهم فأتوهم فأحاطوا بهم وأسروهم جميعاً، وربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة وقد خرج رسول الله ﷺ إلى الغابة فأتوه بهم، فقطعت أيديهم وأرجلهم وسُمِلَتْ أعيُنهم وصلبوا بالزُّغابة، فنزله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ الآية ٣٣ من المائدة، فلم تسمل بعد نزولها عين ولا بعث رسول الله ﷺ بعثاً إلا نهاهم عن المثلة.

وقد خلَّف القوم على اللقاح حين ظفروا سلمة بن الأكوع وأبا رهم الغفاري، قالوا: وكانت خمس عشرة لقحة غزاراً فلما أقبل النبي ﷺ من الزُّغابة إذا اللقاح على باب المسجد تحانُّ، فتفقد منها لقحة تُدعى الحنَّاء وقد نحرها القوم، فردُّها إلى ذي الجذر فكانت هناك وكان سلمة ابن الأكوع يروح إلى رسول الله ﷺ كل ليلة بوطب من اللبن.

ولقد ذكر الشيخ غالي بن المختار فال هذا البعث في بعوثه فقال:

فنجلَ جابر المنيبَ ذا العُلا	كُرزاً بإثْرِ نَفَر عَدَوْا عَلى
لقاحِ خيرِ مُرْسَلِ وقتلوا	غُلامَه ومقلتَيه سملوا
وإذ بهم أتى النبيُّ قطعا	أيديَهم ورِغمَ مَا قدْ صَنَعَا
وقطعَ الأرجُل ثم سملا	أعينهم وردهم ممتثلا
لجانب الحرة يستسقون	لما أصابهم فلا يسقَوْن

تنبيهٌ: قد يلاحظ القارىء الكريم أني ربما عبرت بالبعث تارة وتارة بالسرية، وذلك لعدم الفرق عندي بين هذين اللفظين فإني أعتبرهما لفظين مترادفين لكل ما لم يخرج فيه هو عليه الصلاة والسلام بنفسه الشريفة، ولقد ذكر العلامة غالي بن المختار فال أنه بحث أشد البحث عن الفرق بين البعث والسرية فلم يحصل في الفرق بينهما على طائل لأن كلاً منهما معناه هو الذي لم يخرج فيه عليه الصلاة والسلام بنفسه فهما إذاً مترادفان اهـ. منه.



عمرة الحديبية

كانت هذه العمرة على القول الصحيح في ذي القعدة سنة ست من هجرته ﷺ، هذا قول كل من الزهري، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، والواقدي. قالوا: خرج من المدينة يوم الإثنين هلال ذي القعدة واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم عند المقريزي وقال حماد في روض النهاة استعمل عليها نميلة بن عبدالله الليثي وكذلك عند ابن كثير لقد رأى رسول الله ﷺ في النوم أنه دخل البيت، وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البيت، وعرّف مع المعرفين، فاستنفر أصحابه إلى العمرة فأسرعوا وتهيؤوا للخروج، قال حماد: ومن كان حول المدينة من الأعراب تثاقلوا عنه ورأوا أنه يستقبل عدوًا كثيراً من قريش وثقيف وكنانة والقبائل الأخرى المجاورة لمكة، قال: ولم يتمكن إيمان هؤلاء يومئذ وقالوا: لن يَرجعَ محمدٌ وأصحابه من هذه السفرة، ففضحهم الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ الآيات من الفتح إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ الآية.

وكان قدم عليه في شوال بُسْر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعي مسلماً، فقال له ﷺ: «يا بسر، لا تبرح حتى تخرج معنا، فإنا إن شاء الله معتمرون»، فأقام وابتاع بُدْناً لرسول الله ﷺ وسلمها إلى ناجية بن جندب بن عمير الأسلمي ليقدمها إلى ذي الحليفة، وخرج المسلمون لا يشكون في الفتح للرؤيا المذكورة، ولم يحملوا من السلاح إلا السيوف في القُرَب، وساق قوم منهم الهَدْيَ: ساقه أبو بكر الصديق، وعبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن عبادة رضي الله عنهم.

وقد أشار عليه ﷺ بعض أصحابه بحمل السلاح معه، فإن رأوا من القوم ريباً كانوا معدين لهم، فامتنع عن حمل السلاح وقال: «إنما خرجت معتمراً».

قال الواقدي: فاغتسل في بيته ولبس ثوبين من نسج صُحار، وركب راحلته القصواء من عند بابه وخرج وصلى الظهر بذي الحليفة، ثم دعا بالبدن فجللت ثم أشعر عدة منها، وهي موجهة إلى القبلة في الشق الأيمن، ثم أمر ناجية بن جندب بإشعار ما بقي وقلد نعلاً نعلاً، وهي سبعون بدنة ومن بينها جمل أبي جهل الذي غنمه يوم بدر، وأشعر المسلمون بدنهم وقلدوا النعال في رقابها، وقدم ﷺ بُسر بن سفيان عيناً له، وقدم عباد بن بشر طليعة في عشرين فرساً، ثم صلى ركعتين ثم ركب من باب المسجد بذي الحليفة، فلما انبعثت به راحلته مستقبلة القبلة أحرم فلبَّى، وأحرم عامة الناس بإحرامه، وسلك طريق البيداء، واختلف في عدد من خرج معه من الرجال، فقيل: سبعمائة، وقيل: ألف وستمائة، وقيل: ألف وأربعمائة، وقيل: ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون، وقيل: ألف وثلاثمائة، وكان معه أربع نسوة هن: أمُّ المؤمنين أم سلمة، وأم عُمارة، وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عديّ وأم عامر الأشهلية، وقال المقريزي: إن الصحيح في عددهم أنهم ما بين ألف وثلاثمائة إلى ألف وخمسمائة.

ولما بلغ عسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي، فقال: يا رسول هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً. وهذا خالد بن الوليد على خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم.

وكانت قريش لما بلغهم خروجه أجمع رأيهم على صده عن المسجد الحرام، وعسكروا ببلدح وقدموا مائتي فارس إلى كراع الغميم وعليهم خالد بن الوليد، وقيل: عليهم عكرمة بن أبي جهل. ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ فأمر عليه الصلاة والسلام عبّاد بن بشر فتقدم في خيله فأقام بإزائه وصف أصحابه وحانت صلاة الظهر وصلى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة الخوف فلما أمسى عليه الصلاة والسلام تيامن بأصحابه لأن عيون قريش

توجد بمر الظهران وبضجنان، وسار حتى دنا من الحديبية وهي على تسعة أميال من مكة، فلما وصل الحديبية بركت ناقته عليه الصلاة والسلام فقال المسلمون: خلأت القصوى، فقال النبي ﷺ: **«ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل، أما والله لا يسألوني اليوم خطة فيها تعظيم حرمة الله إلا أعطيتهم إياها»**، ثم زجرها فقامت فولى راجعاً عوده على بدئه حتى نزل بالناس على ثمد من أثماد الحديبية ظنون، أي: قليل الماء، فانتزع سهماً من كنانته فأمر به فغرز فيها فجاشت بالماء حتى اغترفوا بآنيته وهم جلوس على شفير البئر، قال ابن سعد: ومطر رسول الله ﷺ بالحديبية مراراً وكثُرتِ المياه.

وجاء بديل بن ورقاء ومعه ركب من خزاعة فسلموا عليه، وقال بديل: جئناك من عند قومك كعب بن لؤيّ وعامر بن لؤيّ قد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم، معهم العوذ المطافيل والنساء والصبيان يقسمون بالله لا يُخَلُّون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم، فقال رسول الله ﷺ: **«لم نأت لقتال أحد، إنّما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه»**، فرجع بديل فأخبر قريشاً بذلك، فبعثوا عروة بن مسعود الثقفي، فكلمه رسول الله ﷺ بنحو ما كلم به بديلاً، فانصرف إلى قريش فأخبرهم فقالوا: نرده عن البيت في عامنا هذا ويرجع من قابل فيدخل مكة ويطوف بالبيت، ثم جاءه مكرز بن حفص بن الأخيف فكلمه بنحو ما كلم به صاحبيه فرجع إلى قريش فأخبرهم، فبعثوا الحليس بن علقمة وهو يومئذ سيد الأحابيش وكان يتألّه، فلما رأى الهَدْيَ عليه القلائد قد أكل أوباره من طول الحبس رجع ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال لقريش والله لتُخَلُّنَّ بينه وبين ما جاء له أو لأنفرنَّ بالأحابيش، قالوا: اكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به. وكان أول من بعثه رسول الله إلى قريش خراش بن أمية الكعبي ليخبرهم ما جاء له، فعقروا به وأرادوا قتله فمنعه مَنْ هناك من قومه، فأرسل عثمان بن عفان فقال اذهب إلى قريش فأخبرهم بأننا ما جئنا لقتال أحد وإنما جئنا زوّاراً لهذا البيت معظمين لحرمته، معنا الهَدْيُ ننحره وننصرف، فأتاهم فأخبرهم

فقالوا: لا كان هذا أبداً، ولا يدخلها علينا العامَ، وأُشيعَ أن عثمان قتل، فذلك حيث دعا ﷺ إلى بيعة الرضوان فبايعهم تحت الشجرة وبايع بيده الشريفة عن يد عثمان فضرب بشماله على يمينه لعثمان رضي الله عنه، وقال: «**إنه ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله**».

وكان يتناوب حراسة المسلمين بالحديبية ثلاثة: أوس بن خَوْليّ، وعبّاد بن بشر، ومحمد بن مسلمة، فبعثت قريش مكرز بن حفص على خمسين رجلاً ليصيبوا من المسلمين غِرّةً فظفر بهم محمد بن مسلمة وجاء بهم رسول الله ﷺ وبلغ قريشاً حبس أصحابهم فجاء جمع منهم ورموا بالنبل والحجارة فرماهم المسلمون وأسروا منهم اثني عشر رجلاً، وقتل من المسلمين رجل يدعى زُنيم بضم أوله.

وبعثت قريش سهيل بن عمرو من أجل من أسر من رجالهم فقال: يا محمد، إن هذا الذي كان من حبس أصحابك وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأى ذوي الرأي منا بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به وكان من سفهائنا، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة والذين أسرت آخر مرة، قال: إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي قال: أنصفتنا. فبعث سهيل إلى قريش الشتيم بن عبد مناف التيمي، فبعثوا بمن كان عندهم: عثمان بن عفان وعشرة من المهاجرين وأرسل رسول الله ﷺ أصحابهم الذين أسروا، وكان رسول الله ﷺ يبايع الناس تحت شجرة خضراء، ونادى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن روح القدس قد نزل على رسول الله وأمر بالبيعة فاخرجوا على اسم الله فبايعوا، فلما رأى سهيل بن عمرو ومن معه سرعة الناس إلى البيعة وتشميرهم لها اشتد رعبهم وخوفهم، وأسرعوا إلى القضية.

رجع سهيل وحويطب ومكرز إلى قريش فأخبروا بما رأوا، فأشار أهل الرأي بالصلح على أن يرجع رسول الله ﷺ ويعود من قابل فيقيم ثلاثاً، فلما أجمعوا على ذلك أعادوا سهيلاً وصاحبيه ليقرروا هذا، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «**أراد القوم الصلح**»، وكلم سهيل رسول

الله ﷺ وأطال الكلام وارتفعت الأصوات، وكان عباد بن بشر، وسلمة بن أسلم بن حريش مقنعين بالحديد واقفين على رأس رسول الله ﷺ، فلما رفع سهيل صوته قالا: أخفض من صوتك عند رسول الله. فلما لم يبق إلا أن يكتب الصلح، قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ألسنا المسلمين؟ قال عليه الصلاة والسلام: «**بلى**»، قال: فعلى ما نعطي الدنية في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أنا عبدالله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني**»، فذَهَبَ عمر إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال يا أبا بكر ألسنا المسلمين؟ قال: بلى، قال: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا؟ قال: ألْزِمْ غَرْزَهُ فإني أشهد أنه رسول الله وأن الحق ما أمر به ولن يخالف أمر الله ولن يضيعه الله، فقال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله قال: أوليس كان يحدثنا أنه سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قال: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، فلقي عمر من هذه الشروط أمراً عظيماً وقال كما في الصحيح: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، وجعل يرد على رسول الله الكلام، فقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله ﷺ يقول ما يقول؟ تعوَّذ بالله من الشيطان واتهِمْ رأيَك، قال عمر: فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان حياءً، فمَا أصابني شيء قط مثل ذلك اليوم، وعملت لذلك أعمالاً لتكفر عني ما مضى من التوقف في امتثال الأمر ابتداء. قال عمر: فما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً.

وقال سهيل: هاتِ، اكتب بيننا وبينك كتاباً، فدعا رسول الله ﷺ عليًا كما في حديث البراء عند البخاري في كتاب الصلح وكتاب الجزية، ورواه إسحاق بن راهويه من حديث المسور ومروان، وأحمد، والنسائي، والبيهقي والحاكم وصححه عن عبدالله بن مغفل، فقال له رسول الله ﷺ: «**اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم**» فقال سهيل: أما الرحمن الرحيم فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب، اكتب في قضينا ما

نعرف، فقال المسلمون: والله لا يكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: **«اكتب باسمك اللهم»** ثم قال: **«هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ»** فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، اكتب في قضيتنا ما نعرف، اكتب محمد بن عبدالله، فقال رسول الله ﷺ لعليّ: **«امْحُه»**، فقال علي: ما أنا بالذي أمحوه، وفي لفظ: **«أمحوك»**.

وذكر محمد بن عمر أن أسيد بن حضير وسعد بن عبادة أخذا بيد عليّ ومنعاه أن يكتب إلا محمد رسول الله، وإلا فالسيف بيننا وبينهم، فارتفعت الأصوات، فجعل رسول الله ﷺ يخفضهم، يومىء بيده إليهم: اسكتوا، فقال: «أرنيه» فأراه إياه فمحاه رسول الله ﷺ بيده وقال: اكتب محمد بن عبدالله. قال الزهري: وذلك لقوله ﷺ: **«لا يسألوني خطة يعظمون بها حرمات الله إلاَّ أعطيتهم إياها»**. فقال رسول الله ﷺ لسهل: **«على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف»**، فقال سهيل: لا والله لا تَحَدَّثُ العربُ أنا أُخذنا ضغطةً، ولكن لك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: على أنه لا يأتيك منا أحد بغير إذن وليه وإن كان على دينك إلاَّ رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله، أيكتب هذا؟ كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً، فقال رسول الله ﷺ: **«نعم، إنه من يذهب إليهم منا أبعده الله، ومن جاء منهم إلينا سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً»**.

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، وعبد بن حميد ومسلم عن أنس قال: لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً من أهل مكة في السلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ فدعا عليهم فأخذوا فعفا عنهم، وأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية من الفتح.

فبينا الناس على ذلك إذا أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقام إليه المسلمون يرحبون به ويهنئونه، فلما رآه أبوه سهيل قام إليه وضرب

وجهه وأخذ بتلبيبه ثم قال: يا محمد، هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده، فقال رسول الله ﷺ: **«إنا لم نقض الكتاب بعد»** قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً، قال: **«فأجزه لي»**، قال: ما أن بمجيزه لك، قال: **«بلى فافعل»**، قال: ما أنا بفاعل، فقال مكرز وحويطب: بلى، قد أجزناه لك، فأخذاه فأدخلاه فسطاطاً فأجازاه وكف عنه أبوه، فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين أُردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً، فرفع رسول الله ﷺ صوته وقال: **«يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا مع القوم صلحاً وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهداً، وإنا لا نغدر»**.

ومشى عمر بن الخطاب إلى جنب أبي جندل وقال: اصبر واحتسب، إنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب، وجعل عمر يدلي قائم السيف منه، قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، قال: فضن الرجل بأبيه.

ولما رأى المسلمون ما مضى من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه، دخل عليهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم أمر أبي جندل على ما بهم.

ونفذ الصلح وشهد عليه رجال من المسلمين: أبو بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبي وقاص ومحمود بن مسلمة وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم، ومكرز بن حفص وهو مشرك. ولما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ: **«قوموا فانحروا ثم احلقوا»**، فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاثاً، فاشتد ذلك عليه، فدخل على أم سلمة. فقال: **«هلك المسلمون، أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا»**، فقالت: يا رسول الله لا تلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح، يا نبي الله اخرج ولا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بُدْنَك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج رسول الله ﷺ فأخذ الحربة

ويمم بُدْنه وأهوى بالحربة إلى البُدْن رافعاً صوته الله أكبر، ونحر، فتواثب المسلمون إلى الهَدْي وازدحموا عليه ينحرونه، وأشرك رسول الله ﷺ بين أصحابه في الهدي، فنحر البدنة عن سبعة، وكان هدي رسول الله ﷺ سبعين بدنة.

وشرد جمل أبي جهل من الهدي وقد قُلّد وأشعر، وكان نجيباً مهريًا في رأسه بُرة من فضة، أهداه ليغيظ به المشركين، فمر من الحديبية حتى انتهى إلى دار أبي جهل بمكة، فخرج في أثره عمرو بن عنمة بن عدي الأنصاري فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه إليه، ودفعوا فيه عدة نياق، فقال رسول الله ﷺ: **«لولا أن سميناه في الهدي فعلنا، ونحره عن سبعة»**. وكان منزل رسول الله ﷺ في الحل بالحديبية، وإنما كان يصلي بالحرم، قلت: وهو يدل إلى ما ذهب إليه شيخنا عليه رحمة الله إلى أن الصلاة تضاعف في جميع حرم مكة.

ولما انتهى رسول الله ﷺ من نحر هديه وبعث عشرين بدنة تنحر عند المروة مع رجل من أَسْلَم، دعا خراش بن أمية بن الفضل الكعبي فحلق رأسه وجعل شعره يرمى على سمرة خضراء كانت إلى جنبه فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة يتحاصونه وجعل بعضهم يحلق لبعض، وحلق بعضهم وقصر البعض فقال رسول الله ﷺ: **«رحم الله المحلقين»**، قيل: يا رسول الله، والمقصرين؟ قال: **«رحم الله المحلقين»** ثلاثاً، ثم قال: **«والمقصرين»**. وروى ابن سعد عن مجمع بن يعقوب عن أبيه أن الله أرسل ريحاً عاصفة فاحتملت أشعارهم فألقتها في الحرم.

قالوا: وأقام ﷺ بالحديبية عشرين يوماً، وقيل: تسعة عشر يوماً، ذكر ذلك ابن سعد ومحمد بن عمر. قال ابن عائذ: وأقام رسول الله ﷺ في غزوته هذه شهراً ونصفاً.

قال الصالحي: وروى مسلم بن سلمة بن الأكوع، والبيهقي عن ابن عباس، وابن سعد والبيهقي والحاكم عن أبي عمرة الأنصاري، والطبراني والبيهقي عن أبي خنيش الغفاري أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الحديبية

نزل بمر الظهران ثم بعسفان فنفد زادهم، فشكوا إلى رسول الله ﷺ الجوع واستأذنوه في نحر بعض الظهر فأذن لهم، فلما علم عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله لا تفعل، فإن يكن في الناس بقية ظهر يكن أمثل، ولكن إن رأيت أن تدعو الناس ببقية أزوادهم فتجمعها ثم تدعو فيها بالبركة فإن الله سيبلغنا بدعوتك، فدعا رسول الله ﷺ الناس ببقايا أزوادهم، وبسط نطعاً، فجعل الناس يجيئون بالحفنة من الطعام وفوق ذلك، فكان أعلاهم من جاء بصاع من تمر، فاجتمع زاد القوم على النطع. قال سلمة: فتطاولت لأحزر كم هو، فحزرته كربضة عنز، ونحن أربع عشرة مائة، فقام رسول الله ﷺ فدعا بما شاء الله أن يدعو، فأكلوا حتى شبعوا ثم حشوا في أوعيتهم، وبقي مثله، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: **«أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، والله لا يلقى الله تعالى عبد مؤمن بهما إلا حُجبَ من النار»**.

ثم أذن رسول الله ﷺ بالرحيل، فلما ارتحلوا أمطروا ما شاء الله وهم صائفون، فنزل رسول الله ﷺ ونزلوا فشربوا من ماء السماء فلما قفل رسول الله ﷺ راجعاً، قال رجل من أصحابه: ما هذا بفتح، لقد صددنا عن البيت وصُدَّ هَدْيُنا، وردَّ رسول الله ﷺ رجلين من المؤمنين كانا خرجا إليه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: **«بئس الكلام، بل هو أعظم الفتح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضية، ويرغبون إليكم في الأمان، ولقد رأوا منكم ما كرهوا، وأظفركم الله تعالى عليهم وردكم سالمين مأجورين، فهو أعظم فتح. أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم؟ أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا؟»** فقال المسلمون: صدق الله ورسوله، فهو أعظم الفتوح، والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنت أعلم بالله وبالأمور منا.



نزول سورة الفتح

روى الإمام أحمد، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، وابن مردويه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ـ يعني الحديبية ـ فسألته عن شيء ثلاث مرات فلم يردَّ عليَّ، فقلت في نفسي: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، ألححت على رسول الله ﷺ ثلاثاً فلم يردَّ عليك، فحركت بعيري وتقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن.

فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، فرجعت وأنا أظن أنه نزل فيَّ شيء، فقال رسول الله ﷺ: **«لقد نزلت عليَّ الليلة سورة هي أحب إليَّ من الدنيا وما فيها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝﴾»**.

ذكر قدوم أبي بصير

قال الصالحي: روى عبدالرزاق، والإمام أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، وأبو داود، والنسائي عن المسور بن مخرمة، والبيهقي عن ابن شهاب الزهري: أنَّ رسول الله ﷺ لمّا قدم المدينة من الحديبية أتاه أبو بصير عُتبة بن أسيد بفتح الهمزة بن جارية الثقفي، حليف بني زهرة، مسلماً قد أفلت من قومه، فسار على قدميه سعياً، فكتب الأخنس بن شريق وأزهر بن عبد عوف الزهري إلى رسول الله ﷺ كتاباً، وبعثا به خُنيس ـ بضم الخاء وفتح النون ـ ابن جابر من بني عامر بن لؤي، استأجراه ببكر ابن لبون، وحملاه على بعير، فخرج العامري ومعه مولى له دليلاً يقال له كوثر، فقدما المدينة بعد أبي بصير بثلاث ليالٍ، فقرأ أبيّ بن كعب الكتاب على رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ أبا بصير أن يرجع معهما ودفعه إليهما، فقال: يا رسول تردّني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ فقال: «يا

أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجاً ومخرجاً» فقال: يا رسول الله تردني إلى المشركين؟ قال: «انطلق يا أبا بصير، فإن الله سيجعل لك فرجاً ومخرجاً» فخرج معهما، وجعل المسلمون يسرون إلى أبي بصير: يا أبا بصير، فإن الله جاعل لك فرجاً ومخرجاً، والرجل يكون خيراً من ألف رجل، فافعل وافعل، يأمرونه بقتل اللذين معه، وقال له عمر: أنت رجل ومعك السيف، فانتهيا به عند صلاة الظهر بذي الحليفة فصلى بذي الحليفة فصلى أبو بصير في مسجدها ركعتين صلاة المسافر، ومعه زاد له من تمر يحمله يأكل منه، ودعا العامري وصاحبه ليأكلا معه فقد وضعا سفرة فيها كِسَر فأكلوا جميعاً، وقد علق العامري سيفه في الجداد ومحدثاً. ولفظ عروة: فسَلَّ العامري سيفه ثم هزه فقال: لأضربنَّ بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل، فقال له أبو بصير: أصارم سيفك هذا؟ قال نعم، قال ناولنيه أنظر إليه إن شئت، فناوله إياه، فلما قبضه ضربه به حتى برد. قال ابن عقبة: بل تناول أبو بصير السيف بفيه وصاحبه نائم فقطع إساره ثم ضربه به حتى برد، وطلب الآخر فجَمَزَ مَذْعوراً مستخفياً. وفي لفظ: وخرج كوثر هارباً يعدو نحو المدينة وهو عاضٌّ على أسفل ثوبه قد بدا بعض عورته، والحصى يطير من تحت قدميه من شدة العدو، وأبو بصير في أثره، فأعجزه وأتى رسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه بعد العصر، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذعراً» فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال: «ويحك ما لك؟» قال: قتل والله صاحبكم صاحبيَ وأفلتُّ منه ولم أكد، وإني لمقتول، واستغاث برسول الله ﷺ فأمنه، وأقبل أبو بصير فأناخ بعير العامري ودخل متوشحاً السيف، فقال: يا رسول الله وفت ذمتك وأدّى الله عنك، وقد أسلمتني بيد العدو وقد امتنعت بديني من أن أفتن، فقال رسول الله ﷺ: «ويل أمه مسعر حرب» وفي لفظ: «محش حرب لو كان معه رجال» قال عروة ومحمد بن عمر: وقدّم سَلَبَ العامري لرسول الله ﷺ ليخمسه، فقال: «إني إذا خمسته رأوا أني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه، لكن شأنك بسلب صاحبك واذهب حيث شئت». فخرج أبو

بصير ومعه خمسة قدموا معه مسلمين من مكة حتى قدموا سيف البحر، ولما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير للعامري اشتدَّ عليه وقال: ما صالحنا محمداً على هذا، فقالت قريش قد برىء محمد منه فقد أمكن صاحبكم منه فقتله في الطريق فما على محمد في هذا؟ فأسند سهيل ظهره في الكعبة وقال: والله لا أؤخر ظهري حتى يودى هذا الرجل، قال أبو سفيان بن حرب: إن هذا لهو السفه، والله لا يودى، ثلاثاً، وأنى قريش تديه وقد بعثته بنو زهرة؟ فقال الأخنس بن شريق: والله لا نديه، ما قتلناه ولا أمرنا بقتله، قتله رجل مخالف، فأرسِلوا إلى محمد يديه، فقال أبو سفيان بن حرب: لا، ما على محمد دية ولا غرم، قد برىء محمد، ما كان على محمد أكثر مما صنع، فلم تخرج له دية. وأقام أبو بصير وأصحابه بسيف البحر، بين العيص وذي المروة من أرض جهينة على طريق عيرات قريش. ولما خرج أبو بصير لم يكن عنده زاد إلا كف تمر فأكل منه ثلاثة أيام ووجد حيتاناً قد ألقاها البحر بالساحل فأكل منها، وبلغ المسلمين الذين حبسوا بمكة خبر أبي بصير، فتسللوا إليه.

وكان عمر بن الخطاب هو الذي كتب إليهم: يقول رسول الله ﷺ لأبي بصير: **«ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال»** وأخبرهم أنه بالساحل وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو الذي رده رسول الله ﷺ إلى المشركين بالحديبية، خرج هو وسبعون راكباً مما أسلموا فلحقوا بأبي بصير، وكرهوا أن يقدموا على رسول الله ﷺ في هدنة قريش فنزلوا مع أبي بصير، ولما قدم أبو جندل على أبي بصير سلمه الأمر فكان يصلي بهم لأنه من قريش، واجتمع إلى أبي جندل جيش سمعوا به، ناس من غفار وأسلم وجهينة حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل كما هو عند البيهقي عن ابن شهاب، فكانوا لا تمر بهم عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا من فيها، وضيقوا على قريش.

وقال أبو جندل تلك الأيام:

أبلغ قريشاً عن أبي جندل ... أنا بذي المروة بالساحل
في معشر تخفق راياتهم ... بالبيض فيها والقنا الذابل

يأبون أن تبقى لهم رفقة ... من بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجاً ... والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه ... ويقتل المرء ولم يأتل

فلما اشتد الأمر على قريش بسبب جماعة أبي بصير وأبي جندل أرسلت قريش إلى رسول الله ﷺ يناشدونه بالرحم أن يبعث إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهما، وقالوا: من خرج منا إليك فأمسكه، إن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح إقراره، فكتب ﷺ إلى أبي بصير وأبي جندل أن يقدما عليه وأن يأمرا من معهما ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم فلا يتعرضوا لقريش وعيراتها.

فقدم كتاب رسول الله على أبي بصير وهو يجود بنفسه فجعل يقرأه ومات وهو في يديه، فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً.

ولقد ذكر الشيخ أحمد البدوي المجلسي ثم الموريتاني غزوة الحديبية في غزواته فقال:

ثم الحديبية ساق البدنا ... معتمراً وما بحرب اعتنى
ومن سوى المخلفين استنفرا ... عرمرماً وصُدَّ عن أمّ القُرى
وما انثنى بالجيش حتّى اقْعَنْسَسَتْ ... عن مكة ناقته إذ حبست
فاستنزل الناس ولا ماء لهم ... فاستنبطُوا بالسهم ما أعلهم
وعلّهم أيضاً بهذه الغزوة ... ما كان من صبابة في ركوة
وجمعوا له بقايا الزاد ... فخولوا منها سوى المعتاد
وكم قليل قبل ذاك كثّرا ... وكم قليب بالمعين فُجّرا
وبايعوه بيعة الرضوان ... إذْ قيل قد عَدَوْا على عثمان
وعَقروا جمله الثعلب إذْ ... أرسله تحت الخزاعيّ المغذْ
وكان مما بعثوه يسترد ... نبينا مكرز عروة الجرد
والحارثي المتألهُ الذي ... هو لهم برد أحمد بذي
ولم تزل بينهم المراجعة ... حتى أتى سهيلهم فاسترجعه

لـولا نـبـيّ الـرحـمـة الـمـوفـق لـلـرُّشـد فـي آرائـه لـمُـزِّقُـوا
أسـلـم بـعـد عـوده بـالـعُـظـمـا أكـثـر مـمـن كـان قـبـلُ أسـلـمـا
وفـسـروا بـذلـك الـفـتـح الـمـبـين وفـيـه إبـقـاء عـلـى الـمـسـتـضـعـفـين
وبـعـثـوا جـمـل عـمـرو بْـن هـشـام هـديـاً وإتـكـاءً إلـى الـبـيـت الـحـرام
ونـحـروا وحـلـقـوا وحـمـلـت شـعـورهـم لـلـبـيـت ريـح قـد غـلـت
وأغـلـظـوا فـي الـصـلـح حـتـى أبـرمـا ومـنـه ردُّ مـن أتـاه مـسـلـمـاً
وهـم عـلـيـهـم بـعـد ردهـم وبـال إذ أخـذوا الـطـرْق عـلـى صُـهْـب الـسِّـبـال
وانـتـدبـوا لـقـولـه فـي الـنـدب سـيـدهـم هـذا مُـجِـشٌ حَـرْبِ
واسـتـعـطـفـوا خـيـر الـورى بـالـرحـم فـي صـرفـهـم إلـيـه عـن أرضِـهـم
وسـورة الـفـتـح لـدى الـقـفـول أنـزلـهـا الله عـلـى الـرسـول اهـ



غزوة خيبر

نقل ابن القيم عن موسى بن عقبة قال: ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية، مكث بها عشرين ليلة أو قريباً منها ثم خرج غازياً إلى خيبر وكان الله عز وجل وعده بها وهو بالحديبية.

وقال ابن إسحاق: حدثني الزهري عن عروة عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة أنهما حدثاه جميعاً قالا: انصرف رسول الله ﷺ عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة فأعطاه الله فيها خيبر ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ يعني خيبر، فقدم رسول الله ﷺ المدينة في ذي الحجة فأقام بها إلى أن سار إلى خيبر في المحرم فنزل ﷺ بالرجيع، وهو واد بين خيبر وغطفان، فتخوف أن تمدهم غطفان، قال: فبات بالرجيع حتى أصبح فغدا إليهم، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة. وقال سلمة بن الأكوع: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى

خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع ألا تسمعنا مَن هنياتك، وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول:

لا هم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداءً لك ما أبقينا وثبت الأقدام إن لاقينا
وأنزلَنْ سكينةً علينا إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا اهـ

فقال رسول الله ﷺ: «**من هذا السائق؟**» قالوا: عامر، فقال رحمه الله: فقال رجل من القوم: وجبت يا رسول الله لعامر، لولا أمتعتنا به؟ قال: فأتينا خيبر، فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة، ثم إن الله تعالى فتح علينا.

ولما أمسوا أوقدوا نيراناً كثيرة، فقال رسول الله ﷺ: «**ما هذه النيران؟ على أي شيء توقدون؟**» قالوا: على لحم، قال: «**على أي لحم؟**» قالوا: على لحم حمر إنسية، فقال رسول الله ﷺ: «**أهرقوها واكسروها**»، فقال رجل من القوم: أو نهرقُها ونغسلها؟ فقال: «**أوْ ذاك**». فلما تصافّ القوم خرج مرحب يخطر بسيفه وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلتهب

فنزل إليه عامر وهو يقول:

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر، فذهب عامر يسفل له وكان سيف عامر فيه قصر، فرجع عليه ذباب سيفه فأصاب عين ركبته فمات منه. فقال سلمة للنبيّ: زعموا أن عامراً أحبط علمه، فقال: «**من قال ذلك؟**» فقلت: نفر من أصحابك، فقال: «**كذب أولئك، بل له الأجر مرتين**»، وجمع بين أصبعيه، «**إنه لجاهد مجاهد، قل عربي مشى بها مثله**».

أخرجه مسلم من حديث إياس بن مسلمة بن الأكوع عن أبيه.

ولما قدم رسول الله ﷺ خيبر صلى بها الصبح، وركب المسلمون فخرج أهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم وهم لا يشعرون، فلما رأوا الجيش قالوا: محمد والخميس، ثم رجعوا هاربين، فقال رسول الله ﷺ: **«الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»** أخرجه البخاري من حديث أنس.

ولما دنا رسول الله ﷺ وأشرف على خيبر قال: **«قفوا»**، فوقف الجيش، فقال: **«اللهم ربَّ السموات السبع وما أظْلَلْنَ، وربَّ الأرضين السبع وما أقْلَلْنَ، فإنا نسألك خَيْرَ هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها. اقدموا بسم الله»**. قال ابن القيم في زاد المعاد: ولما كانت ليلة الدخول قال: **«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه»** فبات الناس يدوكون أيُّهم يُعطاها، فلما أصبح الناس على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها. فقال: **«أين عليّ بن أبي طالب؟»** فقالوا: يا رسول الله هو يشتكي عينيه، قال: **«فأرسلوا إليه»**، فأوتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاهُ الراية، فقال: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: **«انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم»**، أخرجه البخاري، فخرج مرحب وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلتهب

فبرز إليه عليّ وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظرة
أو فيهم بالصاع كيل السندره

فضرب مرحباً ففلق رأسه وكان الفتح، ولما دنا عليٌّ من حصونهم اطَّلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ فقال: أنا عليّ بن أبي طالب فقال اليهودي: علوتم وما أُنزِلَ على موسى، هكذا في صحيح مسلم: أن عليًا هو الذي قتل مرحباً.

وقال موسى بن عقبة عن الزهري وأبي الأسود عن عروة، ويونس بن بكير عن ابن إسحاق: حدثني عبدالله بن سهل حدثني حارثة عن جابر بن عبدالله أن محمد بن مسلمة هو الذي قتله. قال جابر في حديثه: خرج مرحب اليهودي من حصن خيبر قد جمع سلاحه وهو يرتجز وهو يقول: من يبارز؟ فقال رسول الله ﷺ: «من لهذا؟» فقال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور الثائر، قتلوا أخي بالأمس، يعني محمود بن مسلمة وكان قتل غيلة بخيبر. فقال: «قم إليه، اللهم أعنه عليه»، فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة، فجعل كل واحد منهما يلوذ بها من صاحبه، كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه ما دونه حتى بدا كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن، ثم حمل على محمد فضربه فاتقاه بالدرقة، فوقع سيفه فيها فعضت به وضربه محمد بن مسلمة فقتله، وكذلك قال سلمة بن سلامة، ومُجَمِّع بن حارثة: إن محمد بن مسلمة قتل مرحباً.

وقال الواقدي: وقيل: إن محمد بن مسلمة ضرب ساقي مرحب فقطعهما فقال مرحب: أجهز عليَّ يا محمد، فقال محمد: ذق الموت كما ذاقه أخي محمود وجاوزه، فمر به عليٌّ فضرب عنقه وأخذ سلبه، فاختصما إلى رسول الله ﷺ في سلبه، فقال محمد بن مسلمة: ما قطعت رجليه وتركته إلا ليذوق الموت، وكنت قادراً على أن أجهز عليه، فقال عليٌّ: صدق، فضربت عنقه بعد أن قطع رجليه، فأعطى رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته وكان سيفه عند آل محمد بن مسلمة فيه كتاب لا يدري ما فيه حتى قرأه يهودي فإذا هو: هذا سيف مرحب من يذقه يعطب. ثم خرج ياسر أخو مرحب فبرز إليه الزبير بن العوام فقالت صفية: يا رسول الله يقتل ابني، قال: «بل ابنك يقتله إن شاء الله» فقتله الزبير، قال

موسى بن عقبة: ثم دخل اليهود حصناً لهم منيعاً يقال له القموص، فحاصرهم رسول الله ﷺ قريباً من عشرين يوماً، وكانت أرضاً وخمة شديدة الحر، فجهد المسلمون جهداً شديداً فذبحوا الحمر فنهاهم رسول الله ﷺ عن أكلها، وجاء عبد أسود حبشي من أهل خيبر كان في غنم لسيده، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم: ما تريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الذي يزعم أنه نبي؛ فوقع في نفسه ذكر النبي ﷺ فأقبل بغنمه إلى رسول الله ﷺ فقال: ماذا تقول؟ وما تدعو إليه؟ قال: **«أدعو إلى الإسلام وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن لا تعبد إلا الله»**، فقال العبد: فما لي إن شهدت وآمنت بالله عز وجل؟ قال: لك الجنة إن مت على ذلك، فأسلَمَ، ثم قال: يا نبي الله، إن هذه الغنم عندي أمانة، فقال له رسول الله ﷺ: **«أخرجها من عندك وارمها بالحصباء، فإن الله سيؤدي عنك أمانتك»** ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها، فعلم اليهودي أن غلامه قد أسلم وقد قاتل الأسود حتى قتل.

قال الواقدي: ثم تحولت اليهود إلى قلعة الزبير، حصن منيع في رأس قلعة، فأقام عليه رسول الله ﷺ ثلاثة أيام، فجاء رجل من اليهود يقال له عزال فقال: يا أبا القاسم، إنك لو أقمت شهراً ما بالوا، إن لهم شرباً وعيوناً تحت الأرض يخرجون إليها بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتعون فيها، فإن قطعت شربهم عليهم أصحروا لك، فقطع رسول الله ﷺ ماءهم عليهم، ولما قطع شربهم خرجوا وقاتلوا أشد قتال فقتلوا من المسلمين نفراً وأصيب نحو العشرة من اليهود وفتح الحصن. ثم تحول رسول الله ﷺ إلى أهل الكتيبة والوضيح والسُّلالم حصن ابن الحقيق، فتحصن أهله أشد التحصن وجاءهم كل فَلٍّ كان انهزم من النطاة والشق، فإن خيبر كانت جانبين: الأول: الشق والنطاة، وهو الذي افتتحه أولاً، والثاني: الكُتيبة والوطيح والسُّلالم، فجعلوا لا يخرجون من حصونهم حتى هم عليه الصلاة والسلام أن ينصب عليهم المنجنيق، فلما أيقنوا بالهلاك، بعد حصار أربعة عشر يوماً، سألوا رسول الله ﷺ واستأذن ابن أبي الحقيق في النزول ليكلم رسول الله ﷺ في ذلك، فأذن له فنزل فصالحه على حقن دماء مَنْ في

الحصون من المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر بذراريهم، ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض وعلى الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة، إلا ثوباً على ظهر إنسان، فقال رسول الله ﷺ: **«وبرئت منكم ذمة الله ورسوله إن كتمتموني شيئاً»** فصالحوه على ذلك. فغيبوا مَسْكاً فيه مال وحُلِيٌّ لحيي بن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت بنو النضير، فسأل رسول الله ﷺ عمّ حيي بن أخطب: **«ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير؟»** قال: أذهبته النفقات والحروب، فقال: **«العهد قريب، والمال أكثر من ذلك»**، فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب، وقد كان قبل ذلك دخل في خربة فقال: قد رأيت حيياً يطوف في خربة ههنا. فذهبوا فطافوا بالخربة فوجدوا المسك بها، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق وسبى نساءهم وذراريهم، وكانت صفية بنت حيي تحت أحدهما، وكان ذلك بسبب نكثهم للعهد الذي عاهدوه أن لا يكتموه شيئاً وأنهم إن فعلوا ذلك برئت منهم ذمة الله ورسوله.

فلما قسم أموالهم وأراد أن يجليهم منها قالوا: يا محمد، دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها، فنحن أعلم بها منكم، فأقرهم على العمل فيها على أن لهم الشطر من كل زرع وكل ثمر، ما بدا لرسول الله أن يقرهم. وكان عبدالله بن رواحة يخرصه عليهم.

ولم يقتل رسول الله ﷺ منهم إلا ابني أبي الحقيق لنكثهم الذي نكثوا فدفع رسول الله ﷺ كنانة بن أبي الحقيق لمحمد بن مسلمة ليقتله فقتله، ويقال إنه هو الذي قتل محمود بن مسلمة، وسبى رسول الله ﷺ زوجة كنانة بن أبي الحقيق صفية بنت حيي بن أخطب، وكانت عروساً حديثة عهد بالدخول، وعرض عليها عليه الصلاة والسلام الإسلام فأسلمت، فاصطفاها لنفسه وأعتقها وجعل عتقها صداقها، وبنى بها عليه الصلاة والسلام في الطريق وأولم عليها، ورأى بوجهها خضرة فقال: «ما هذا؟» قالت: يا رسول الله، رأيت قبل قدومك علينا كأن القمر زال من مكانه، وسقط في حجري، ولا والله ما أذكر من شأنك شيئاً، فقصصتها على زوجي فلطم وجهي، وقال: تمنين ملك الحجاز محمداً؟

وتساءل بعض الصحابة: هل جعلها سُرِّية أو زوجة؟ فقالوا: انظروا، إن حجبها فهي إحدى نسائه، وإلاً فهي مما ملكت يمينه. فلما ركب جعل ثوبه الذي ارتدى به على ظهرها ووجهها ثم شد طرفه تحته، فتأخروا عنه في المسير، وعلموا أنها إحدى نسائه.

وفي البخاري من حديث أنس أن صفية صارت لدحية الكلبي ثم صارت لرسول الله ﷺ. وعند أبي داود من حديث أنس أن النبي ﷺ اشتراها من دحية بسبعة أرؤس، وذكر ابن إسحاق أن التي جَمَّلَتْ صفية لرسول الله ﷺ هي أم سليم بنت ملحان، وأنه، بأبي هو وأمي، بنى بها في موضع يقال له سَدّ الصهباء.

وذكر ابن القيم أن رسول الله ﷺ لما بنى بصفية بات أبو أيوب ليلته قائماً قريباً من قبته، آخذاً بقائم سيفه حتى أصبح، فلما رأى رسول الله ﷺ كبر أبو أيوب حين رآه خرج، فسأله عليه الصلاة والسلام: «ما لك يا أبا أيوب؟» فقال: أرقت ليلتي هذه يا رسول الله لمّا دخلت بهذه المرأة، ذكرتُ أنك قتلت أباها وأخاها وزوجها وعامة عشيرتها وكانت حديثة عهد بكفر، فخفت أن تغتالك، فضحك رسول الله ﷺ ودعا له بخير.

وقسم رسول الله ﷺ خيبر على ثلاثة آلاف وستمائة سهم، جعل نصف ذلك ألفاً وثمانمائة لرسول الله ﷺ والمسلمين، وجعل النصف الآخر لنوائبه عليه الصلاة والسلام وما ينزل به من أمور المسلمين.

والتحقيق إن شاء الله أن خيبر فتحت عنوة، وأن الإمام مخير في أرض العنوة بين قسمها ووقفها، وقسم بعضها ووقف البعض، وقد فعل رسول الله ﷺ الأنواع الثلاثة: فقد قسم قريظة والنضير، ولم يقسم مكة، وقسم شطر خيبر وترك شطرها. قال ابن القيم: وقد ذكرنا أن مكة فتحت عنوة بما لا مدفع فيه، وإنما قسمت خيبر على ألف وثمانمائة سهم لأنها طعمة خاصة من الله لأهل الحديبية من شهد خيبر منهم ومن غاب، وكانوا ألفاً وأربعمائة وكانت معهم مائتا فرس وللفرس سهمان فقسمت على ألف وثمانمائة سهم ولم يغب عن خيبر من أهل الحديبية إلا جابر بن عبدالله

رضي الله عنهما فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضرها.

وقال موسى بن عقبة، فيما عزاه له ابن القيم، قال: كانت بنو فزارة ممن قدم على خيبر ليعينوهم، فراسلهم رسول الله ﷺ أن لا يعينوهم، وأن يخرجوا عنهم، ولهم من خيبر كذا وكذا، فأبوا ذلك، فلما فتح الله خيبر على رسول الله ﷺ جاءه من كان ثم من فزارة فقالوا: وعدك الذي وعدتنا، فقال: **«الكم ذو الرقيبة، جبلٌ من جبال خيبر»**، فقالوا: إذاً نقاتلك، فقال: **«موعدكم كذا»**، فلما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ خرجوا هاربين. ولقد أهدته زينب بنت الحارث اليهودية زوجة سلاَّم بن مشكم، شاة مشوية قد سمتها، وسألت: أي اللحم أحب إليه؟ فقالوا: الذراع فأكثرت من السم في الذراع، فلما انتهش عليه الصلاة والسلام من الذراع أخبره الذراع بأنه مسموم، فلفظ الأكلة، ثم قال: **«اجمعوا لي مَنْ ههنا من اليهود»، فلما اجتمعوا قال: «هل أنتم صادقِيَّ إن سألتكم عنه؟»** قالوا: نعم! قال: **«أجعلتم سُمًا في هذه الشاة؟»** قالوا: نعم، قال: **«ما حملكم على ذلك؟»** قالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت نبيًا لن يضرك.

وجيء بالمرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: أردت قتلك فقال: **«ما كان الله ليسلطك عليّ»**. رواه البخاري ومسلم من حديث أنس قالوا: ألا نقتلها؟ قال: **«لا»**، ولم يتعرض لها ولم يعاقبها. واحتجم على الكاهل وأمر من أكل معه أن يحتجم، ومات بعضهم. واختلف: هل قتل المرأة؟ فقال الزهري: أسلمت فتركها، ذكره عبدالرزاق عن معمر عن الزهري.

وقال أبو داود: حدثنا وهب بن بقية قال حدثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهودية بخيبر شاة مَصْليَّة... وذكر القصة. وقال: فمات بشر بن البراء بن معرور فأرسل إلى اليهودية فقتلها.

قال في زاد المعاد: ورواه حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة متصلاً أنه ﷺ قتلها لما مات بشر بن البراء، قال: وقد وفق بين الروايتين بأنه لم يقتلها أولاً، فلما مات بشر قتلها.

وأكثر الروايات أنه ﷺ أكل من شاة اليهودية التي سمتها له وبقي بعد ذلك ثلاث سنوات، حتى قال في مرضه الذي توفي به: «**ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر، فهذا أوان انقطع الأبهر مني**» فتوفي رسول الله ﷺ شهيداً.

قدوم جعفر والأشعريين

ولقد قدم جعفر بن أبي طالب على رسول الله ﷺ هو وأصحابه بخيبر وقدم معهم الأشعريون: عبدالله بن قيس أبو موسى وأصحابه ذلك أن الأشعريين لما بلغهم مخرج النبي ﷺ وهم باليمن خرجوا مهاجرين إليه: أبو موسى وأخواه أبو رهم وأبو بردة في جماعة من ذويهم تبلغ اثنين وخمسين رجلاً أو ثلاثة وخمسين، فركبوا سفينة من اليمن فألقتهم السفينة إلى الحبشة فوافقوا جعفراً وأصحابه عند النجاشي، فقال لهم جعفر بن أبي طالب إن رسول الله ﷺ بعثنا وأمرنا بالإقامة هنا فأقيموا معنا ففعلوا حتى قدموا جميعاً على رسول الله ﷺ فوافوه حين فتح خيبر فأسهم لهم ولم يقسم لأحد غاب عن فتح خيبر إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفينة جعفر وأصحابه.

ودخل عمر بن الخطاب على حفصة زوج النبي ﷺ فوجد عندها أسماء بنت عميس زائرة، فقال: من هذه عندك؟ قالت: هذه أسماء بنت عميس، فقال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ فقالت أسماء: نعم، قال عمر: سبقناكم بالهجرة نحن أحق برسول الله ﷺ منكم، قالت أسماء: كلا والله يا عمر، لقد كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا في أرض البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في الله وفي رسوله، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نُخاف ونؤذى، فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا رسول الله، عمر قال كذا

وكذا، فسألها: **«ما قلتِ له؟»** قالت: قلت له كذا وكذا، فقال: **«ليس بأحق بي منكم، له ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أصحاب السفينة هجرتان»**.
فكان أبو موسى وأصحاب السفينة يأتون أسماء يسألونها عن هذا الحديث.
قال في التعليق على زاد المعاد: أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي بردة عن أبيه أبي موسى. وروى البيهقي من حديث جابر أن رسول الله ﷺ لما قدم جعفر عليه تلقاه والتزمه وقبَّل بين عينيه وقال: **«والله ما أدري بأيهما أنا أسر: بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»**.

خبر حجاج بن علاط السُلمي

ولما سمعت قريش بخروج رسول الله ﷺ إلى خيبر كان بينهم تراهن عظيم، فمنهم من يقول: يظهر محمد وأصحابه، ومنهم من يقول: يظهر الحليفان ويهود خيبر، وكان حجاج بن علاط قد أسلم وشهد فتح خيبر، وكانت أم شيبة أخت بني عبدالدار بن قصي تحته، وكان حجاج كثير المال، فقال لرسول الله ﷺ: إن لي ذهباً كثيراً عند امرأتي وإن تعلم هي وأهلها بإسلامي ضاع مالي، فائذن لي في السير فأسبق الخبر لأنقذ مالي، واستأذن في القول فأذن له عليه الصلاة والسلام، فلما قدم مكة قال لامرأته: اكتمي عليَّ واجمعي لي مالي، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه فإنهم قد استبيحوا وأصيبَ أموالهم، وإن محمداً قد أسر وتفرق عنه أصحابه، وقد أقسم اليهود ليبعثنَّ به إلى مكة ليقتله أهل مكة بقتلاهم، وفشا الخبر بمكة واشتد الأمر على المسلمين بها، وأظهر المشركون الفرح والسرور، وعندما بلغ الخبر العباس رضي الله عنه عقر ولم يقدر على القيام، فدعا بولده قثم، وكان يشبه رسول الله ﷺ وجعل يرتجز ويرفع صوته لئلا يشمت به أعداء الله:

حبِّي قثم شبيه ذي الأنف الأشم   نبي ذي النعم برغم من زعم

وحشد إلى داره ناس كثير من المسلمين والمشركين منهم الشامت والمعزّي ومنهم الحزين، ولما سمع المسلمون رجز العباس طابت نفوسهم وظن المشركون أنه قد أتاه ما لم يأتهم.

ثم إن العباس أرسل غلاماً إلى حجاج وقال له: اخْلُ به وقل له: ويلك، ما جئت به وما تقول؟ فلما كلمه الغلام قال له: اقرأ على العباس السلام وقل له فليخلُ بي في بعض بيوته حتى آتيه فإن الخبر على ما يسره، فلما بلغ العبد باب الدار قال: أبشر يا أبا الفضل، فوثب العباس فرحاً كأنه لم يصبه بلاءٌ قط، ولما أخبره بما قال حجاج أعتقه، ولما جاء الحجاج أبا الفضل استكتمه الخبر ثلاثاً وقال: جئت وقد فتح الله خيبر لرسول الله ﷺ وغنمه أموالهم فجرت فيها سهام الله، ولقد اصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي لنفسه وأعرس بها، ولكني جئت لمالي أردت أن أجمعه وأذهب به وإني استأذنت رسول الله ﷺ في القول فأذن لي، فأخف عليّ ثلاثاً ثم اذكر ما شئت بعد ذلك، فجمعت له امرأته ماله وشمر راجعاً به، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة حجاج وقال ما فعل زوجك؟ فقالت: ذهب، وقالت: لا يحزنك الله يا أبا الفضل، لقد شق علينا الذي بلغك، فقال: أجل لا يحزنني الله، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحب، فتح الله على رسوله خيبر وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه، وإن كان لك حاجة في زوجك فالحقي به، قالت: أظنك والله صادقاً، قالت: من أخبرك؟ قال: الذي أخبرك، ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش، فلما رأوه قالوا والله هذا التجلد يا أبا الفضل ولا يصيبك إلا خير، قال: أجل لم يصبني إلا خير والحمد لله أخبرني الحجاج بكذا وكذا وقد سألني أن أكتم عليه ثلاثاً لحاجة، فزال ما كان من كآبة بالمسلمين وأشرقت وجوههم بالخير.

ثم انصرف ﷺ من خيبر إلى وادي القرى، وكان بها جماعة من اليهود وقد انضاف إليهم جماعة من العرب، فلما نزلوا استقبلتهم يهود بالرمي، وهم على غير تعبئة، فقتل مُدْعم عبدٌ لرسول الله ﷺ جاءه سهم غاربٌ فقتله بينما كان يحط رحل رسول الله ﷺ فقال الناس: هنيئاً له

الجنة، فقال النبي ﷺ: «**كلاً، والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم يصبها المقسم لتشتعل عليه ناراً**»، فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى النبي ﷺ بشراك أو شراكين، فقال النبي ﷺ: «**شراك من نار**» أو: «**شراكان من نار**» رواه أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة.
وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفَّهم ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة، ودفع راية إلى الحباب بن المنذر، ودفع راية إلى سهل بن حنيف، ودفع راية إلى عبّاد بنُ بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله، فبرز رجل منهم فبرز إليه الزبير ابن العوام فقتله، ثم برز آخر فقتله أيضاً، ثم برز ثالث فبرز إليه علي بن أبي طالب فقتله، حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً، فكان كلما قتل رجل دعا من بقي إلى الإسلام، فقاتلهم حتى أمسوا يومهم ذلك وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم، وفتحها عنوة وغنَّمه الله أموالهم فأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً. وأقام عليه الصلاة والسلام بوادي القرى أربعة أيام وقسم ما أصاب بوادي القرى على أصحابه، وترك الأرض والنخل بأيدي اليهود وعاملهم عليها.

ولما بلغ يهود تيماء ما فعل ﷺ بأهل خيبر ووادي القرى وفدك، صالحوا على الجزية وأقاموا بأيديهم أموالهم. وفي طريق رجوعه إلى المدينة سار ليلة حتى أدركه الكرى فعرس وقال لبلال: «**اكلأ لنا الليل**»، فغلبت بلالاً عينه وهو مستند إلى رحله، فلم يستيقظ النبي ﷺ ولا بلال ولا أحد من القوم حتى ضربتهم الشمس، وكان نبي الله أولهم استيقاظاً ففزع عليه الصلاة والسلام وقال: «**ما هذا يا بلال؟**» فقال: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، بأبي أنت وأمي، يا رسول الله، فاقتادوا رواحلهم حتى خرجوا من الوادي، ثم قال: «**هذا وادٍ فيه شيطان**»، فلما جاوزه أمرهم فنزلوا وتوضؤوا، ثم صلَّى سنة الفجر، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة وصلَّى بالناس ثم انصرف وقال: «**يا أيها الناس، إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردَّها إلينا في حين غير هذا، فإذا نام أحدكم عن الصلاة أو نسيها فليصلها كما كان يصليها في وقتها**».

وذكر ابن القيم في زاد المعاد أنه اختلف في تاريخ ومكان هذه القصة، فقيل: هي وقعت مرجعه من غزوة تبوك، وقيل: مرجعه من الحديبية، قلت: ولا مانع من التعدد، وبالله التوفيق.

هذا، وقد استشهد بخيبر: ربيعة بن أكثم بن سخبرة الأسدي مولى بني أمية، وثقيف بن عمرو ورفاعة بن مسروح حلفاء بني أمية، وعبدالله بن الهبيب بن أُهَيب من بني سعد بن ليث حليف بني أسد وابن أختهم. هؤلاء من المهاجرين، ومن الأنصار: بشر بن براء بن معرور، مات رضي الله عنه من أكلة الشاة المسمومة، وفُضيل بن النعمان السُلميّان، ومسعود بن سعد بن قيس بن خلدة الزرقي، ومحمود بن مسلمة الأشهلي، وأبو ضياح بن حارثة بن ثابت بن النعمان العمري، والحارث بن حاطب، وعروة بن مرة بن سراقة، وأوس بن الفائد، وأنيف بن حبيب، وثابت بن أثلة، وطلحة، قيل: هو ابن يحيى بن مليات بن حمزة، وعمارة بن عقبة، وعامر بن الأكوع، وسلمة بن عمرو بن الأكوع، ثم الأسود الراعي.

ونسب ابن إسحاق للزهري: استشهد بها مسعود بن ربيعة حليف لبني زهرة وأوس بن قتادة الأنصاري عن بني عمرو بن عوف.

قلت: وذكر الشيخ أحمد البدوي خيبر في مغازيه فقال:

ثم لخيبر ورشَّح النبي	حيدرةً وبالعُقَاب قد حُبِّي
وفاز بالفتح وكان ترَّسا	بباب حصن لا يزاح إذْ رَسا
وغِلَّ قاتل سليل مسلمةْ	لصنوه محمد وأسْلَمَهْ
وغال مَرْحبا وقدْ حجرا	من يابس الصخريه تمغفرا
وعامر بن الأكوع اسْتَنْشَدَه	خير الورى وقال إذ أنشده
والله لولا الله ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلَيْنا
وإذْ ترحَّم للإنشاد عليه	هلك من رجوع سيفه إليه
واستشعر الفاروق أن يستشهدا	وأخبر الهادي به بادٍ بَدا
وقتلت تسعون من يهودا	واستشهدت (يه) ولا مزيدا

ومـرَّ راجـعـاً إلـى وادي الـقـرى فـشـاطـرت يـهـوده خـيـر الـورى
وأهـلـكـوا غـلامـه ذا الـشـمـلـهْ أغـلَّـهـا فـهْـيَ عـلـيـه شُـغْـلَـةْ. اهـ

بعث عمرو بن أبي أمية الضمري ليفتك بأبي سفيان قبل إسلامه

قال الصالحي في سبل الهدى والرشاد: روى البيهقي عن عبدالواحد بن عوف وغيره قالوا: إن أبا سفيان قال لنفر من قريش: ألا أحد يغتر محمداً فإنه يمشي في الأسواق؟ فأتاه أعرابي فقال: قد وجدت أجمع الرجال قلباً وأشدهم بطشاً، فإن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله معي خنجر مثل خافية النسر وإني لأسبق القوم عَدْواً وإني هادٍ بالطريق خِرّيتٌ، قال أبو سفيان: أنت صاحبنا، وأعطاه بعيراً ونفقة وقال: اطوِ أمرك، فخرج ليلاً وصبح ظهر الحرة صبح سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى دل عليه فعقل راحلته ثم جاء رسول الله ﷺ وهو في مسجد بني عبدالأشهل، فلما رآه النبي ﷺ قال: **«إن هذا ليريد غدراً والله تعالى حائل بينه وبين ما يريد»** فذهب ليجني على رسول الله ﷺ فجذبه أسيد بن حُضير بداخلة إزاره فإذا بالخنجر، فسقط في يده وقال: دمي دمي، فأخذ أسيد بلبه قذعته، فقال رسول الله ﷺ: **«اصدقني، ما أنت؟»** قال: وأنا آمن؟ قال: **«نعم»**، فأخبره بأمره وما جعل له أبو سفيان، فخلى عنه رسول الله ﷺ فأسلم، ثم إنه استأذن رسول الله ﷺ فخرج ولم يسمع له بذكر.

وروى الإمام إسحاق بن راهويه عن عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ ويعث معي رجلاً من الأنصار، قال ابن هشام: هو سلمة بن أسلم بن حريش، وقيل هو جبَّار بن صخر، أرسلهما إلى أبي سفيان وقال: **«إن أصبتما فيه غرة فاقتلاه»**.

قال: وكان ذلك بعد مقتل خبيب بن عديّ وأصحابه، فخرجا حتى

قدما مكة فحبسا بعيريهما بشعب من شعاب يأجج شرق مكة ثم دخلاها ليلاً فقال جبار بن صخر ـ أو هو سلمة ـ لعمرو: لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين، فقال عمرو: إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم وإنهم إن رأوني عرفوني، فقال: كلا إن شاء الله، قال عمرو: فأبى أن يطيعني، فصلينا بعد أن طفنا بالبيت ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فبصر بهما معاوية بن أبي سفيان، فقال عمرو بن أمية: والله إنْ قدمها إلاَّ لشر، فأخبر قريشاً بمكانه فخافوه وطلبوه وحشدوا له وتجمعوا، فقال عمرو لصاحبه: النَّجاءَ، فخرجا يشتدان حتى أصعدا جبلاً، وخرجت قريش في طلبهما، لكنهما دخلا كهفاً في الجبل فباتا فيه وقد أخذا حجارة فرضماها دونهما، فلما أصبحا غدا رجل من قريش يقود فرساً فغشيهما وهما في الغار، قال عمرو: إن رآنا صاح بنا، قال: ومعي خنجر قد أعددته لأبي سفيان فأخرج إليه فأضربه على ثديه فصاح صيحة أسمع بها أهل مكة، ورجع عمرو فدخل مكانه، وجاء الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا: من فعل بك؟ فقال: عمرو بن أمية، وغلبه الموت ولم يدلل على مكانهما فاحتملوه، فلما جاء الليل قال عمرو لصاحبه: النجاءَ، فخرجا يريدان المدينة فمرا بحرس جثمان خبيب المصلوب، فلما حاذى الخشبة شدَّ عليها عمرو فاحتملها وخرجا شدًّا حتى وصلا جرفاً بمهبط يأجج، رمى بالخشبة في الجرف فغيبه الله تعالى عنهم فلم يقدروا عليه.

وفي رواية لابن أبي شيبة وأحمد عن عمرو: فخليت خبيباً فوقع على الأرض فانتبذت غير بعيد فالتفت فلم أرَ لخبيب أثراً وكأن الأرض ابتلعته، فما رئي لخبيب رمة حتى الساعة. ومضى حتى أتى ضجنان فدخل كهفاً به فبينما هو في الكهف إذ دخل عليه شيخ من بني الديل أعور في غنيمة له، فقال: من الرجل؟ فقلت: من بني بكر، فمن أنت؟ فقال: من بني بكر، فقلت: مرحباً، فاضجع ثم رفع عقيرته فقال:

ولست بمسلم ما دمت حيًّا ... ولا دان بدين المسلمينا

فقال عمرو في نفسه: ستعلم، فأمهله حتى إذا نام أخذ قوسه فجعل

سيتها في عينه الصحيحة وتحامل عليه حتى بلغت العظم ثم خرج يعدو حتى بلغ العرج ثم سلك رُكوبة حتى إذا هبط البقيع وجد رجلين من مشركي قريش بعثتهما قريش عيناً إلى المدينة يتحسسان، فقال: استأسرا فامتنعا فرمى أحدهما بسهم فقتله واستأسر الآخر فأوثقه رباطاً وقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر النبي ﷺ خبره وهو، بأبي وأمي هو، يضحك ثم دعا له بخير.

ثم إن الشيخ غالي بن المختار فال ذكر هذا البعث في بعوثه فقال:

فابن أمية الجريءَ عَمْرا	مع ابن صخر يقتلان صخرا
جرّاء أن جهّز أعرابيًا	بخنجر ليقتل النبيًا
وعرف النبيّ إذْ أبْصره	بأنه أتى يريد غدْرَهُ
وكان في مسجد عبدالأشهل	فجرّهُ أُسَيْدُ ذو النور العلى
فسقط الخنجر واستخبره	نَبيُّنَا وأمْرَهُ أخْبَرَهُ
ثمت خلاَّه فأسلم وما	أقربَ ما نال الهدى بعد العمى
فجاء مكة بليل وخرج	إذْ أبصروا به وفي كهف وَلَجْ
ثم غدا أحدهم ليختلي	لفرس له بذاك الْجَبَل
فقتلاهُ وبشيخ أعورا	مكر عمرو إذ رآه كفرا
وصادفا عيناً على البقيع	يلتمسان خبر الشفيع
فقدما بواحد أسيرا	وغادرا صاحبه عقيرا

تنبيه: لم أقف على من أرّخ لهذا البعث إلا ما ذكر من أنه بعد بعث الرجيع، وذكر المعلق على سبل الهدى والرشاد: الجزء السادس منه أن ابن إسحاق لم يذكر هذا البعث في بعوثه، غير أنه مذكور في طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ١٣٦ وفي عيون الأثر جـ ٢ ص ١١٢ وبالله تعالى التوفيق.



بعث أبي بكر الصديق إلى بني فزارة

قال الصالحي: وكان هذا البعث في شعبان سنة سبع من الهجرة الشريفة.
قال ابن كثير: قال الإمام أحمد: حدثنا بهز، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إياس بن سلمة، حدثني أبي قال: خرجنا مع أبي بكر بن أبي قحافة، وأمره رسول الله ﷺ علينا فغزونا بني فزارة، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرّسْنا فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة فقتلنا على الماء من مرّ قبلنا، قال سلمة: ثم نظرت، فإذا عنق فيه من الناس ذرية ونساء ينحو نحو الجبل فعدوت في أثرهم فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل، قال فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من أدَم ومعها ابنة لها من أحسن العرب. قال: فنفلني أبو بكر بنتها. قال: فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة فلقيني رسول الله ﷺ بالسوق فقال لي: «**يا سلمة هب لي المرأة**» قال: فقلت: يا رسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً، قال فسكت وتركني، حتى إذا كان من الغد لقيني بالسوق وقال: «**يا سلمة هب لي المرأة**»، فقلت له مثل ما قلت بالأمس، فسكت وتركني حتى إذا كان من الغد فلقيني بالسوق فقال: «**يا سلمة هب المرأة لله أبوك**» فقلت: يا رسول الله، أعجبتني وما كشفت لها ثوباً وهي لك يا رسول الله، قال: فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة وفي أيديهم أسرى من المسلمين ففداهم بتلك المرأة. اهـ بتصرف. قال ابن كثير: وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمار به.

قلت: وأمّا الشيخ غالي فقد ذكر هذا البعث ببيّت واحد فقال:

ثـم أبـا بـكـر إلـى كـلاب   وقـيـل بـل فـزارة الـضّـلاب اهـ



بعث عمر بن الخطاب إلى تُرَبة من أرض هوازن

قال الصالحي: وكان هذا البعث في شعبان سنة سبع من الهجرة. قال ابن كثير: ثم أورد البيهقي من طريق الواقدي بأسانيده أن رسول الله ﷺ

بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثلاثين راكباً ومعه دليل من بني هلال، وكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار، فلما انتهوا إلى بلاد هوازن هربوا منهم، وكر عمر راجعاً إلى المدينة، فقيل له: هل لك في قتال خثعم؟ فقال: إن رسول الله ﷺ لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم.

قلت: وذكر العلامة غالي بن المختار فال هذا البعث فقال:

ثُمَّ إلى تُرَبَةَ الْجَرُّ عُمَرْ إلى هوازنَ فأَخْبَرُوا الخَبرْ
فهربوا عنه وعنهم عادا لم يلقَ مَغْنَماً ولا جِلَادَا... اهـ

بعث بشير بن سعد إلى بني مرة بفدك

قال الصالحي: وكان هذا البعث في شعبان سنة سبع من الهجرة. قال ابن القيم: أرسله في ثلاثين رجلاً فخرج إليهم فلقي رعاء الشاء فاستاق الشاء والنعم ورجع إلى المدينة فأدركه الطلب عند الليل فباتوا يرمونهم بالنبل حتى فني نبل بشير وأصحابه، فولّى منهم من ولّي وأصيب منهم من أصيب وقاتل بشير قتالاً شديداً، ورجع القوم بنعمهم وشائهم، وتحامل بشير حتى انتهى إلى فدك فأقام عند يهود حتى برأت جراحه فرجع إلى المدينة.

قلت: ولم يهمل غالي هذا البعث فذكره بقوله:

«ثُمَّ بشيراً بَعَثَهُ الأنصاري لِفَدَكٍ لِمُرَّةَ الضَّواري
فَشَنَّ غارَةً وسَاق الشاءا وساق من نَعَمِهِمْ مَا شاءا
فَلحِقُوا ونَهَكوهم قَتْلا وارْتُثَّ هُوَ من خليط القتلى... اهـ

بعث غالب بن عبدالله الليثي إلى الميفعة

قال الصالحي: وكان هذا البعث في رمضان سنة سبع من الهجرة.

روى ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة رحمه الله تعالى أن النبي ﷺ قال له مولاه يسار: يا نبي الله، إني قد علمت غرة من بني عبد بن ثعلبة فأرسل معي إليهم، فأرسل معه غالباً في مائة وثلاثين رجلاً، قال ابن سعد رحمه الله: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبدالله إلى بني عُوال وبني عبد بن ثعلبة وهم بالميفعة وهي وراء بطن نخل إلى النقرة قليلاً بناحية نجد، بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد، بعثه في مائة وثلاثين رجلاً ودليلهم يسار مولى رسول الله ﷺ، فهجموا عليهم جميعاً ووقعوا في وسط محالهم فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعماً وشاءً فحدروه إلى المدينة ولم يأسروا أحداً.

قلت: وقال العلامة غالي ذاكراً هذا البعث في بعوثه:

ثـمَّـتَ غـالـبـاً إلـى مَـيْـفَـعَـة	إلـى بـنـي عَـبْـدٍ بـنـي ثـعْـلَـبَـة
فـسـاق أنـعـامـاً وشـاءً وقَـتَـلْ	مـنـهـم رجـالاً وبـالأمـوال قـفَـلْ
وقـيـل إنَّ ابْـنَ نـهـيـك الـحـرقـي	قـتـلـه فـيـهـا أُسـامـة الـتـقـي
بـعـد الـتـشـهـد فـلامـه الـنـبـي	حتى تمنّى الكفرَ في الماضي الأبي
وقـيـل بـل أُسـامـةٌ هـو الـذي	كـان أمـيـراً وسـيـأتـي ذكـر ذي

بعث بشير بن سعد
إلى غطفان عند يُمن وجَبار

قال الصالحي: كان هذا البعث في شوال سنة سبع للهجرة. قال ابن سعد: بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان بالجِنَاب قد واعدهم عيينة بن حصن الفزاري ليكون معهم ليزحفوا إلى المدينة فدعا رسول الله ﷺ بشير بن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلاثمائة رجل وخرج معه حُسيل بن نويرة دليلاً، فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا يُمْن وجَبَار وهما نحو الجِنَاب، والجِنَاب معارض سلاح وخيبر ووادي القرى، فنزلوا سلاح ثم دنوا من

القوم فأصابوا نعماً كثيراً ونفر الرعاء فحذروا الجمع وتفرقوا ولحقوا بعليا بلادهم وخَرجَ بشير بنَ سعد في أصحابه حتى أتى محالهم فيجدها ليس فيها أحد، فوجدوا عيناً لعيينة فقتلوه ثم لقوا جمع عيينة وهو لا يشعر بهم فناوشوهم، ثم انكشف جمع عيينة وتبعهم أصحاب رسول الله ﷺ فأخذوا منهم رجلين فأسروهما ورجع الصحابة بالنعم والرجلين إلى رسول الله ﷺ فأسلما فأرسلهما رسول الله ﷺ.

قلت: وقد ذكر الشيخ غالي بن المختار فال هذا البعث بقوله:

ثُمَّ بشيراً بعده الأنصاري ... لغطفانَ يُمْنَ والجَبَّار

فهربوا منه فساق النَّعما ... وبأسيرين أتى فأسْلَمَا... اهـ

بعث الأخرم بن أبي العوجاء السلمي رضي الله عنه

قال الصالحي: كان هذا البعث في ذي الحجة سنة سبع من الهجرة.
قال ابن سعد (٣/١٧٠) بعث رسول الله ﷺ ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين رجلاً إلى بني سليم فخرج إليهم وتقدمه إليهم عين لهم كان معه فحذرهم فجمعوا له جمعاً كثيراً، فجاءهم ابن أبي العوجاء وهم معدون له فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا إليه فتراموا بالنبل ساعة وجعلت الأمداد تأتي حتى أحدقوا بهم من كل ناحية، فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قتل عامتهم وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتلى ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ. قال: ثم وصل المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان. قلت: وقد ذكر الشيخ غالي هذا البعث بقوله:

فابن أبي العوجاء الأخرم الأبي ... ومعه خمسون من صحب النبي

ومعهنم عين فأنذر العدا ... فجاءهم ونبلهم قد سُددا

ثـــم دعـــاهـــمُ إلـــى الإلـــه فـلـم يـجـيـبـوا دعـوة الأواه
ثـم تـرامـوا سـاعـة وجـعـلـوا أعـوانـهـم تـزداد لـمـا اقـتـتـلـوا
وهـم سـلـيـمٌ قـومُـه فـقُـتِـلا جميعُهم سواهُ وهْوَ أُثقِلا... اهـ

عمرة القضية

في زاد المعاد ما نصه: قال نافع: كانت في ذي القعدة سنة سبع، وقال سليمان التيمي لما رجع رسول الله ﷺ من خيبر بعث السَّرايا وأقام بالمدينة حتى استهل ذو القعدة ثم نادى في الناس بالخروج.

قال موسى بن عقبة: ثم خرج رسول الله ﷺ في العام المقبل من عام الحديبية معتمراً في ذي القعدة سنة سبع، وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن البيت الحرام حتى إذا بلغ يأجج وضع الأداة كلها: الجحف والمجانّ والنبل والرماح، ودخلوا بسلاح الراكب: السيوف. اهـ منه.

ونقل ابن كثير: قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الديلي. قال ابن إسحاق: وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه في عمرته تلك، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدثت قريش بينها أن محمداً في عسرة وجهد وشدة، وعن عبدالله بن عباس أنهم صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده الأيمن ثم قال: **«رحم الله امرءاً أراهم من نفسه اليوم قوة»** ثم استلم الركن ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا واراه البيت عنهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرها فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما فعلها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فَلزمها فمضت السنة بها. وقال ابن إسحاق حدثني عبدالله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك

العمرة، دخلها وعبدالله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله   خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقيله   أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله   كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ دخل عام القضية مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن بمحجنه. قال ابن هشام: من غير علة، والمسلمون يشتدون حوله وعبدالله بن رواحة يقول:

بسم الذي لا دين إلا دينه   بسم الذي محمد رسوله
خلوا بني الكفار عن سبيله

وتغيب رجال من أشراف قريش المشركين كراهية أن ينظروا إلى رسول الله ﷺ حنقاً وغيظاً، فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثة أيام فلما أصبح من اليوم الرابع أتى سهيل بن عمرو وحويطب بن عبدالعزى، ورسول الله ﷺ في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادة، فصاح حويطب: نناشدك الله والعهد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث، فقال سعد بن عبادة: كذبت لا أم لك ليست بأرضك ولا أرض آبائك، والله لا نخرج. ثم نادى رسول الله ﷺ سهيلاً وحويطباً فقال: **«إني قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها، ونضع الطعام فنأكل وتأكلون معنا»** فقالوا: نناشدك الله والعهد إلا خرجت عنا، فأمر رسول الله ﷺ أبا رافع فأذن بالرحيل، وركب ﷺ حتى نزل ببطن سرف فأقام بها، وخلف أبا رافع ليحمل ميمونة إليه حين يمسي، فأقام حتى قدمت ميمونة ومن معها، وقد لقوا أذى وعناء من سفهاء المشركين وصبيانهم فبنى بها بسرف.

وجدير بالذكر أن رسول الله ﷺ بعث جعفر بن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحارث بن حزن العامرية يخطبها إليه، فجعلت أمرها إلى

العباس بن عبدالمطلب وكانت أختها أم الفضل تحته فزوَّجها العباس منه ﷺ.

قال ابن القيم: وأما قول ابن عباس: إن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حرام، فمما استُدرك عليه وعُدَّ من وهمه. قال سعيد بن المسيب: وَهِل ابن عباس وإن كانت خالته، ما تزوجها رسول الله ﷺ إلا بعدما حل، ذكره البخاري، وقال يزيد بن الأصم عن ميمونة: تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف، رواه مسلم. وقال أبو رافع: تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال، وكنت السفير بينهما. صحَّ ذلك عنه. ونقل ابن كثير عن الواقدي بسنده إلى ابن عمر قال جعل رسول الله ﷺ ناجية بن جندب الأسلمي على هديه، يسير بالهَدي أمامه يطلب الرعي في الشجر معه أربعة فتيان من أسلم، وقد ساق رسول الله ﷺ في عمرة القضاء ستين بدنة.

ولما أراد رسول الله ﷺ الخروج من مكة تبعته بنت حمزة تنادي: يا عم يا عم، فتناولها علي بن أبي طالب وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك، فحملتها، فاختصم فيها عليّ وزيد بن حارثة وجعفر، فقال عليّ: أنا أخذتها وهي ابنة عمّي، وقال جعفر: ابنة عمّي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها رسول الله ﷺ لخالتها، وقال: **«الخالة بمنزلة الأم»**، وقال لعليّ: **«أنت مني وأنا منك»**، وقال لجعفر: **«أشبهت خَلْقي وخُلُقي»**، وقال لزيد: **«أنت أخونا ومولانا»** متفق على صحته. وقد أغفل العلامة البدوي عمرة القضاء فلم يذكرها في مغازيه.



بعث غالب بن عبدالله الليثي إلى بني الملوح بالكديد

قال الصالحي: كان هذا البعث في صفر سنة ثمان.

قال ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة عن مسلم بن عبدالله الجهني عن جندب بن مكيث الجهني قال: كنت في سريته، يعني غالب بن عبدالله

الكلبي، فمضينا حتى إذا كنا بقديد لقينا به الحارث بن مالك بن البرصاء الليثي فأخذناه، فقال: إنما جئت لأسلم، فقال له غالب بن عبدالله: إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضرك رباط يوم وليلة، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك، فأوثقه رباطاً وخلّف عليه رويجلاً أسود وقال له: امكث معه حتى نمر عليك، فإذا نازعك فاقطع رأسه. فمضينا حتى إذا أتينا بطن الكديد نزلناه عشية بعد العصر، فبعثني أصحابي إليه فعمدت إلى تل يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه، وذلك قبل غروب الشمس، فخرج رجل منهم فنظر فرآني منبطحاً على التل فقال لامرأته: إني لأرى سواداً على هذا التل ما رأيته في أول النهار، فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك، فنظرت فقالت: لا والله لا أفقد شيئاً، قال: فناوليني قوسي وسهمين من سهامي، فناولته فرماني بسهم فوضعه في جنبي فنزعته فوضعته ولم أتحرك ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي، فنزعته فوضعته ولم أتحرك، فقال لامرأته أما والله لقد خالطته سهامي ولو كان ربيئة لتحرك، فإذا أصبحتِ فابتغي سهميَّ فخذيهما لا تمضغهما الكلاب عليَّ. قال: فأمهلنا حتى إذا راحت رائحتهم واحتلبوا وسكنوا وذهبت عتمة الليل شننّا عليهم الغارة، فقتلنا من قتلنا. واستقنا النعم وتوجهنا قافلين به، وخرج صريخهم إلى قومهم، وخرجنا سراعاً حتى نمر بالحارث بن مالك وصاحبه فانطلقنا بهما معنا، وأتانا صريخ الناس بما لا قبل لنا به، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي من قديد أرسل الله عز وجل من حيث كانت مشيئته سيلاً، لا والله ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً، فجاء السيل بما لا يقدر أحد أنْ يقدم عليه، فلقد رأيتهم ينظرون إلينا ما يقدر أحدهم أن يقدم على ذلك السيل ونحن نسوقها، فأعجزنا القوم بما في أيدينا. وروى محمد بن عمر عن حمزة بن عمرو الأسلمي قال: كنت معهم وكنا بضعة عشر رجلاً وكان شعارنا: أمِتْ أمِتْ، وقال ابن القيم في زاد المعاد: وقد قيل: إن هذه السرية هي السرية التي قبلها، يعني السرية إلى الحرقة من جهينة التي قتل فيها أسامة بن زيد مرداس بن نهيك بعد أن قال: لا إله إلا الله.

قلت: وما أهمل العلامة غالي هذا البحث بل ذكره بقوله:

ثُمَّتَ بَعْدُ غالباً إلى الكديد وهو الذي أعانه وادي قُديد
إذْ شنَّ غارةً فساق النعما فلحقت بنو الملوح بما
لم يكُ يقدرُ عليه فجرى بالسيل دونما سحابة ترى
فحال دونهم فما أطاقوا ثأراً ولا ردَّ الذي قد ساقوا
والحارث بن مالك لما لقوه اتّهموا هجرته فأوثقوه
وتركوه موثقاً ووكلوا أحدهم به إلى أن قفلوا... اهـ

بعث غالب بن عبدالله رضي الله عنه إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد

قال الصالحي: وكانت في صفر سنة ثمان.

قال محمد بن عمر، وابن إسحاق في رواية يونس ومحمد بن سلمة أن رسول الله ﷺ لما بلغه ما حصل لبشير بن سعد وأصحابه هيأ الزبير بن العوام رضي الله عنه وقال: **«سر حتى تنتهي إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد فإن أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم»** وهيأ معه مائتي رجل وعقد له لواء. فقدم غالب بن عبدالله من الكديد قد ظفره الله عليهم فقال ﷺ للزبير: **«اجلس»** وبعث غالب بن عبدالله الليثي في مائتي رجل فيهم أسامة بن زيد وعلبة بن زيد الحارثي، وكعب بن عجرة. فلما دنا غالب منهم بعث الطّلائع، فبعث غلبة بن زيد في عشرة ينظرون إلى محالهم فأوفى إلى جماعة منهم ورجع إلى غالب فأخبره الخبر، فأقبل غالب حتى إذا كان منهم بنظر العين ليلاً وقد عطنوا وهدؤوا، قام غالب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وأن تطيعوني ولا تعصوني ولا تخالفوا لي أمراً، فإنه لا رأي لمن لا يطاع، ثم ألف بينهم فقال: يا فلان أنت وفلان، ويا فلان أنت وفلان، لا يفارق رجل منكم زميله، وإياكم أن يرجع إليَّ رجل منكم فأقول: أين صاحبك؟ فيقول

لا أدري، فإذا كبَّرت فكبروا وجردوا السيوف، فلما أحاطوا بالحاضر كبَّر غالب فكبروا معه وجردوا السيوف، فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون السيوف فيهم حيث شاؤوا، وكان شعارهم: أمِتْ أمِتْ.

وذكروا عن محمد بن عمر أن أسامة بن زيد قتل ابن نهيك في هذه السرية، وذكر ابن سعد أن ذلك وقع في بعث غالب إلى الميفعة والله أعلم. وساق المسلمون النعم والشاء والذرية، وكانت سهمانهم يومئذ عشرة أبْعِرة لكل واحد أو ما يعادلها من الغنم وكانوا يحسبون الجزور بعشرة من الغنم.

قلت: ولقد ذكر الشيخ غالي هذا البعث فقال:

ثُـمَّـت أيـضـاً غـالـبـاً إلـى فَـدَكْ	جـرَّاءَ مَـنْ مَـعَ بـشِـيـر قـد هَـلَـكْ
قَـبْـلُ بـهـا فـي مـائـتـي صـحـابـي	كـان أمـيـرهـا الـزبـيـر الآبـي
فـسـار نـحـوهـم بـكـل ثـائـر	حـتـى أحـاط جـيـشـه بـالـحـاضـر
فـقـتـلـوا جـمـيـعـهـم ونَـهَـبُـوا	أموالهم وبالسبايا انقلبوا... اهـ

بَعْثُ شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالسِّيِّ

قال الصالحي: وكان هذا البعث في ربيع الأول سنة ثمان. قال: روى محمد بن عمر عن عمر بن الحكم قال: بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن بالسِّيِّ ناحية رُكبةَ من وراء المعدن، وهي من المدينة على خمس ليال وأمره أن يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النَّهار حتى صبحهم وهم غارون، وقد أوعز إلى أصحابه أن لا يمعنوا في الطلب فأصابوا نعماً كثيراً وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة، فكانت سهمانهم خمسة عشر بعيراً لكل رجل وعدلوا البعير بعشرة من الغنم، وغابت السرية خمسة عشر يوماً.

قلت: وقد ذكر غالي هذا البعث فقال:

ثم ابن وهب أي شجاعاً فذهب — إلى هوازن ومالهم نَهَب
فكانت السهام خمسة عشر — لواحد كما حكى أهل السير

لكن الشيخ غالي سمى المكان الذي وقعت به الغارة بالسباء قال ككتاب ولقد ذكرته تبعاً للصالحي فيما قبل بالسِّيِّ فالله تعالى أعلم.

بعث كعب بن عصير الغفاري إلى ذات أطلاح

قال الصالحي: وكان ذلك في ربيع الأول سنة ثمان، قال: بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً إلى ذات أطلاح من أرض الشام فوجدوا جمعاً كثيراً فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل وقاتلهم أصحاب رسول الله ﷺ أشد القتال حتى قتلوا جميعاً ونجا منهم رجل جريح، فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فشق ذلك عليه وهمَّ بالبعث إليهم فبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم.

قلت ولقد ذكر الشيخ غالي هذا البعث فقال:

ثمت كعباً بعْدَ ذا نَجْلَ عُمير — لذات أطلاحٍ بها جمعٌ كثير
ثم دعاهم إذْ أتاهم للهدى — فاقتتلوا ومَنْ سواه استشهدا
فاهتمَّ بالبعث لهم فانتقلوا — عن أرضهم ثمت لما ارتحلوا
تركهم وفتكهم عليه شق — صلى عليه الله فالق الفلق... اهـ



غزوة مؤتة بأدنى البلقاء من أرض الشّام

كان سبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي ثم من بني لهب بكتاب إلى ملك الروم ـ أو بُصرى ـ فعرض له شُرَحْبيل بن عمرو الغساني، فأوثقه رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه، ولم يقتل رسول لرسول الله ﷺ غيره، فاشتد ذلك على نبي الله ﷺ حين بلغه الخبر وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجرف ولم يبين لهم الأمر، فلما صلى الظهر جلس في أصحابه فبعث البعوث، وقال: **«زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قتل زيد بن حارثة، فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة، فإن أصيب عبدالله بن رواحة فليرتضِ المسلمون رجلاً يجعلونه عليهم»**، وعقد لواء أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة، فودع الناس الأمراء وخرج معهم ثلاثة آلاف مقاتل، وجعل المسلمون يقولون: دفع الله عنكم وردكم إلينا سالمين غانمين. وشيعهم رسول الله ﷺ إلى ثنية الوداع ثم وقف وهم حوله وقال: **«أوصيكم بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين خيراً، واغزوا بسم الله، في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تَغْدِرُوا ولا تَغُلُّوا ولا تقْتُلوا وليداً، وإذا لقيت عدوّك من المشركين فادعهم إلى إحدى خصال ثلاث، فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم واكفف عنهم: ادعُهم إلى الدخول في الإسلام، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم، ثم ادعُهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن فعلوا فأخبِرهم أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، وإن دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله ولا يكون لهم في الفيء ولا الغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن أبَوْا فادْعهم إلى إعطاء الجزية، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإن أنت حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك أن تستنزلهم على حكم الله، فلا تستنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أو لا؟ وإن حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك أن تجعل لهم ذمّة الله وذمة رسوله فلا تجعل لهم**

ذمة الله وذمة رسوله ولكن اجعل ذمتك وذمة أبيك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذمتكم وذمة آبائكم خير لك من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله. وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين للناس، فلا تتعرضوا لهم، وستجدون آخرين في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف، ولا تقتلنّ امرأة ولا صغيراً ضرعاً ولا كبيراً فانياً، ولا تغرقنّ نخلاً ولا تقلعن شجراً ولا تهدموا بيتاً».
أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

ويقولون إن عبدالله بن رواحة بكى، فقالوا: ما يبكيك؟ قال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله السلامة ودفع عنكم وردكم إلينا سالمين، فقال عبدالله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة	وضربة ذات فرع تقذف الزَّبدا
أو طعنة بيدي حران مخبرة	بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مَرُّوا على جدثي	يا أرشدَ اللَّهُ من غازٍ وقد رشدا

ومضى المسلمون وقد أمرهم رسول الله ﷺ أن ينتهوا إلى مقتل الحارث بن عمير، وسمع العدوُّ بمسيرهم فجمعوا لهم، ولما نزل المسلمون معانَ من أرض الشام بلغهم أن هرقل بالبلقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليهم من لخم، وجذام، وبلقين، وبهرا وبليّ مائة ألف، فلما بلغ المسلمين ذلك أقاموا ليلتين بمكانٍ ينظرون في أمرهم، فقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا، إمّا أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا فنمضي لأمره. فشجَّع الناس عبدالله بن رواحة، فقال: يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، ما نقاتل بعدد، ولا قوة ولا كثرة ما نقاتل الناس إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين: إمّا ظفر وإمّا شهادة فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم الجموع بقرية يقال لها مشارف، فدنا العدو وانحاز المسلمون إلى مؤتة فالتقى الناس

عندها، فتعبأ المسلمون، والراية في يد زيد بن حارثة فلم يزل يقاتل حتى شاط في رماح القوم وخر صريعاً رضي الله عنه، فأخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه فعقرها ثم قاتل حتى قتل، قالوا: وكان جعفر أول من عقر فرسه في الإسلام عند القتال، فقطعت يمينه فأخذ الراية بشماله فقطعت شماله فاحتضن الراية حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رضي الله عنه، ثم أخذ الراية بعده عبدالله بن رواحة فقاتل حتى قتل وسقط اللواء واختلط المسلمون والمشركون، فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم يقتل الرجل مقبلاً أفضل من أن يقتل مدبراً، ثم تراجع المسلمون فأخذ اللواء ثابت بن أقرم وصاح: يا للأنصار، فأتاه الناس من كل وجه وهو يقول: إليّ أيها الناس، فلما نظر إلى خالد بن الوليد قال: خذ اللواء يا أبا سليمان، فقال خالد: أنت أحق به، أنت رجل لك سن وقد شهدت بدراً، قال ثابت خذها أيها الرجل فوالله ما أخذته إلا لك، فأخذ خالد اللواء فحمله ساعة وحمل المشركون عليه فثبت حتى ردهم فحمل بأصحابه ففض جمعاً من جموعهم ثم انحاش بالمسلمين راجعاً، وكان موت عبدالله بن رواحة وأخذ خالد اللواء بالمساء، فبات خالد فلما أصبح جعل ساقته مقدمته ومقدمته ساقته وميمنته ميسرته وميسرته ميمنته، فأنكر المشركون ما كانوا يعرفون من هيأتهم فقالوا: قد جاء القومَ مددٌ، وقذفَ الله الرعب في قلوبهم فانكشفوا منهزمين فقتلوا منهم مقتلة لم يقتلها قوم.

قال ابن سعد: إن الهزيمة كانت على المسلمين، والذي هو في صحيح البخاري أن الهزيمة كانت على الروم، قال ابن القيم: والصحيح ما ذكره ابن إسحاق أن كل فئة انحازت عن الأخرى.

قلت: وكيف يرتاب أحد في كون الفتح كان للمسلمين بعدما صح من حديث البخاري من قوله ﷺ: **«ثم أخذها سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليهم»** وفي رواية: **«حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليه»**.

قال الصالحي في سبل الهدى والرشاد: والأكثرون على أن خالداً ومن معه رضي الله عنهم قاتلوا المشركين حتى هزموهم، ففي حديث أبي عامر

عند ابن سعد أن خالداً لما أخذ اللواء حمل على القوم فهزمهم الله أسوأ هزيمة رأيتها قط حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤوا.

وروى الطبراني برجال ثقاة عن موسى بن عقبة قال: ثم اصطلح المسلمون على خالد بن الوليد المخزومي بعد أمراء رسول الله ﷺ فهزم الله العدو وأظهر المسلمين... إلى أن قال: وروى القرَّاب في تاريخه عن بَرْذَع بن زيد رضي الله عنه قال: اقتتل المسلمون مع المشركين سبعة أيام، وروى الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما. وهذا الذي ذكره أبو عامر، والزهري، وعروة، وابن عقبة، وعطاف بن خالد وابن عائذ وغيرهم هو ظاهر قوله ﷺ من حديث أنس: **«حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»**.

قلت: ويشهد لنصر المسلمين وأن الله فتح عليهم قلة من نال منهم الشهادة في هذه الوقعة وكثرة من أصيب من أعدائهم، فقد ذكر العماد ابن كثير في البداية أن جميع من استشهد منهم اثنا عشر شهيداً، ولقد استحر القتل في الأعداء حتى لا يحصى من قتل منهم، ألا تسمع إلى خالد بن الوليد يقول: انكسرت بيدي يومئذ تسعة أسياف وما صبرت في يدي إلا صفيحة يمانية. فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها؟ دع عنك غيره من حملة القرآن. وصدق الله العظيم حيث يقول في آل عمران: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾.

ذكر من أكرمه الله بالشهادة في مؤتة

جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبدالله بن رواحة، ومسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة، ووهب بن سعد بن أبي سرح، وعباد بن قيس، والحارث بن النعمان بن إساف بن نضلة، وسراقة بن عمرو بن عطية بن

خنساء، وأبو كلاب أو أبو كليب بن عمرو بن زيد، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد، وهو بجة بن بُجَيْر بن عامر الضبي، وزيد بن عبيد بن المعلى الأنصاري، والحاصل أن ابن كثير قال: جميع من قتل يومئذ بمؤتة اثنا عشر رجلاً، وبالله تعالى التوفيق.

ولقد ذكر العلامة الشيخ أحمد البدوي المجلسي هذه الغزوة فقال:

ثُمَّ إلى الرُّوم النبيُّ استنفرا	بمؤتَةٍ جَيْشاً عليه أمَّرا
زيد بن حارثة ثُمَّ جَعْفَرا	فابْنَ رَوَاحَةَ ولأْياً انْبَرَا
ورُفِعَتْ للهاشِمِيِّ الْمَعْرَكَهْ	فَعَايَنَ الذي أتَوْا وأدركَهْ

وروى البيهقي عن ابن عقبة قال: قدم يَعْلى بنَ أمية رضي الله عنه على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة، فقال ﷺ: «**إن شئت أخبرني وإن شئت أخْبُرك بخبرهم**» قال: بل أخبرني يا رسول الله، فأخبره رسول الله ﷺ خبرهم كله، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً لم تذكره، وإن أمرهم لكما ذكرت، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل رفع لي الأرض حتى رأيت معركتهم**».

قلت: ولعل ذلك سبَبُ عدِّ هذا البعث غزوة لأن المصطلح عليه عند أهل السيرة تسمية ما حضره عليه الصلاة والسلام غزوة وما لم يحضره يدعى بعثاً أو سرية، فكان عليه الصلاة والسلام برفع المعركة له كأنه حضرها، والله تعالى أعلم.

وكان المسلمون في رجوعهم من مؤتة مَرُّوا بقرية لها حصن كان أهلها قتلوا في ذهاب المسلمين رجلاً من المسلمين فحاصروهم حتى فتح الله ذلك الحصن عليهم عنوة وقتل خالد مقاتلتهم.

تنبيهٌ: قال الصالحي: أكثر الآثار تدل على أن المسلمين هزموا المشركين، وفي بعضها أن خالداً انحاز بالمسلمين، ويمكن الجمع بين ذلك بأن المسلمين هزموا جانباً من المشركين، وخشي خالد أن يتكاثر المشركون عليهم فانحاز بالمسلمين عنهم حتى تمكن بالرجوع بهم، فقد ذكر العماد ابن كثير في البداية أن خالداً لما انحاز بالمسلمين بات ثم أصبح وقد غير بقية

العسكر، كما تقدم بيانه، فتوهم العدو أنه قد جاءهم مدد، فحمل عليهم خالد حينئذ فتولوا فلم يتبعهم ورأى الرجوع بالمسلمين غنيمة كبرى، وبالله تعالى التوفيق.

بعث ذات السلاسل

كان هذا البعث في جمادى الأخيرة سنة ثمانٍ من الهجرة. قال ابن سعد: كان سببه أن رسول الله ﷺ بلغه أن ناساً من قضاعة تجمعوا يريدون الدنو من المدينة، فدعا رسول الله ﷺ عمروَ بن العاص وعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرساً وأمره أن يستعين بمن يمر عليه من بليّ وعذرة وبلقين. قال المقريزي: ذلك أن عمراً كان ذا رحم فيهم، فقد كانت أم العاص بن وائل بلوية، فأراد عليه الصلاة والسلام أن يتألفهم بعمرو.

فسار عمرو يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا من القوم فبلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا، فلما لحق به أراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال له عمرو: إنما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير، فأطاعه أبو عبيدة، فكان عمرو يصلي بالناس، وسار حتى وطىء بلاد قضاعة فدوخها حتى أتى على أقصاها، ولقي في آخر ذلك جمعاً فحمل المسلمون عليهم فهربوا وتفرقوا في البلاد. فأقام أياماً يبعث السرايا ويؤتى بالشاء والنعم فينحرون ويذبحون ولم يكن في ذلك أكثر من هذا ولم تكن لهم غنائم تقسم.

وبعثوا عوف بن مالك الأشجعي بريداً إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقفولهم وبسلامتهم وما كان في غزاتهم.

وقال ابن إسحاق: إن اشتقاق تسمية هذه السرية بذات السلاسل أن القوم نزلوا على ماء لجذام يقال له السلسل، قال: وبذلك سميت ذات السلاسل. قال ابن القيم: بضم السين الأولى وفتحها، لغتان.

قال ابن القيم: وفي هذه الغزوة احتلم أمير الجيش عمرو بن العاص، وكانت ليلة باردة، فخاف على نفسه من الماء، فتيمم وصلى بأصحابه الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: **«يا عمرو، أصليتَ بأصحابك وأنت جنب؟»** فأخبره بالذي منعه من الاغتسال وقال: إني سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]. فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً.

قال ابن القيم: وقد احتج بهذه القصة من قال إن التيمم لا يرفع الحدث. قال: سماه جنباً بعد تيممه. وأجاب من نازعهم في ذلك بثلاثة أجوبة، منها: أن الصحابة لما اشتكوا قالوا: صلى بنا الصبح وهو جنب، فسأله النبي ﷺ فقال: **«أصليت بأصحابك وأنت جنب؟»** استفهاماً واستعلاماً، فلما أخبره بعذره أقره على ذلك. ومنها: أن الرواية اختلفت عنه، فروي عنه فيها أنه غسل مغابينه ثم توضأ وضوءه للصلاة ثم صلى بهم ولم يذكر التيمم. قال: وكأن هذه الرواية أقوى من رواية التيمم لأنها أوصل منها.

والجواب الثالث: أن النبي ﷺ أراد أن يستعلم فقه عمرو في تركه الاغتسال فقال له: **«صليت بأصحابك وأنت جنب؟»** فلما أخبره بعذره وأنه تيمم للحاجة، علم فقهه فلم ينكر عليه.

قلت: لقد ذكر العلامة غالي بن المختار فال هذا البعث بقوله:

فَعَمْروَ الذَّاهِي إلى قُضاعَةِ ... وعَدُّ جيشه ثلاثمائة
وعقد النبي له لواءاً ... مُلَهْقاً وَرَايَةً سَوْدَاءَا
هذي السرية لديهم تدعى ... ذات السَّلاسل لأن الجمعا
لما أتى السَّلْسَل من أرض جذام ... أقامَ فاستَمدَّ أفضَلَ الأنامْ

فزادَهُم لمَّا اسْتَمَدُّوا مائتين عليهما أبو عبيدة الأمِينْ
والعُمَرَانِ فيهم والمصطفى أوْصَاهُ إنْ أتاهُ لا يختلفا
فقال عمرو إذْ أتاهُ المَدَدُ فإنما على الجميع لِيَ الْيَدُ
قال له بل كلنا كانت له على الذي به النبي أرسله
ثم أبي عمرو فأعطاهُ الرَّسَنْ أبو عبيدة الوجيهُ المؤتمَنْ
وإذْ دنا من العدى عمرو أمَرْ للجيش لا توقد نار وعُمَرْ
لم يرض ذلك إلى أن قالا أزكى الصحابة له أفعالا
دعه فإنما النبي أرسلَهْ لعلمه لما عليه استعملَهْ
وقصد الكفار ثم إذْ نزل عليهم حملة واحد حَمَلْ
وإذ رأوْا لجيشه الظهورا ولَّوْا على أدبارهم نفورا... اهـ

سرية الخبط

هذه السرية كان أميرها أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح. وفي عيون الأثر لابن سيد الناس أن هذه السرية كانت في رجب سنة ثمان، وقال ابن القيم: إن ذلك وهم منه.

لقد بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار وفيهم عمر بن الخطاب، إلى حيي من جهينة بالقبلة مما يلي ساحل البحر، وبينها وبين المدينة خمس ليالٍ، فأصابهم في الطريق جوع شديد حتى أكلوا الخبط، فألقى إليهم البحر حوتاً عظيماً، أكلوا منه زيادة على نصف شهر ثم انصرفوا ولم يلقوا كيداً.

ولما اشتد الجوع بأصحاب رسول الله ﷺ ابتاع قيس بن سعد بن عبادة جزائر من رجل بتمر ديناً يعطيه إياه بالمدينة، فنحر من الجزائر ثلاثة أيام، ثم إن عمر بن الخطاب أشار إلى أمير الجيش أن يمنع قيس بن

سعد بن عبادة من نحر هذه الجزائر التي يشتريها ديناً بما ليس عنده يتحمله على غيره، فامتثل ومنع الرجل من ذلك، فلما اشتد الجوع على القوم ألقى الله إليهم من البحر حوتاً عظيماً أكلوا منه حتى رجعت إليهم أجسامهم، وقد أمر أبو عبيدة بضلع من أضلاعه فنصبت ومر تحتها رجل على بعيره فلم تصبه، قالوا: وكان تجلس الجماعة من الناس في مأق عين هذا الحوت.

ولقد نسب كل من ابن كثير وابن القيم ابن سيد الناس إلى الوهم في توقيت هذه السرية. وقوله: إنها كانت في رجب من سنة ثمان لأمرين:

الأول: أن هذه مدة الهدنة، وقد ذكروا أن هذه السرية كانت تعترض عيراً لقريش، ومدة الهدنة كانت مدة سلام ولم تعترض فيها عير لقريش.

والثاني: أنهم ذكروا أنها كانت في رجب ولم يحفظ أن رسول الله ﷺ غزا في رجب ولا أغار فيه، ولا بعث فيه سرية، وقد ذكر ابن القيم أنه لذلك يمكن القول بأن هذه السرية كانت قبل هدنة الحديبية.

قال ابن كثير: وقد ذكرناها هنا تبعاً للحافظ البيهقي.

قلت: وقد ذكر الشيخ غالي بن المختار فال هذه السرية فقال:

ثُمَّ إلى عير قريش أيضاً	أبا عبيدة الأمين الفيضا
زوَّدهم جراب تمر أحمد	فأكلوا الخبط لما أنفدوا
لذا تُسَمَّى عند من قبلُ فَرَطْ	هذي السَّريةُ سرية الخَبَطْ
ثُمَّ اشترى قيس بن سعد فنحر	للجيش أينقاً وعاقَهُ عُمَرْ
فجاء سعدٌ يشتكي خَيْرَ الْوَرَى	فقال مَن يعذرني مِن عُمَرا
ووجدوا حوتاً رماه البَحْر قَدْ	مات ومن عظمه أنْ قَد قَعَدْ
في وقْبِ عينه ثلاثة عشرْ	والضلعُ منه تحته الراكب مَرْ
فدجنوا عليه حتى سمنوا	شَهْراً ومنه حملوا وادَّهَنُوا... اهـ

بعث أبي قتادة
إلى خُضرَة أرض محارب بنجد

قال الصالحي: كان هذا البعث في شعبان سنة ثمان.

روى ابن إسحاق، والإمام أحمد، ومسلم، ومحمد بن عمر عن عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنه قال: تزوجت ابنة سراقة بن حارثة البخاري وقد قتل ببدر فلم أصب شيئاً في الدنيا كان أحب إليَّ من نكاحها، وأصدقتُها مائتي درهم فلم أجد شيئاً أسوقه إليها، فقلت على الله ورسوله المعول، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: **«كم سقت إليها؟»** فقلت: مائتي درهم يا رسول الله، فقال: **«سبحان الله لو كنتم تغترفونه من ناحية بطحان ما زدتم»**، فقلت: يا رسول الله أعنِّي على صداقها، فقال عليه الصلاة والسلام: **«ما وافقت عندنا شيئاً أعينك به ولكن قد أجمعت أن أبعث أبا قتادة في أربعة عشر رجلاً في سرية فهل لك أن تخرج فيها؟ فإني أرجو أنْ يُغنمك الله مهر امرأتك»** فقلت: نعم.

قال الصالحي: وفي حديث أحمد: فخرجنا حتى جئنا الحاضر ممسين فلما ذهبت فحمة العشاء، خطبنا أبو قتادة وأوصانا بتقوى الله وألف بين كل رجلين وقال: لا يفارق كل رجل زميله حتى يقتل أو يرجع إليَّ فيخبرني خبره، ولا يأتينَّ رجل فأسأله عن صاحبه فيقول لا علم لي به، وإذا كبرت فكبِّروا، وإذا حملت فاحملوا ولا تمعنوا في الطلب، فأحطنا بالحاضر فسمعت رجلاً يصيح: يا خضرة، فتفاءلت وقلت: لأصيبنَّ خيراً ولأرجعن إلى امرأتي. قال: فجرَّدَ أبو قتادة سيفه وكبَّر فجردنا سيوفنا وكبَّرنا معه فشددنا على الحاضر وقاتلنا رجالاً فقتلنا أشرافهم وسقنا النعم وحملنا النساء معنا، فجاؤوا بمائتي بعير وألف شاة وسبوا سبياً كثيراً وأخرجوا الخمس وعدل البعير بعشرين شاة من الغنم، ولما قسمت الغنيمة كان لكل رَجُلٍ منهم ثلاثة عشر بعيراً، ووردت هذه السرية بألفاظ مختلفة أوردها الصالحي والله تعالى أعلم، وبه التوفيق.

قلت: وقد ذكر الشيخ غالي بن المختار فال هذا البعث فقال:

ثُمَّ أبا قتادة الندب الأبز ... لأرض نجدٍ مَعَ خمسة عَشر
فأخذوا أموالهم وقتلوا ... أشرافهم وبالسبايا قفلوا
ووقعت جارية في سهم ... أبي قتادة الشجاع الشهْم
حسناءُ فاستوهبها منه النبي ... ثُمَّتَ أعطاه إياها وحُبي
مَخميَّةٌ بها سليل جَزْء ... وعَدَهُ جاريةً مِن ألفيْءِ... اهـ

تنبيهٌ: قد جعل صاحب عيون الأثر سرية أبي قتادة إلى خضرة غير سرية عبدالله بن أبي حدرد التي سأل فيها رسول الله ﷺ الإعانة على مهر امرأته، وجعلهما محمد بن عمر سرية واحدة، قد درجت على ذلك تبعاً لسيل الهدى والرشاد للإمام الصالحي وبالله تعالى التوفيق.

بعث قتادة أيضاً إلى بطن إضَم

قال الصالحي: كان في أول رمضان قبل الفتح سنة ثمان.

روى ابن سعد، والإمام أحمد، وابن أبي شيبة، والترمذي وغيرهم عن عبدالله بن أبي حدرد قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم في نفر من المسلمين أميرنا أبو قتادة الحارث بن ربعي وفينا محلم بن جثامة الليثي، حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قَعُود له ومعه متَيِّعٌ له ووطْبٌ من لبن، فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه وسلبه بعيره ومتَيِّعَه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ

ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ [النساء: ٩٤].

فانصرف القوم ولم يلقوا جمعاً حتى انتهوا إلى ذي خُشُب، فبلغهم أن رسول الله ﷺ توجه إلى مكة، فأخذوا على بَيْنَ حتى لحقوا برسول الله ﷺ بالسقيا، قال ابن عمر والحسن: فجاء محلم في بردين فجلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال له عليه الصلاة والسلام: «**أقتلته بعدما قال إني مسلم؟**» قال: يا رسول الله إنما قالها متعوذاً، قال: «**أفلا شققت عن قلبه؟**» قال: لم يا رسول الله؟ قال: «**لتعلم أصادق هو أم كاذب**» قال: وكنت عالماً بذلك يا رسول الله، وهل قلبه إلا مضغة من لحم؟ قال رسول الله ﷺ: «**إنما كان ينبيء عنه لسانه**» وفي رواية: أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**لا ما في قلبه تعلم ولا لسانه صدقت**» قال: استغفر لي يا رسول الله، فقال: «**لا غفر الله لك**» فقام وهو يتلقى دمعه ببرديه، فما مضت سابعة حتى مات. قال ابن إسحاق: فما لبث أن مات، فحفر له أصحابه فأصبح وقد لفظته الأرض، ثم عادوا فحفروا له فأصبح وقد لفظته الأرض إلى جنب قبره، قال الحسن بن أبي الحسن: فلا أدري كم قال أصحاب رسول الله ﷺ: كم دفناه، مرتين أو ثلاثاً. وفي حديث جندب وقتادة: أما ذلك فوقع ثلاث مرات، كل ذلك لا تقبله الأرض، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**إن الأرض لتقبل مَن هو شر من صاحبكم ولكن الله تعالى يريد أن يعظكم**» فأخذوا برجليه فألقوه في بعض الشعاب وألقوا عليه الحجارة. اهـ ملخصاً من سبل الهدى والرشاد.

قلت: وقال الشيخ غالي ذاكراً هذا البعث ما نصه:

ثمت ثانية إذْ قد اسْتَهَمْ	بغزو مكة إلى بطن إضَمْ
ألقى إليهم ابْنُ الأضبط السلم	في بعثهم هذا وغاله الحُطم
مُحلِّم لأجل غش قد دخل	بينهما قبل وبئس ما فعل
قال له إذ جاء تَائِباً إلى	مجلسه نبينا اللهم لا
تغفر له ثم بكى وحق له	وقدر الله لسبع أجله
من بعد ذا والأرض إذ دعا النبي	عليه القُته فلم تُغيِّب

من غير ما واحدة وفي الخبر تغييبها لمية منه أشر
لكنَّ مَا أراهمُ مَا قَدْ أَرَى مولاهم لِينتهوا عما افترى
ونزلت فيما محلم جنا إليكم السَّلَمَ لَسْت مُسْلِما... اهـ

ثُمّ كانت غزوة الفتح

سبب غزوة الفتح أن أنس بن زُنيم الدِّيليّ هجا رسول الله ﷺ فسمعه غلام من خزاعة فضربه ضربة شجه بها فثار الشر بين بني بكر حلف قريش، وين خزاعة حلف رسول الله ﷺ، فلما دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية كلمت بنو نفاثة من بني الدِّيل أشراف قريش يريدون منهم الإعانة بالسلاح والرجال على خزاعة ففعلوا: خرج إليهم صفوان بن أمية، ومكرز بن حفص بن الأخيف، وحويطب بن عبدالعزى، وشيبة بن عثمان، وسهيل بن عمرو وأجلبوا معهم أرقاءهم فبيتوا مع بني بكر خزاعة ليلاً وهم آمنون بماء لهم يقال له الوتير قريب من مكة فقتلوا منهم حسبما ما ذكره المقريزي ثلاثة وعشرين رجلاً وطاردوهم حتى أدخلوهم مكة في دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع، وندمت قريش وعرفوا أن هذا الذي صنعوا نقض للصلح الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، فجاء الحارث بن هشام وجماعة إلى صفوان ومن كان معه فلاموهم على ما فعلوا وقالوا لأبي سفيان بن حرب: هذا أمر لا بد له من أن يصلح، فاتفقوا على مسير أبي سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ ليزيد في الهدنة ويجدد العهد، فخرج لذلك.

وسار عمرو بن سالم بن حصيرة بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة حتى دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه فقص عليه الخبر ثم قام منشداً بين يديه ﷺ:

يا رب إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا

قـد كـنـتـمُ وُلْـداً وكـنـا والـدا　　ثـمـت أسـلـمـنـا فـلـم نـنـزع يـدا
إن قـريـشـاً أخـلـفـوك الـمـوعـدا　　ونـقـضـوا مـيـثـاقـك الـمـؤكـدا
وزعـمـوا أن لـسـت أدعـو أحـدا　　وهـم أذلُّ وأقـلُّ عـددا
هُـمْ بَـيَّـتـونـا بـالـوتـيـر هُـجَّـدا　　وقـتـلـونـا ركـعـاً وسُـجَّـدا
فـانـصـر رسـول الله نـصـراً أيـدا　　وادعُ عـبـاد الله يـأتُـوا مـددا
فـيـهـم رسـول الله قـد تـجـرّدا　　إنْ سـيـمَ خَـسـفـاً وجـهـه تـربـدا
فـي فـيـلـق كـالـبـحـر يـجـري مـزبـدا　　قرمٌ لقرم من قروم أصيدا... اهـ

فقام عليه الصلاة والسلام يجر رداءه ويقول: **«لا نُصِرْتُ إن لم أنصر بني كعب مما أنصر منه نفسي»**.

وقدم أبو سفيان فقال: يا محمد إني كنت غائباً في صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا في المدة، فقال ﷺ: **«ولذلك قدمت يا أبا سفيان؟»** قال: نعم، قال: **«هل كان قبلكم حدث؟»** قال: معاذ الله، قال: **«فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدِّل»**. ثم قام أبو سفيان فدخل على أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه وقالت: أنت امرؤ مشرك نَجَسٌ، فقال: يا بنية، لقد أصابك بعدي شر، قالت: بل هداني الله للإسلام وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك الدخول في الإسلام وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر؟ فقام من عندها فأتى رسول الله ﷺ وهو في المسجد فقال: يا محمد إني كنت غائباً في صلح الحديبية، كما تقدم، فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه فكلمه وقال: تكلم محمداً، أوتجير أنت بين الناس، فقال أبو بكر: جواري في جوار رسول الله ﷺ، فأتى عمر بن الخطاب فكلمه بمثل ما كلم به أبا بكر فقال: أنا أشفع لكم عند رسول الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد إلاّ الذر لجاهدتكم به، ما كان من حلفنا جديد فأخلقه الله، وما كان منه متيناً فقطعه الله، وما كان منه مقطوعاً فلا وصله الله، فقال أبو سفيان: جزيت من ذي رحم شرًا.

فأتى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: إنه ليس في القوم أحد

أقرب رحماً منك، فزد في المدة وجدد العهد، فإن صاحبك لا يرده عليك، فقال عثمان: جواري في جوار رسول الله ﷺ.

فأتى عليَّ بن أبي طالب، فقال: يا عليّ، إنك أمس القوم بي رحماً وإني جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائباً فاشفع لي إلى محمد، فقال: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه، فلما أيس مما عندهم دخل على فاطمة الزهراء رضي الله عنها، والحسن غلام يدب بين يديها فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تجيري بين الناس؟ فقالت: إنما أنا امرأة، وأبت عليه، فقال: مُري ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر، قالت: والله ما بلغ ابني ذلك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ.

فقال لعليّ: يا أبا الحسن إني أرى الأمر اشتد عليَّ فانصحني، قال: والله ما أعلم شيئاً يغني عنك شيئاً، ولكنك سيد بني كنانة، قال: صدقت وإني كذلك، قال: فقم فأجِرْ بين الناس ثم الحق بأرضك، قال: أوترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله، ولكن لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس إني قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفرني أحد، ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إني قد أجرت بين الناس فقال رسول الله ﷺ: **«أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة»**، ثم ركب بعيره وانطلق، فلما دخل على امرأته هند ليلاً قالت: لقد اختَبَسْتَ حتى اتهمك قومك، فإن كنت جئتهم بنُجْح فأنت الرجل، ثم دنا منها، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته قالَتْ: ما صنعت؟ فأخبرها وقال: لم أجد إلا ما قال لي عليٌّ، فضربت صدره برجليها وقالت قبحت من رسول قوم، فما جئت بخير. فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند إساف ونائلة وذبح لهما ومسح بالدم رؤوسهما، فلما رأته قريش قاموا إليه يسألونه ماذا جاء به، فأخبرهم الخبر على ما هو، فقالوا: والله ما زاد عليٌّ أن لعب بك، قال: والله ما وجدت غير ذلك.

وذكر ابن عقبة وابن إسحاق أن رسول الله ﷺ مكث بعد خروج أبي سفيان ما شاء الله ثم قال لعائشة: **«جهزينا وأخفي أمرك»** وقال: **«اللهم خذ**

على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلاَّ بغتة ولا يسمعون بنا إلا فجأة» وأمر ﷺ جماعة أن تقيم بالأنقاب، وكان عمر بن الخطاب يطوف بالأنقاب فيقول: لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونه إلاَّ رددتموه.

ولما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من المسير إليهم، ثم أعطاه امرأة، قيل: من مزينة تدعى كنود، وقيل: هي سارة مولاة لبعض بني المطلب، وجعل لها جعلاً على أن تبلغ الكتاب أهل مكة وقال لها: أخفيه ما استطعت، ولا تمرّي على الطريق فإنه محروس، فجعلته في رأسها فتلت عليه قرونها وسلكت عن يسار المحجة في الفلوق حتى لقيت الطريق بالعقيق. وفي لفظ كتاب حاطب اضطراب، فعند السهيلي أن لفظه: إن رسول الله ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم، فإنه منجز له ما وعده فيكم، فإن الله تعالى ناصره ووليه.

وذكر ابن عقبة أن لفظه: إن رسول الله ﷺ قد آذن بالغزو ولا أراه إلاَّ يريدكم، وقد أحببت أن تكون لي يد بكتابي إليكم، فجاء الوحي بما صنع حاطب فبعث عليه الصلاة والسلام كلاً من عليّ بن أبي طالب، والزبير بن العوام، قيل: والمقداد بن عمرو البهراني، فقال عليه الصلاة والسلام: **«أدرك امرأة قد كتب معها حاطب كتاباً إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم، انطلقوا حتى تؤتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب»**.

قال ابن عقبة: فأدركاها ببطن ريم فاستنزلاها ففتشا رحلها فلم يجدا فيه شيئاً، فقال لها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ وما كذبنا، ولتخرِجِنَّ هذا الكتاب أو لنكشفنك، فلما رأت الجِدَّ حلت قرون رأسها واستخرجت منه الكتاب فدفعته إليه فأتى رسول الله ﷺ، فدعا حاطباً فقال: **«ما حملك على هذا؟»** قال: يا رسول إني والله لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدّلت ولكني كنت امرأً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم مال وولد وأهل

فصانعتهم عليه، فقال رسول الله ﷺ: **«إنه قد صدقكم»** فقال عمر بن الخطاب لحاطب: قاتلك الله، ترى رسول الله ﷺ يأخذ الأنقاب وتكتب إلى قريش تحذرهم؟ دعني يا رسول الله أضرب عنقه فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ: **«ما يدريك يا عمر أن الله عز وجل اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»** فقال عمر: الله ورسوله أعلم، فأنزل الله قوله تعالى في الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ الآية إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وأرسل رسول الله ﷺ إلى من حول المدينة من الأعراب المسلمين يقول: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة»** وبعث الرسل في كل ناحية، وقال حسان رضي الله عنه يحرض ويذكر مصاب رجال خزاعة:

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة ... رجال بني كعب تُحَزُّ رقابُها
بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم ... وقتلي كثيرٌ لم تُجَنُّ ثيابُها
ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي ... سُهيل بن عمرو حرُّها وعقابها
فلا تأمَنَنْها يا ابن أمّ مجالد ... إذا احْتُلِبَتْ صِرْفا وأعْضَل نابُها
ولا تجزعوا منها فإن سيوفنا ... لها وقعة بالموت يفتح بابُها

يعني بابن أم مجالد عكرمة بن أبي جهل.

ولما أراد عليه الصلاة والسلام الخروج إلى مكة استخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حُصين الغفاري فيما رواه الإمام أحمد والطبراني بسند حسن عن ابن عباس، وقيل ابن أم مكتوم فيما ذكره ابن سعد والبلاذري. قال الصالحي: والأول أصح.

وخرج عليه الصلاة والسلام يوم الأربعاء بعد العصر عاشر رمضان ونادى منادٍ من قبله عليه الصلاة والسلام: من أحبَّ أن يصوم فليصم ومن أحب أن يفطر فليفطر، وصام هو ﷺ وما حل عقدة حتى انتهى إلى الصُلصُل وهو موضع على سبعة أميال من المدينة. وركبوا الإبل وقادوا الخيل، وقدم بين يديه الزبير بن العوام في مائتين من المسلمين طليعة، فلما

كان بين العرج والطلوب أتوا بعين من هوازن فاستخبره النبي ﷺ فقال: إن هوازن تجمع لك، فقال: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**»، وأمر عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد بالاحتفاظ به، ولما بلغ قديداً لقيته سُليم وهناك عقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل، قالوا: دفع لبني سُليم لواء وراية، ولغفار راية، ولأسلم لواءين ولبني كعب راية، ولمزينة ثلاثة ألوية، ولجهينة أربعة ألوية، ولبني بكر لواء، ولأشجع لواءين.

ولقيه العباس بن عبدالمطلب مهاجراً بالجحفة فأرسل ثقله إلى المدينة ورجع مع رسول الله ﷺ، وذكر البلاذري أنه عليه الصلاة والسلام قال لعمه: «**هجرتك آخر هجرة كما أن نبوتي آخر نبوة**».

وروى مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ ونحن صيام، فنزلنا منزلاً فقال: «**إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم**» فكانت رخصة، فمنا من صام ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر فقال: «**إنكم مُصَبِّحو عدوكم، فأفطروا والفطر أقوى لكم**»، فكانت عزيمة فأفطرنا.

قالوا: نزل عليه الصلاة والسلام مر الظهران عشاء وأمر أن يوقد كل مقاتل ناراً فكانت عشرة آلاف ناراً، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعميت الأخبار عن قريش وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم، فخرج أبو سفيان بن حرب يتحسس الأخبار وقالت له قريش: إن لقيت محمداً فخذ لنا منه أماناً، وخرج معه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فلما بلغوا الأراك من مر الظهران رأوا العسكر والقباب والنيران كأنها نيران عرفة وسمعوا صهيل الخيل، وكان ليلاً، فأفزعهم ذلك فزعاً شديداً. قال ابن عقبة: فبينا هم - يعني أبا سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء - كذلك لم يشعروا بشيء حتى أخذهم نفر كان رسول الله ﷺ بعثهم عيوناً له فأخذوا بخطم أبعرتهم، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال أبو سفيان: هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم؟

وروى إسحاق بن راهويه بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ لما نزل مر الظهران رقت نفس العباس لأهل مكة

فقال: واصباح قريش، والله لئن دخلها رسول الله ﷺ عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر، قال العباس فأخذت بغلة رسول الله ﷺ الشهباء فركبتها وقلت ألتمس حطاباً أو صاحب لبن، أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة، فوالله إني لفي الأراك ألتمس ما خرجت إليه إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً، فقال بديل بن ورقاء: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب، فقال أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، قال العباس: فعرفت صوت أبي سفيان فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: لبيك يا أبا الفضل، ما لك فداك أبي وأمي؟ فقلت: ويلك، هذا رسول الله ﷺ في عشرة آلاف مقاتل، فقال: واصباح قريش، فقال: بأبي أنت وأمي فما تأمرني؟ هل من حيلة؟ قلت: نعم، اركب عجز هذه البغلة فأذهب بك إلى رسول الله ﷺ فأستأمنه لك، فوالله إن ظفر بك قبل رسول الله لتقتلن، فركب خلفي. قال العباس: فجئت بأبي سفيان، وكان الناس كلما رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، قام فقال: من هذا؟ قلت: العباس، فذهب ينظر فرأى أبا سفيان خلفي، فقال: أيْ عدوَّ الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ وركضتُ البغلة فسبقته فاجتمعنا على باب قبة رسول الله ﷺ فنزلت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عمر على أثري، فقال عُمر: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني لأضرب عنقه. قال: فقلت يا رسول، إني قد أجرته، ثم التزمت رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت: والله لا يناجيه الليلة أحد دوني، فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلتَ هذا ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك أحب إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب

إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم. وقال ابن عقبة: قال العباس، فقلت يا رسول الله أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قد أجرتهم وهم يدخلون عليك، فقال رسول الله ﷺ: **«أدخلهم»**، فدخلوا فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام فشهد حكم بن حزام وبديل بن ورقاء أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وقال أبو سفيان: والله إن في النفس من هذا لشيئاً. وقيل: إن أبا سفيان لما عرض عليه الإسلام قال: كيف أصنع باللأت والعزى؟ فقال عمر: اخرأ عليها، فقال رسول الله ﷺ: **«اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فائتني به»**. قال: فذهبت به إلى رحلي، فلما أذن لصلاة الصبح أذن العسكر كلهم ففزع أبو سفيان من أذانهم وقال: ما يصنع هؤلاء؟ قال العباس: الصلاة، قال كم يصلون؟ قلت خمس صلوات في اليوم والليلة، ثم رآهم يتلقون وضوء رسول الله ﷺ، فقال: ما رأيت ملكاً قط كاليوم لا ملك كسرى ولا قيصر، قال العباس: فلما صلى رسول الله ﷺ الصبح غدوت به إليه، فقال له رسول الله ﷺ: **«يا أبا سفيان ألم يَأْنِ لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟»** قال: بأبي وأمي أنت، ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك، إنه لو كان مع الله إلّه لقد أغنى عنّي شيئاً بعدُ، فقال: **«ويحك يا أبا سفيان، ألم يَأْنِ لك أن تعلم أني رسول الله؟»** فقال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك، أما هذه فوالله إن في النفس منها شيئاً حتى الآن، فقال العباس: ويحك أسلم قبل أن تضرب عنقك، فشهد شهادة الحق. قال: قال أبو سفيان وحكيم بن حزام: يا رسول الله جئت بأوباش الناس من يعرف ومن لا يعرف إلى أهلك وعشيرتك، فقال رسول الله ﷺ: **«أنتم أظلم وأفجر، قد غدرتم بعهد الحديبية وظاهرتم على بني كعب بالإثم والعدوان في حرم الله تعالى وأمنه»**، فقال حكيم وأبو سفيان: صدقت يا رسول الله، ثم قالا: لو كنت جدّك جعلته ومكيدتك لهوازن فهم أبعد رحماً وأشد عداوة لك، فقال رسول الله ﷺ: **«إني لأرجو من ربّي أن يجمع لي ذلك كله: فتح مكة وإعزاز الإسلام بها، وهزيمة هوازن وغنيمة أموالهم وذراريهم فإني أرغب إلى الله تعالى في ذلك»**.

قال ابن عقبة: قال أبو سفيان وحكيم بن حزام: يا رسول الله، ادعُ الناس بالأمان، أرأيت إن اعتزلت قريش وكفت أيديها آمنون هم؟ قال عليه الصلاة والسلام: «نعم» قال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان وجه الشرف والفخر فاجعل له شيئاً، فقال: **«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن»**. قال ابن إسحاق: لما ذهب أبو سفيان لينصرف قال عليه الصلاة والسلام للعباس: **«احبسه بمضيق الوادي»**، ففعل، فقال أبو سفيان: أغدراً بني هاشم؟ فقال العباس: إن أهل النبوّة لا يغدرون، ولكن اصبر حتى تنظر جنود الله وإلى ما أعد الله للمشركين. وقدَّم رسول الله ﷺ الكتائب بين يديه ومرت القبائل على قادتها والكتائب على راياتها، فكان أول من قدَّم خَالد بن الوليد في بني سليم ألف دارع على متون الخيل ومعهم لواءان أحدهما يحمله العباس بن مرداس والثاني يحمله خفاف بن ندبة، ومعهم راية يحملها حجاج بن عُلاط، فلما مر خالد بأبي سفيان كبَّر ثلاثاً وكبروا معه، فقال أبو سفيان: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: هذا خالد بن الوليد، قال: الغلام، قال: نعم، قال: ومن معه؟ قال: بنو سليم، قال: ما لي ولبني سليم؟

ثم مرَّ على أثره الزبير بن العوام في خمسمائة من المهاجرين وأفناء العرب ومعه راية سوداء، فلما مروا بأبي سفيان كبروا ثلاثاً، فقال أبو سفيان: مَنْ هؤلاء؟ قال: الزبير بن العوام، قال: ابن أختك؟ قال: نعم. ثم مرت بنو غفار في ثلاثمائة يحمل رايتهم أبو ذر، ويقال: أيماء بن رحضة، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً، فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال: بنو غفار، قال: ما لي ولبني غفار؟ ثم مرت أسلم في أربعمائة لها لواءان يحمل أحدهما بريدة بن الحُصَيْب ويحمل الآخر ناجية بن الأعجم فلما حاذوه كبروا ثلاثاً، فقال: مَن هؤلاء يا عباس؟ قال: أسلم، قال: ما لي ولأسلم؟ ثم مرت بنو كعب بن عمرو في خمسمائة يحمل رايتهم بُسيْر بن سفيان فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال: من هؤلاء؟ قال العباس: بنو كعب بن عمرو، قال: حلفاء محمد؟ قال: نعم هؤلاء حلفاء محمد، ثم مرت مزينة في ألف معها ثلاثة

ألوية ومائة فرس: أحد ألويتها يحمله النعمان بن مقرن، والثاني عند عبدالله بن عمرو بن عوف، والثالث عند بلال بن الحارث، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال: مَنْ هؤلاء؟ فقال العباس: مزينة، قال: ما لي ولمزينة؟ قد جاءتني تقعقع من شواهقها؛ ثم مرت جهينة في ثمانمائة عندها أربعة ألوية يحمل أحدها أبو رَوْعَة مَعْبَدُ بنُ خالد والثاني عند سويد بن صخر، والثالث عند رافع بن مكيث، والرابع عند عبدالله بن بدر، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال: من هؤلاء؟ قال: جهينة، قال: ما لي ولجهينة؟ ثم مرت كنانة بنو ضمرة وليث وسعد بن بكر في مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثي، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً، فقال: من هؤلاء؟ قال: بنو بكر، قال: نعم، أهل شؤم والله هؤلاء الذين غزا محمد بسببهم، قال العباس: قد خار الله لكم في غزو محمد ﷺ، أتاكم أمنكم ودخلتم في الإسلام كافة، ثم مرت أشجع - بالشين المعجمة - وهم آخر من مرَّ: ثلاثمائة فيهم لواءان أحدهما عند معقل بن سنان والثاني عند نعيم بن مسعود، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً قال أبو سفيان من هؤلاء؟ قال: هؤلاء أشجع، قال أبو سفيان: هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد، قال العباس: أدخل الله تعالى الإسلام في قلوبهم فهذا فضل من الله، ثم قال أبو سفيان: أَبَعْدُ ما مضى محمد؟ فقال العباس: لم يمض بعْدُ، لو أتت الكتيبة التي فيها محمد لرأيت الحديد فيها والخيل والرجال وما ليس لأحد به طاقة، قال: ومن له بهؤلاء طاقة؟ وجعل الناس يمرون وكلما مر ناس سأل أبو سفيان: ما مر محمد؟ حتى طلعت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء التي فيها المهاجرون والأنصار وفيها الرايات والألوية مع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية وهم في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه فيها زجل بصوت عالٍ وهو يزعها يقول: رويداً حتى يلحق آخرُكم بأولكم. قيل: كان بتلك الكتيبة ألفا دارع وأعطى رسول الله ﷺ رايته لسعد بن عبادة أمام الكتيبة، فلما مر سعدٌ نَادى أبا سفيان فقال: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً، قال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار، فمرت القبائل وطلع رسول الله ﷺ وهو على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير

يحدثهما، فقال العباس: هذا رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان: لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً، قال العباس: يا أبا سفيان إنها النبوة، قال: فنعم إذاً.

فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: يا رسول الله أمرت بقتل قومك؟ ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال كذا وكذا، وإني أنشدك الله في قومك فأنت أبر الناس، وأوصل الناس وأرحم الناس فقال رسول الله ﷺ: **«كذب سعد، يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يوم يعظم الله فيه الكعبة، اليوم يوم تكسى فيه الكعبة، اليوم يوم أعز الله فيه قريشاً»**.

وقال ضرار بن الخطاب الفهري يستعطف رسول الله ﷺ:

يا نَبيَّ الهُدَى إليك لجا	حيُّ قريش ولاتَ حينَ لَجَاءِ
حين ضاقت عليهم سَعَةُ الأرْ	ضُ وعَادَاهُمْ إلٰهُ السَّمَاءِ
والْتقتْ حلقتا البطان على القَوْ	مِ ونُودوا بالصَّيلم الصَّلعاء
إنَّ سعداً يريد قاصمة الظَّهْـ	ـرِ بأهل الحجون والبطحاء
خزرجيٌّ لو يستطيع من الغَيْـ	ـظِ زماناً بالنَّسْرِ وَالْعَوَّاء
وَغِرُ الصدر لا يهتم بشيْء	غيرَ سفك الدما وَسَبْي النساء
قد تلظَّى على البطاح وجاءت	عنه هند بالسَّوْء السَّواء
إذ ينادى بذل حَيِّ قريش	وابنُ حرب بذا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادى	يا حماة الأدبار أهل اللواء
ثم ثابت إليه من بهم الخز	رج والأوس أنجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريش	فِقْعَة القاع في أكف الإماء
فانهيْنهُ فإنه أسد الأسْـ	ـدَ لدى الغاب والغٌ في الدماء
إنه مطرقٌ يريد لنا الأمْـ	ـرَ سكوتاً كالحية الصماء

قالوا: فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فنزع اللواء من يده وجعله إلى ولده قيس بن سعد ورأى عليه الصلاة والسلام أن اللواء لم يخرج من يد سعد بن عبادة حين صار إلى ابنه.

وقيل في أمر الراية غير ذلك، فالله تعالى أعلم.

قال العباس فقلت لأبي سفيان: انجُ ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم رسول الله ﷺ، فخرج أبو سفيان فتقدم الناس حتى دخل مكة من كداء وصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، أسلموا تسلموا، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله، وما تغني دارك؟ قال: ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. فقامت إليه هند بنت عتبة زوجته فأخذت بشاربه وقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس، قبّح من طليعة قوم، فقال أبو سفيان: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به.

ذِكرُ من أهدر عليه الصلاة والسلام دمه يوم الفتح

١ ـ عبدالعزى بن خطل

كان هذا الكافر قد أسلم وسماه رسول الله ﷺ عبدالله، وهاجر إلى المدينة وبعثه عليه الصلاة والسلام مُصدِّقاً وبعث معه رجلاً من خزاعة وكان يصنع له طعامه ويخدمه، فنزلا في مجمع حيث تجتمع فيه الأعراب يؤدون فيه صدقاتهم، فأمره أن يصنع له طعاماً ونام نصف النهار واستيقظ والخزاعي نائم لم يصنع له شيئاً فعدى عليه فقتله وارتد عن الإسلام وهرب إلى مكة وكان يهجو رسول الله وكانت له قينتان فاسقتان يأمرهما أن تغنيا بهجاء رسول الله ﷺ. وروى مالك عن ابن شهاب عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال عليه الصلاة والسلام: «اقتلوه» متفق عليه.

٢ ـ عبدالله بن سعد بن أبي سرح

كان أسلم ثم ارتد، فشفع فيه عثمان يوم الفتح فحقن دمه وأسلم بعد ذلك فقبل إسلامه وحسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه عثمان ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضائها ولقد كان من النجباء الكرماء العُقلاء من قريش وكان فارس بني عامر بن لؤي المقدم فيهم وهو أحد كتاب الوحي.

٣ ـ عكرمة بن أبي جهل

وقد أسلم وحسن إسلامه ومات شهيداً في خلافة أبي بكر أو في أول خلافة عمر.

٤ ـ الحويرث

بالتّصغير، بن نقيذَر بضم النون، فقد كان يؤذي رسول الله ﷺ، ونخس بزينب بنت رسول الله ﷺ لمَّا هاجرت إلى المدينة، فأهدر دمه، فبينما هو في منزله قد أغلق عليه بابه، فسأل عنه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقيل هو بالبادية، فأخبر الحويرث أنه يسأل عنه وتنحّى علي عن بابه فخرج يريد أن يهرب من بيت لآخر فتلقاه عليّ فضرب عنقه.

وكان الحويرث نخس بفاطمة وأم كلثوم حتى وقعتا في الأرض كما قال ابن هشام، وقال البلاذري: كان يعظم القول في رسول الله ﷺ وينشد هجاءه ويكثر أذاه وهو بمكة.

٥ ـ مقيس بن صُبابة

كان قد أسلم ثم أتى على رجل من الأنصار فقتله، وقد كان هذا الأنصاري قتل أخاه هشاماً خطأً، وقد تقدم ذكر ذلك في غزوة المريسيع، فجاء مقيس فأخذ دية أخيه ثم قتل الأنصاري وارتد عن الإسلام فأهدر رسول الله ﷺ دمه فقتله نميلة بن عبدالله.

٦ ـ هبَّار بن الأسود

كان شديد الأذى للمسلمين وعرض لزينب بنت رسول الله ﷺ لما

هاجرت فنخس بها فأسقطت ولم يزل بها المرض حتى ماتت رضي الله عنها، ولما كان يوم الفتح وقد بلغه أن رسول الله ﷺ أهدر دمه، أسلم وأعلن إسلامه فقبله منه عليه الصلاة والسلام وعفا عنه.

٧ ـ الحويرث بن الطلاطل الخزاعي

قتله عليّ بن أبي طالب، ذكره أبو معشر.

٨ ـ وحشي بن حرب

تقدم فعله في غزوة أحد، وهرب إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف جاء فأسلم وقبل منه إسلامه.

٩ ـ هند بنت عتبة بن ربيعة امرأة أبي سفيان

كانت مَثَّلَتْ بعم رسول الله ﷺ يوم أحد فشقت عن كبد سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه فأهدر عليه الصلاة والسلام دمها وأسلمت فعفا عنها.

١٠ ـ سارة مولاة لبعض المطلب بن عبد مناف

فقد كانت مغنية نواحة بمكة، وكانت قدمت قبل الفتح على رسول الله ﷺ تطلب منه الصلة وشكت إليه الحاجة فوصلها وأوقر لها بعيراً طعاماً فرجعت إلى قريش وكان ابن خطل يلقي عليها هجاء رسول الله ﷺ فتغني به، وهي التي وجد عندها كتاب حاطب بن أبي بلتعة فأسلمت وقبل منها وعاشت إلى خلافة عمر بن الخطاب.

١١ و١٢ ـ قينتان لابن خطل هما:

فرتنى وقريبة ضد بعيدة، كانتا تغنيان بهجو رسول الله ﷺ، استؤمن لإحداهما فأسلمت وقتلت الأخرى واختلف في الناجية منهما وذكر ابن إسحاق أن فرتنى هي التي أسلمت وأن قريبة قتلت.



كيف دخل جيش رسول الله ﷺ مكة؟

قال ابن إسحاق: ولما انتهى المسلمون إلى ذي طوى وقفوا ينتظرون رسول الله ﷺ حتى وصل على ناقته القصواء وتوسط الناس وإن عثنونَه ليمس واسطة رحله أو يكاد تواضعاً لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله تعالى وكثرة المسلمين ثم قال: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة**» وجعلت خيل الله تمعج بذي طوى في كل وجه ثم ثابت وسكنت حين توسطهم رسول الله ﷺ، وسأل رسول الله ﷺ: «**ماذا قال حسان؟**» قال قائل:

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداءُ

فقال عليه الصلاة والسلام: «**ادخلوها من حيث قال حسان**».

قال الصالحي: وفي الصحيح وغيره أن رسول الله ﷺ أمر الزبير بن العوام أن يدخل من كداء من أعلى مكة وأن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه. وأمر خالد بن الوليد، وكان على المُجَنَّبَة اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار وجهينة وقبائل من العرب، قال لهؤلاء: «**ادخلوا من الليط**» وهو أسفل مكة وأمره أن يغرز رايته عند أدنى البيوت، قالوا: وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله ﷺ.

وأمر رسول الله ﷺ أمراءه أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم.

قال ابن إسحاق: وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو جمعوا أناساً بالخندمة وضوى إليهم ناس من قريش وبني بكر وهذيل ولبسوا السلاح يقسمون بالله لا يدخلها محمد عنوة أبداً.

وكان رجل من بني الدِّيل اسمه حماس بن قيس بن خالد لما سمع بدخول رسول الله ﷺ جعل يصلح سلاحه، فقالت له امرأته: لمن تُعِدُّ هذا السلاح؟ قال: لمحمد وأصحابه، إني لأرجو أن أخدمك بعضهم إنك

لمحتاجة إليه، قالت: ويلك لا تفعل ولا تقاتل محمداً، والله ليضلنّ عنك رأيك إذا رأيت محمداً وأصحابه، قال: سنرى ثم قال يرتجز:

إنْ يُقْبِلوا اليومَ فما لي عِلّةْ هذا سِلاحٌ كاملٌ وألّةْ
وذو غِرارين سريع السّلّةْ

ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل بن عمرو، فلما دخل خالد من حيث أمره رسول الله ﷺ وجد التجمع المذكور فمنعوه الدخول وشهروا في وجهه السلاح ورموه بالنبل وقالوا: لا تدخلها عنوة، فصاح في أصحابه فقاتلهم وقتل أربعة وعشرين رجلاً من قريش وأربعة من هذيل وانهزموا أقبح هزيمة حتى قتلوا بالحزورة وانطلقت طائفة منهم فوق الجبال وأتبعهم المسلمون.

قال ابن هشام: وكان شعار المهاجرين يومئذ ويوم حنين والطائف: يا بني عبدالرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبدالله، وشعار الأوس: يا بني عبيد الله.

وجعل كل من أبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام يصيح: يا معشر قريش، على ما تقتلون أنفسكم؟ من دخل داره فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن، فجعل الناس يقتحمون الدور ويغلقون عليهم ويطرحون السلاح في الطرق حتى يأخذه المسلمون، ورجع حماس منهزماً حتى انتهى إلى بيته فدقّه ففتحت له امرأته فدخل وقد ذهبت روحه، فقالت له: أين الخادم الذي وعدتني؟ ما زلت منتظرة لك منذ اليوم ـ فهي تسخر منه ـ فقال: دعي هذا عنك وأغلقي عليّ بابي، ثم قال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذْ فرَّ صفوان وفر عكرمة
وأبو يزيد كالعجوز المؤتمة واستقبلتنا بالسيوف المسلمة
لهم نهيت خلفنا وهمهمة وابن الوليد في الثرى قد ألجَمَهْ
يقطع كل هامة وجمجمة ضرباً فلا تسمع إلا غمغمة
لمْ تنطقي باللوم أدنى كلمة

ولم يقتل يوم الفتح من المسلمين إلا رجلان من أصحاب الزبير بن العوام أخطآ الطريق فسلكا غيره فقتلا، وهما كرز بن جابر الفهري وحُبيش بن خالد بن ربيعة بن الأشعر الكعبي رضي الله عنهما.

ودخل هو ﷺ من ريع أذاخر فلما ظهر على الريع نظر إلى البارقة، قال: **«ما هذه البارقة؟ ألم آنَ عن القتال؟»** قالوا: يا رسول الله خالد بن الوليد قوتل ولو لم يقاتَل ما قاتَل وما كان يا رسول الله ليعصيك ولا يخالف أمرك، فقال عليه الصلاة والسلام: **«قضاء الله خير»**.

وكان قد لقيه في الطريق ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وابن عمته عبدالله بن أبي أمية، لقياه بالأبواء فأعرض عنهما لما كان يلقى منهما من الأذى والهجو، فقالت له أم سلمة: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك. وذكر ابن القيّم عن أبي عمر بن عبدالبر أن عليّ بن أبي طالب قال لأبي سفيان: ائت رسول الله من قِبَل وجهه وقل له ما قاله إخوة يوسف ليوسف: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩١]، فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولاً، ففعل ذلك أبو سفيان، فقال عليه الصلاة والسلام: **«لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»** فأنشد أبو سفيان أبياتاً منها قوله:

لعمرك إني حين أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمَّد

لكالمدلج الحيران أظلم ليله ... فهذا أواني حين أهدي وأهتدي

هداني هادٍ غير نفسي ودلني ... على الله من طردته كل مُطرَّد

فضرب رسول الله ﷺ صدره بيده وقال: **«أنت طردتني كل مُطرَّد؟»** وحسن إسلامه. ويقال: إنه ما رفع وجهه إلى رسول الله ﷺ منذ أسلم، وكان رسول الله ﷺ يحبه ويقول: **«أرجو أن يكون خلفاً من حمزة»** ولما حضرته الوفاة قال: لا تبكوا عليّ، فوالله ما تعمدت خطيئة منذ أسلمت.

عود إلى الحديث: قالوا: وقد وبّشت قريش أوباشاً لها، فقالوا: نقدم هؤلاء، فإن كان لقريش كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا، فقال

رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة**» فقال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**اهتف لي بالأنصار ولا يأتني إلا أنصاري**» فهتف بهم فجاؤوا فأطافوا برسول الله ﷺ فقال: «**أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم؟**» ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى: «**احصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفا**»، فانطلقوا على أن لا يشاء أحد منهم أن يقتل أحداً إلا فعل، وما وجه أحد منهم إليهم شيئاً، وركزت راية رسول الله ﷺ بالحجون عند مسجد الفتح، وكان أبو رافع قد ضرب له قبة من أدَم فأقبل عليه الصلاة والسلام حتى انتهى إليها ومعه أم سلمة وميمونة بنت الحارث زوجتاه. وكان ذلك الموضع الذي نزل به هو الذي تعاقدت قريش وتقاسمت على الكفر به وكتبوا صحيفتهم الآثمة، وما نزل رسول الله ﷺ بمكة إلا به، نزله في عمرة القضاء ويوم الفتح وفي حجة الوداع وهو المعروف اليوم بمسجد المحصب بخيف بني عامر.

وكانت أم هانىء بنت أبي طالب فرَّ إليها حموان لها من بني مخزوم فأجارتهما فدخل عليها عليّ بن أبي طالب فأراد قتلهما فقالت: والله لا تفعل بهما قبل أن تبدأ بي قبلهما، قالت: فخرج من عندي وما كاد، فذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، قالت: فلما رآني رحب بي وقال: «**ما جاء بك يا أم هانىء**» قالت: كنتُ أمنت حموين لي هما فلان وفلان فأراد عليّ قتلهما، فقال رسول الله ﷺ: «**قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانىء**» قالت: ثم قام إلى غُسله فسترته فاطمة، ثم أخذ ثوباً فالتحف به ثم صلّى الضحى ثمان ركعات، رواه مسلم والبيهقي. وعنهما أنه ﷺ اغتسل يوم الفتح في بيت أم هانىء وصلّى ثمان ركعات، قالت: لم أره صلى صلاة أخف منها غير أنه يتم ركوعها وسجودها، رواه البخاري والبيهقي.

أما الرجلان اللذان أجارتهما أم هانىء، فقيل: هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية، وقيل عبدالله بن أبي ربيعة بدلاً من زهير، وقيل غير ذلك والله تعالى أعلم.



إسلام أبي قحافة
والد أبي بكر رضي الله عنهما

روى الإمام أحمد والطبراني والبيهقي عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما كان يوم الفتح ونزل ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لابنته قريبة، ضد بعيدة، كانت من أصغر ذريته، قال: يا بنية أشرفي بي على أبي قبيس، وقد كف بصره، ففعلت، فقال: أي بنية ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً كثيراً وأرى رجلاً يشتد بين ذلك السواد مقبلاً مدبراً، قال: ذلك الوازع، ثم قال: ماذا ترين؟ قالت: أرى السواد قد تفرق وانتشر، فقال: إذن انتشرت الخيل، وفي عُنقها طوق من وَرِق، فاقتلعه إنسان من عنقها، فلما دخل رسول الله المسجد خرج أبو بكر يقوده رضي الله عنهما حتى جاء به رسول الله ﷺ وكأن رأسه ثغامة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «**هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟**» فقال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه، فجلس بين يدي رسول الله ﷺ فمسح عليه الصلاة والسلام صدره ودعاه إلى الإسلام فأسلم، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أنشدكم بالله والإسلام طوق أختي، فلم يأت به أحد، فقال: يا أخية احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة اليوم قليل.

قال الصالحي: وقد قال رسول الله ﷺ: «**كفُّوا السلاح إلاّ خزاعة عن بني بكر إلى صلاة العصر**»، فخبطوهم ساعة، وهي الساعة التي أحلت لرسول الله ﷺ ولم تحل لأحد قبله.

دخوله ﷺ المسجد وطوافه بالبيت

مكث رسول الله ﷺ بقبته ساعة من النهار حتى اطمأن الناس فاغتسل ثم دعا براحلته القصواء فأدنيت إلى باب قبته فأسرجت وعاد للبس السلاح

ووضع المغفر على رأسه وقد حف الناس به فركب راحلته، والخيل تمعج ما بين الخندمة إلى الحجون، ومرَّ عليه الصلاة والسلام وإلى جنبه أبو بكر، بينات أبي أحيحة وقد نشرن شعورهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر، فنظر رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وتبسم وسأل: **«ماذا قال حسان؟»** قال أبو بكر رضي الله عنه:

تظل جيادنا متمطرات   تلطمهن بالخمر النساء

ولما انتهى إلى الكعبة تقدم على راحلته فاستلم الركن بمحجنه وكبَّر فكبَّر المسلمون بتكبيره ورجعوا التكبير حتى ارتجت مكة وحتى أشار إليهم عليه الصلاة والسلام أن: اسكتوا، والمشركون فوق الجبال ينظرون، فطاف بالبيت سبعاً، وزمام ناقته بيد محمد بن مسلمة، فلما فرغ من طوافه نزل عن راحلته فخرج بها معمر بن عبدالله بن نضلة فأناخها بالوادي، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى المقام وهو لاصق بالكعبة فصلى ركعتين ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها، وقال: لولا تغلب بنو عبدالمطلب لنزعت منها دلواً، فنزع له العباس دلواً، وقيل غيره، فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم والمشركون ينظرون ويتعجبون.

وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فكان ﷺ كلما حاذى صنماً منها أشار إليه وهو يقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، فيسقط الصنم على وجهه أو على قفاه من غير أن يمسه عليه الصلاة والسلام، وفي ذلك يقول تميم بن أسد الخزاعي:

وفي الأصنام معتبر وعلمٌ   لمن يرجو الثواب أو العقابا

ولما انتهى عليه الصلاة والسلام من طوافه وصلاته أمر بهبل فكسِّر وهو واقف عليه، فقال الزبير بن العوام: يا أبا سفيان قد كُسِّرَ هبل، أما إنك كنت منه يوم أحد في غرور، فقال أبو سفيان: دع عنك هذا يا ابن العوام فقد أرى أن لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان.

وجلس رسول الله ﷺ ناحية من المسجد والناس حوله وأرسل إلى

عثمان بن طلحة أن يأتيه بالمفتاح فجاءه به ففتح الكعبة بيده الشريفة ودخل الكعبة هو وأسامة وبلال وعثمان بن طلحة فأغلقوا عليهم الباب وصلى رسول الله ﷺ ركعتين في الكعبة.

ولما خرج ﷺ من الكعبة اجتمع له النّاس وأشرف عليهم وقد ليط بهم حول الكعبة وهم جلوس وجنود الله من حولهم فقام على باب البيت فقال: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده»** ولفظ الإمام أحمد: **«الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، يا معشر قريش ما تقولون؟ ماذا تظنون؟»**، قالوا: نقول خيراً ونظن خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت، فقال رسول الله ﷺ: **«فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ اذهبوا فأنتم الطلقاء»**، فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام ثم قال رسول الله ﷺ: **«ألا إن كل ربا في الجاهلية أو دمٍ أو مأثرة أو مال يدَّعى فهو تحت قدمي هاتين، وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وفي قتيل العصا والسوط والخطإ شبه العمد الدية مغلظة مائة ناقة منها أربعون في بطونها أولادها، ألا وإن الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتكبُّرها بآبائها، كلكم لآدم وآدم من تراب»**، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾، **يا أيها الناس، الناس رجلان: فبرٌّ تقيٌّ كريم وكافر شقي هيّنٌ على الله، ألا إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ووضع هذين الأخشبين فهي حرام بحرمة الله، لم تحل لأحد كان قبلي ولن تحل لأحد كان بعدي، لم تحل لي إلا ساعة من نهار»**، يقصرها ﷺ بيده هكذا **«ولا ينفر صيدها ولا يعضد عضاهها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد، ولا يختلى خلاها»**، وقال العباس ـ وكان شيخاً مجرباً ـ: إلا الإذخرَ يا رسول الله فإنه لا بد لنا منه للقين وظهور البيوت، فسكت رسول الله ﷺ ساعة ثم قال: **«إلا الإذخر فإنه حلال، ولا وصية، وإن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ولا يحل لامرأة أن تعطي من مال زوجها إلا بإذن**

زوجها، والمسلم أخو المسلم، والمسلمون إخوة، والمسلمون يد واحدة على من سواهم، تتكافأ دماؤهم وهم يرد عليهم أقصاهم ويعقل عليهم أدناهم، ومشدهم على مضعفهم ومثريهم على قاعدهم، ولا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده، ولا يتوارث أهل ملّتين مُخْتَلِفَتَين، ولا جلَب ولا جَنَب، ولا تؤخذ صدقات المسلمين إلا في بيوتهم وبأفنِيَتهم، ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها، البينة على من ادّعى واليمين على من أنكر، ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث إلا مع ذي محرم، ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح وأنهاكم عن صيام يومين: يوم الأضحى ويوم الفطر، وعن لبستين: أن لا يحتبي أحدكم في ثوب واحد يفضي بعورته إلى السماء، وأن لا يشتمل الصماء». فقام رجل فقال: يا رسول الله ﷺ إني قد عاهرت في الجاهلية، فقال: «من عاهر بامرأة لا يملكها أو أمة قوم آخرين لا يملكها ثم ادعى ولده بعد ذلك فإنه لا يجوز له، ولا يرث ولا يورث ولا أخالكم إلا قد عرفتموها يا معشر المسلمين كفُّوا السلاح إلا خزاعة عن بني بكر من ضحوة نهار الفتح إلى صلاة العصر منه» فخبطوهم ساعة، وهي الساعة التي أُحِلَّتْ لرسول الله ﷺ ولم تحل لأحد قبله. ثم قال لهم: «كفوا السلاح» فقام أبو شاة فقال: اكتب لي يا رسول الله فقال: «اكتبوا لأبي شاة. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم».

قال ابن القيم: وذكر ابن سعد في الطبقات عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس، فأقبل رسول الله ﷺ يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال: «يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت»، فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ وذلت، فقال: «بل عمرت وعزت يومئذ» ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعاً ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال، فلما كان يوم الفتح قال: «يا عثمان ائتني بالمفتاح» فأتيته به فأخذه مني ثم دفعه إليَّ وقال: «خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف» قال: فلما وليت ناداني فرجعت إليه فقال: «ألم يكن الذي قلت لك؟» قال:

فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة: **«العلك سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت»** فقلت: بلى، أشهد أنك رسول الله.

وأمر رسول الله ﷺ يومئذ بلالاً بالأذان لصلاة الظهر على ظهر الكعبة، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام وأشراف من قريش جلوس بأفناء الكعبة، فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه، فقال الحارث أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته، فقال أبو سفيان أما والله لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرته عني هذه الحصباء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال لهم: «قد علمت الذي قلتم» ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، ما اطلع على هذا أحد معنا فنقول أخبرك.

وفي اليوم التّالي ليوم الفتح قام عليه الصلاة والسلام خطيباً فقال: **«أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماءً أو يعضد بها شجرة، فإنْ أحدٌ ترخَّص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لك وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب»**.

ولما فتح الله مكة على رسوله ـ وهي بلده موطنه ومولده ـ قال الأنصار فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده، يحب أن يقيم بها؟ وكان رسول الله في ذلك الوقت واقفاً على الصفا يدعو ربه، فلما فرغ من دعائه قال: **«ماذا قلتم؟»** قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال عليه الصلاة والسلام: **«معاذ الله، المحيا محياكم والممات مماتكم»**.

وهَمَّ فُضالة بن عمير بن الملوح أن يقتل رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت فلما دنا من رسول الله ﷺ قال: **«أفضالة؟»** قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال: **«ماذا كنت تحدث به نفسك؟»** قال لا شيء، كنت أذكرُ الله، فضحك النبي ﷺ ثم قال: **«استغفِر الله»** ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، وكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً

أحب إليَّ منه. قال فضالة: فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت هلم إلى الحديث فقلت: لا. وانبعث فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا ... يأبى عليك الله والإسلام
لو قد رأيت محمداً وقبيله ... بالفتح يوم تكسَّرُ الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بيناً ... والشرك يغشى وجهه الإظلام

وفَرَّ صَفْوانُ بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، فأما صفوان فاستأمن له عمير بن وهب فلحقه وهو يريد أن يركب البحر فرده وقال: اجعلني أتروى في نفسي شهرين، قال أنت بالخيار أربعة أشهر. وأما عكرمة فاستأمنت له زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام رسول الله ﷺ فأمنه، فلحقت به فردته فأسلم وفرح رسول الله ﷺ بإسلامه.

وقد أقر ﷺ كلاً من صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل على نكاحه.

ثم إن رسول الله ﷺ أمر تميم بن أسيد الخزاعي بتجديد أنصاب الحرم، وكان جَدَّدها من قبل ذلك قصي، ومن قبل قصي جدَّدها إسماعيل على ما وضعها عليه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد. ثم إن رسول الله ﷺ بثَّ سراياه إلى الأوثان التي كانت حول الكعبة فكسِّرتْ كلها، مثل اللاَّت والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ونادى منادي رسول الله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدعْ في بيته صنماً إلا كسَّره»**.

قلت: ولقد ذكر الشيخ أحمد البدوي الفتح العظيم فقال:

ثم إلى الفتح الخزاعيُّ ذمَرْ ... عشرة آلاف فعزَّ وانتصرْ
وهو الذي تهللت لنصره ... سحابةٌ ومن بليغ شعره
يا رب إني ناشد محمَّدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا
لدعوة النبيِّ أخِّر الخبرْ ... عن مكة فلم يُؤَذْ بل جَهَرْ
وخَابَ صخر إذْ أتى يزأبُ ما ... أثْأَهُ غَدْرُ قومِهِ فانْفَصَما

وحاطبُ بنُ أبي بَلْتَعَة أرسل إذْ زحُوفُه شَرَعَتِ
إلى قريشٍ رقعةً مَعَ مَرَهْ فأودعتْها قرنَها تلك الْمَرَهْ
فأخبر الهادي بها فأرسلا من جاءه كرهاً بها وامْتثلا
وللنبيِّ عرضَ ابن عمَّته ونَجلُ عمِّه عزيزُ فِئَتهْ
وعنهما أعْرَضَ جرًّا مأثَمَهْ فاستشفعا له بأم سلمهْ
وأقبلتْ جنود صفوة الأمَمْ أمامه حتى انتهوا إلى الحرم
وضُربَتْ له هناك قُبَّهْ أرضى بها الله وأرضى حِزْبهْ
فاخترمَ الحرمَ إذ هو الحرمْ محرَّمٌ مؤمِّنٌ ممن هَجَمْ
وحينَ حلّ بأزاء الحرم أمر أن يوقِدَ كل مُسْلِم
ناراً فأبصرَ أبو سفيانا وكان يرتقبه النيرانا
فارْتاعَ فانْسَلَّ أذَنْ عمُّ النبي فالتقيا فجَا به عَن كثب
وزعم ابن قيْسٍ أن سيحفدا رجالهم خُلَّتَهُ وأنشدا
إن يُقبلوا اليوم فما لي عِلَّهْ هذا سلاح كامل وألّهْ
وشهد المأزِق فيه حُطِما رَمْز يَب من قومه فانْهَزما
وجاء فاستغلق بابه البتول فاستفْهَمتْهُ أين ما كنت تَقُولْ
فقال والفزعُ زعفر دمه إنك لو شهدت يوم الخندمه
إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمه واستقبلتنا بالسيوف المسلمهْ
وفازَ من لاذ به واسترحَمَهْ يومئذٍ إذْ هو يَوْمُ المرحمَهْ
كابْن أبي سَرْح وزير الخلفا وناخس البَكْر ببنت المصطفى
وهلكت لنخسه وألْقت ذا بطنها والبرح منه لاقتِ
بحرقه أمر ثُمّ رجعا لقتله والنار عنه دفعا
وبعدما أشفى على الإحراق تداركته رحمة الخَلاّق
فحقن الله بالإسلام دمه سبحانه من رَاحمٍ ما أرْحمَهْ
أحنَى وأرأفُ من الأمِّ بنا وهكذا رسوله كان لنا
يدخلنا الجنّة إلاّ مَنْ شرَدْ عنه وعن توحيده أبى وَصَدْ

يــقــرُبُ بــالــذِّراع أو بــالْــبَــاعِ | لــلــمــدْنــي بِــشــبْــر أو ذِرَاع
ومَــنْ أتــى يَــمْــشــي أتــاهُ هَــرْوَلَــهْ | فَــضَــاعَــفَ الأجْــر لــه وأجْــزَلَــهْ
يُــضــاعِــفُ الأجــرَ لــســبْــعــمــائــةٍ | فَــفَــوْقَ يُــؤجَــرُ بِــحُــسْــن الــنِّــيَّــةِ
من لطفه أن صحائفَ الذنوبْ | وهْــيَ عَــظــيــمَــةٌ تُــروعُ الْــقُــلُــوبْ
لا تَــزنُ الــتــهــلــيــل فــي بــطــاقَــهْ | كــأنــهــا الــظُّــفْــرُ فــي الــدقــاقَــهْ
بــســبِّــه مَــنْ ســبَّــه آنَــسَــهْ | نَــبِــيُّــنَــا أنْ عَــيــروهُ بَــخْــسَــهْ
صــلَّــى عــلــيــه الله مــا أحــلــمــه | عــن سَــيِّــىء الْــحُــوبِ ومــا أكــرمــه
وكــأبــي ســفــيــان وابــن عَــمَّــتِــهْ | وكــابْــن عــمِّــه وأهــل بَــكَّــتِــهْ
واخــتــلــفُــوا فــيــهــا فــقــيــلَ أمِّــنَــتْ | والــحــقُّ عَــنْــوةً وكــرهــاً أُخِــذَتْ
وأخــبــر الــنَّــبِــيُّ بــارئــي الــنَّــسَــمْ | بِقــولــهــم يَــسْــكــن بــعــدهــا الــحــرم
وبــالَّــذي قــالــوه إذْ لــم يُــزهِــقــا | تــداركــتْــهُ رَحْــمــةٌ فــأشْــفَــقَــا
وبــالــذي قــالــوه فــي الــمــؤذن | وبــالــذي بــه فُــضَــالَــةُ عَــنِــي
وأخَــذَ الــمــفــتــاح ثــم ردَّهُ | عن رغْمِ قَوْمه الذينَ عنده... اهـ

بَعْثُ خالد بن الوليد إلى الْعُزَّى لهدمها

وذلك لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان، فخرج إليها في ثلاثين فارساً من أصحابه حتى انتهى إليها فهدمها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «**هل رأيت شيئاً؟**» قال: لا، قال: «**فإنك لم تهدمها**» فارجع إليها فاهدمها، فرجع خالد ـ وهو متغيظ ـ فجرد سيفه، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس، فجعل السادن يصيح بها، فضربها خالد فجزلها باثنتين، ورجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره، فقال: «**نعم، تلك العزى، وقد أيست أن تعبد في بلادكم أبدا**» وكانت بنخلة وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها من بني شيبان.

قلت: وقد ذكر الشيخ غالي بن المختار فال هذا البعث بقوله:

ثُمَّتَ خالداً لهدم العُزَّى ... هدمها حين الرشَادُ عَزَّا
من بعد فتح مكة ورُدَّا ... ليهدم الأساس منها جدًّا
فخرجت منه عَجُوزٌ فحمَلْ ... بالسيف خالد عليها فقَتلْ
وقال إذْ أُخْبِرَ تلك العُزَّى ... قد أيست تعبدَ أو تُعَزَّى... اهـ

بعث عمرو بن العاص إلى سواع ليهدمه

وهو صنم لهذيل، قال عمرو: فانتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه، فقال: لا تقدر على ذلك، قلت: لمَ؟ قال: تُمنع، قلت: حتى الآن أنت على الباطل؟ ويحك فهل يسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرته، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا فيه شيئاً، ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

قلت: ولم يهمل الشيخ غالي هذا البعث فقال:

فَبَعْدَ ذَا عمراً إلى سُواعا ... يهدِمُه وأمرَهُ أطاعا
صيَّره لما أتى جذاذا ... فأسلمَ السادن إذْ رأى ذا... اهـ

بعث سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة ليهدمها

وكانت بالمشلل عند قديد، وهي للأوس والخزرج وغسان وغيرهم فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها، وعندها سادن، فقال السادن ما

تريد؟ قال أهدم مناة، قال: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل، وتضرب صدرها، فقال لها السادن: مناة دونك بعض عصاتك، فضربها سعد فقتلها، وأقبل إلى الصنم فهدمه وكسره ولم يجدوا في خزانته شيئاً.

قلت: ولقد ذكر الشيخ غالي هذا البعث بقوله:

ثُمَّتَ الأشهليُّ سعد بنَ زيْد إلى مناتهم وكانت بقَدِيد

فخرجت منها عجوز سودا ثائرة الرأس تصيح جدًا

عُريانة تضرب صدرها وما أمهل قتلها وهدَّ الصَّنما

بَعثُ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة

قال ابن سعد: ولما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى ورسول الله ﷺ مقيم بمكة، بعثه إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً، فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم، فانتهى إليهم فقال: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذنا فيها، قال: فما بال السلاح عليكم؟ قالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة، فخفنا أن تكونوا هم. وقد قيل إنهم قالوا: صبأنا، صبأنا ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، قال: فضعوا السلاح، فوضعوه، فقال لهم: استأسروا فاستأسر القوم فأمر بعضهم فكتف بعضاً وفرقهم في أصحابه فلما كان في السحر نادى خالد بن الوليد: من كان معه أسير فليضرب عنقه، فأما بنو سليم فقتلوا من كان في أيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم فبلغ النبي ﷺ ما صنع خالد فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» وبعث عليًا يودي لهم قتلاهم وما ذهب منهم، وكان بين خالد وعبدالرحمن بن عوف كلام في ذلك فبلغ النبي ﷺ فقال: «مهلاً يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أحد

ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته».

قلت: وقال الشيخ غالي في بعوثه ذاكراً هذا البعث:

فخالداً مع ثلاثمائة ... ليس مقاتلاً إلى جَذيمةِ
لكنه يسير في تهامة ... يدعو إلى الهُدَى والاستقامة
قالوا لمَّا أتى صبأنا ... معناهُ عندهم لقد صدقنا
قال ضَعُوا سلاحكم فوضعوه ... ولم يضَعْهُ جحدَمٌ فانتزعُوه
منه وكان حازماً ثم أمر ... بَعْضَهُمْ يأسر بعض فأتَمَرْ
فرقهم في قومه وبسحر ... أمرهم بقتلهم وابن عُمَرْ
لم يرضَ ذا وسالم مولى أبي ... حذيفة سليل عتبة الأبي
واستقبل القبلة رافعاً يديه ... صلّى وسلم إلَهنا عليه
لما أتاهُ ذا وقال إذْ دعا ... أبْرأُ مما خالد قد صنعا
وما رأى بذا العتيق عبْره ... ثم مضى لهم بمال حيدرهْ
يدي به دماءهم ومالهم ... حتى ودى ميلغة الكلب لهم... اهـ



غزوة حنين وهي غزوة أوطاس

حنين وأوطاس موضعان بين مكة والطائف، فسميت الغزوة باسم المكان الذي وقعت فيه، ويقال لهذه الغزوة أيضاً غزوة هوازن لأنهم هم الذين أتوا لقتال رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمع مالك بن عوف النصري هوازن وثقيفاً ومضر، وجُشما وسعد بن بكر وناساً من بني هلال، ولم يشهدها من قيس عيلان غير هؤلاء وتخلف عنها من هوازن كعب وكلاب، وكان في جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه إلا رأيه ومعرفته بالحرب، وكان شجاعاً مجرباً وكان في

ثقيف سيدان: قارب بن الأسود سيد الأحلاف، وسبيع بن الحارث سيد بني مالك ومعه أخوه أحمر بن مالك، وكان جماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصري، فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ ساق مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة فسأل دريد: بأي وادٍ أنتم؟ قالوا بأوطاس، قال نعم مجال الخيل لا حَزْنٌ ولا ضَرِسٌ ولا سهل دهس، ما لي أسمع رغاء البعير ونُهاق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك، ودعي له، قال: يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: ولِمَ؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، فقال: راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزمَ شيءٌ؟ فإنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحْتَ في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحد والجدُّ لو كان يوم علاء ورفعة ما غابت عنه كعب ولا كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال: ذانك الجذعان من عامر، لا ينفعان ولا يضران، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة، بيضة هوازن، إلى نحور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم ثم ألق الصباة على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك، قال: والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك، والله لتُطيعُنَّني يا معشر هوازن أو لأتكئنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر ورأي، فقالوا: أطعناك، فقال دُرَيْدٌ: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني، ثم قال:

يا ليتني فيها جذعْ أخُبُّ فيها وأضَعْ
أقودُ وطفاءَ الزمعْ كأنها شاة صدَعْ

ثم قال مالك للناس إذا رأيتموهم فاكسروا جفُون سيوفكم ثم شدوا عليهم شدة رجل واحد، وبعث عيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم، قال: ويلكم ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق والله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد، فلما سمع بهم نبي الله ﷺ بعث إليهم عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي وأمره أن يدخل بين الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم حتّى سمع وعلم ما قد جمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فلما أجمع عليه الصلاة والسلام السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال: **«يا أبا أمية أعِرْنا سلاحك هذا نلقى به عدونا غداً»** فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟ قال: **«بل عارية وهي مضمونة حتى نؤدِّيها إليك»** فقال: ليس في هذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح. وزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ففعل، ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة فكانوا اثني عشر ألفاً. واستعمل على مكة عتَّاب بنَ أسيد كأمير وزنا أميراً ثم مضى يريد لقاء عدوه من هوازن. قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبدالرحمن بن جابر بن عبدالله عن أبيه جابر بن عبدالله قال: لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في وادٍ من أودية تهامة أجوف حطوط، إنما ننحدر فيه انحداراً، وذلك في عماية الصبح، وكان الناس قد سبقونا إلى الوادي فكمنوا لنا في شعابه وأجنابه ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيئوا، فوالله ما راعنا ـ ونحن منحطون ـ إلاَّ الكتائب قد شدوا علينا شدَّة رجل واحد، فانكشف الناس راجعين، لا يلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال: **«إلى أين أيها الناس؟ هلُمّ إليّ أنا رسول الله، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبدالله»** وبقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين وأهل بيته، وفيمن ثبت معه من المهاجرين: أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته: عليٌّ والعباس، وأبو سفيان بن

الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أم أيمن، واستشهد يومئذ قال: ورجل من هوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه، إذا أدرك طعن برمحه وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فبينا هو كذلك إذ هوى إليه عليٌ بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه، فأتى عليٌ من خلفه فضرب عرقوب الجمل فوقع على عجزه، فوثَبَ الأنصاري على الرجل فضربه ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه فانجعف عن رحله، قال: واجتلد الناس، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى عند رسول الله ﷺ، وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق قال ابن إسحاق: ولما انهزم المسلمون، تكلم رجال من جفاة أهل مكة بما في أنفسهم من الطعن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، قالوا: وإن الأزلام لفي كنانته، وصرخ جبلة بن الجنيد، وقال ابن هشام هو ابن كلدة: ألا بطل السحر اليوم، فقال له صفوان بن أمية، وكان أخاه لأمه: اسكت فُضَّ فوك، فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن.

وقال ابن سعد عن شيبة بن عثمان قال: لما كان الفتح ودخل رسول الله ﷺ مكة عنوة فقلت: أسير مع الناس إلى هوازن بحنين فعسى إن اختلط الناس أن أصيب من محمد غرة فأثأر منه، فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، وأقول في نفسي لو لم يبق أحد من العرب والعجم إلاَّ اتبع محمداً ما اتبعته أبداً، وكنت مرصداً لما خرجت له، لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوة، فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته، فأصلت السيف فدنوت أريد ما أريد منه ورفعت سيفي حتى كدت أشعره إياه، فرفع لي شواظ من نار كالبرق كاد يمحشني، فوضعت يدي على بصري خوفاً عليه، فالتفت إليّ رسول الله ﷺ فناداني: يا شيب، ادن مني فدنوت منه فمسح صدري ثم قال: «**اللهم أعذه من الشيطان**» قال: فوالله لهو كان ساعتئذ أحب إليّ من سمعي ومن بصري ونفسي، وأذهب الله ما كان في نفسي ثم قال: «**ادن فقاتل الكفار**» فتقدمت أمامه أضرب بسيفي والله أعلم أني أحب أن أقيه بنفسي كل شيء، ولو لقيت تلك الساعة أبي لو كان حيًا

لأوقعت به السيف، فجعلت ألزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون وكروا كرة رجلٍ واحد، وقرّبت بغلة رسول الله ﷺ فاستوى عليها وخرج في أثرهم حتى تفرقوا في كل وجه، ورجع إلى معسكره فدخل خباءه، فدخلت عليه حبًا لرؤية وجهه وسروراً به، فقال: **«يا شيبُ الذي أراد الله بك خير مما أردت لنفسك»** ثم حدثني بكل ما أضمرته في نفسي وما لم أكن أذكر لأحد قط، قال: فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ثم قلت: استغفر لي، فقال: **«غفر الله لك»**.

قال ابن إسحاق: وحدثني كثير بن العباس عن أبيه العباس بن عبدالمطلب قال: إنّي لمع رسول الله ﷺ آخذ بِحَكَمة بغلته البيضاء، قد شجرتها بها، وكنت امرأ جسيماً شديد الصوت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس: **«إلى أين أيها الناس؟»** قال: فلم أرَ الناس يلوون على شيء فقال: **«يا عباس اصرخ: يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السَّمُرة»**، فأجابوا: لبيك لبيك. قال فيذهب الرجل ليثْنيَ بعيره فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه ورمحه وترسه، ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استبقوا الناس فاقتتلوا، فكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار ثم خلصت أخيراً للخزرج وكانوا صُبُراً عند الحرب، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال **«الآن حمي الوطيس»** وزاد بعضهم:

«أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبدالمطلب»

وروى مسلم: ثم رمى ﷺ بحصيات في وجوه الكفار، ثم قال: **«انهزموا ورب محمد»**، فما هو إلا أن رماهم، فما زلت أرى حدَّهم كليلاً، وأمرهم مدبراً، وفي لفظ آخر للحديث: أنه نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب ثم استقبل بها وجوههم وقال: **«شاهت الوجوه»** فما خلق الله منهم إنساناً إلاً ملىء عينه تراباً بتلك القبضة فولوا مدبرين.

وكانت أم سليم بنت ملحان تقول: يا رسول الله، ما رأيت مثل هؤلاء

الذين أسلموا وفرُّوا عنك وخذلوك، لا تَعْفُ عنهم إذا أمكنك الله منهم، اقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين، فقال عليه الصلاة والسلام: «**يا أم سليم، قد كفى الله، عافية الله أوسع**». قالوا: وحنق المسلمون على المشركين فقتلوهم حتى قتلوا الذرية، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ، قال: «**ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرية؟ ألا لا تقتل الذرية**»، فقال أسيد بن حضير: يا رسول الله إنما هم أولاد المشركين، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أليس خياركم أولاد المشركين؟ كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها وأبواها يهودانها أو ينصرانها**».

ولما رمى رسول الله ﷺ بالكف من الحصا، ولم يبق أحد من المشركين إلا وهو يشكو عينيه لما بهما من القذى، يجدون في صدورهم خفقاناً كوقع الحصا في الطست ما يهدأ عنهم ذلك الخفقان، ورأوا رجالاً بيضاً على خيل بلق عليهم عمائم حمر قد أرخوها بين أكتافهم، وهم بين السماء والأرض كتائب كتائب، وما كان المشركون يستطيعون أن يتأملوهم من شدة ما يجدون من الرعب منهم.

قلت: ولا خلاف أن وقعة حنين هي أحد المواضع الثلاثة التي أنزل الله فيها الملائكة مدداً لرسوله ونصراً له وإذلالاً وهزيمة لأعدائه. قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ الآيتان ٢٥ ـ ٢٦ من التوبة. والموضع الثاني والموضع الثالث: الغار ليلة الهجرة، وليلة الأحزاب، وتقدم بيان ذلك في غزوة الخندق فليرجع إليه من شاء.

ولقد استحر القتل يوم حنين في ثقيف في بني مالك منهم، فقد قتل منهم يومئذ تحت رايتهم قريب من مائة رجل وقتل ذو الخمار وهربت ثقيف وأمر رسول الله ﷺ بطلب القوم بعد هزيمتهم وقال: «**إن قدرتم على بجاد فلا يفلتنَّ منكم**»، وهو رجل من بني سعد بن بكر بن هوازن، قد قطَّع رجلاً مسلماً وحرقه بالنار، فأخذته الخيل وضموه إلى الشيماء بنت

الحارث بن عبدالعزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، وأتوا بهما، فرحّب عليه الصلاة والسلام بالشيماء وأجلسها على ردائه، وأعطاها بعد ما أسلمت ثلاثة أعبد وجارية، واستوهبته بجاداً فوهبه لها. ومرت هوازن في هزيمتها إلى أوطاس وإلى الطائف وإلى نخلة، فسارت الخيل تريد من أتى نخلة فأدرك الربيع بن ربيعة بن رفيع بن أهبان السلمي شهرته ابن الدِّغِنَّة، وهي أمه، أدرك دريد بن الصمة فقتله.

وتوجه أبو عامر عبيد الأشعري، أخو أبي موسى، إلى أوطاس ومعه لواء في عدة من المسلمين. وقد عسكر المشركون، فقاتلهم رضي الله عنه فقتل منهم تسعة ثم أصيب فاستخلف أخاه أبا موسى الأشعري ففتح الله عليه. ولحق مالك بن عوف بالطائف.

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت، ونادى منادٍ من قبله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يغُلَّ»**، وأصاب المسلمون سبايا فكانوا يكرهون أن يقعوا عليهن ولهن أزواج، فسألوا رسول الله ﷺ فكان ذلك سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ ٢٤ من النساء. وقال ﷺ: **«لا توطأ حامل من السبي حتى تضع حملها، ولا غير ذات حمل حتى تحيض»** وسألوه يومئذ عن العزل، فقال: **«ليس من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله أن يخلق شيئاً لم يمنعه شيء»** وقد استشهد في حنين أربعة فقط.

وقال عليه الصلاة يوم حنين: **«من قتل قتيلاً فله سلبه»**، وكان أبو طلحة قتل عشرين رجلاً فأعطاه سلبهم.

وذكر الزبير بن بكّار أن السبي يوم هوازن كان ستة آلاف بين غلام وامرأة وجعل النبي ﷺ عليهم أبا سفيان بن حرب، كذا قاله المقريزي وبعث ﷺ الطفيل بن عمرو الدوسي إلى ذي الكفين، صنم عمرو بن

حممة، قال محمد محمد شاكر: عمرو بن حممة من حكام العرب وكان حاكماً على دوس ثلاثمائة عام، ويقال: إنه وفد على رسول الله ﷺ، وقيل: بل مات في الجاهلية، أما ابنه جندب بن عمرو بن حممة فقد أسلم وقتل بأجنادين. فأرسل رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين يهدمه. وسيأتي ذلك في الكلام على بعث الطفيل بعد الانتهاء من الكلام على غزوة حنين والطائف إن شاء الله. وكان ﷺ بعث السبي والغنائم مع بديل بن ورقاء الخزاعي إلى الجعرانة وتوجه بأبي هو وأمي، إلى الطائف.

قلت: وقال العلامة الشيخ أحمد البدوي الموريتاني ثم المجلسي في مغازيه:

ثُمَّ إلى وادي حنين انحدَرْ	عن مكة من الألوف اثنا عشر
فوجدوا هوازناً تأهبوا	بكل مِخْرمٍ لهم وألَّبوا
وبينما الجيش إليهم ينحدر	بغلسٍ شدُّواْ إليه وهو غِرْ
فاستنفروا بهم لذلك الركاب	وأدبرت تخدوا بهم غلب الرقاب
واستنزلوا وادَّرعوا وهي تمُرْ	مرَّ جهامٍ بالبهاليل نفر
فاقتحموا عنها وآبوا للنبي	وزحزحوا عنه جيوش العرب
فأرسل الله جنود الفرج	وقبضة التُّرْب قضت بالفلج
وثبتتْ مَعَ النبيِّ طائفةْ	من أهل بيته وممن ألِفَهْ
حيدرة والعمران وأبو	سفيان جعفر ابنه المنتخبُ
وعمُّه ربيعة العباسُ	وفضله أسامة الأكياسُ
وأيمنُ ابن أمِّه والعبدري	شيبةُ رامَ غدرَ خير مُضِر
فصدَّه عما نوى فضربهْ	نبينا في صدره فجذَبَهْ
ووقف النَّبيَ إلى أنْ رَجَعَا	من طائف لعل أن يسترجَعا
أغطى عطايا شهدت بالكرمِ	يومئذ له ولم يجمجم
وكيفَ لا؟ ومستمد سيبه	من سيب رَبٍّ ذي عناية به
أعطى عطايا أخجلت دُلج الديم	إذْ ملأتْ رحب الفضا من النعم

زهاء ألفي ناقة منها وما ... ملأ بين جبلين غنما
لرجل ويله ما لِحِلَقِة ... منها ومن رقيقه وورقة
منها أفاد العمّ ما ناء به ... فهال منه عمَّه عن ثوبه
ووكل الأنصار خير العالمين ... لدينهم إذْ ألّفَ المؤلَّفين
فوجَدُوا عليه أن منعهم ... فأرسل النبيُّ من جَمعهم
وقال قولاً كالفريد الونق ... عن نظمه ضعف سلك منطقي
وأدرك الفَلّ بأوطاسَ السُّرى ... عمُّ أبي موسى الشجاع الأشعري
وغالَ تسعَ إخوة مبارزة ... وفرّ عاشر لدى المبارزة
وإذ نوى دوخهم حفيده ... وجاء بالفل وهم عبيده... اهـ

تنبيهٌ: يلاحظ أننا في سرد الوقائع ذكرنا أبا عامر عبيد الأشعري وأبا موسى الأشعري وذكرنا أنهما أخوان، وذلك لما ذكر المقريزي، وقد ذكر الشيخ أحمد البدوي في المغازي أن أبا موسى ابن أخي أبي عامر، والله تعالى أعلم بالصواب.



غزوة الطائف

ولما توجه رسول الله ﷺ إلى الطائف إثر فلول هوازن وثقيف قدم أمامه خالد بن الوليد، وكان ثقيف قد رمُّوا حصنهم ودخل فيه من انهزم من أوطاس واستعدوا للحرب، ولما نزل عليه الصلاة والسلام بِليّة أوتي برجل من بني ليث قتل رجلاً من هذيل فأعطى أولياء الهذلي القود فضربوا عنق الليثي بصاحبهم، قالوا: وكان أول قود وقع في الإسلام.

وكان بليّة حصن لمالك بن عوف فحرّقه رسول الله ﷺ ثم نزل عليه الصلاة والسلام قريباً من حصن الطائف وعسكر به فرمى أهل الطائف بنبل كثير أصاب جماعة من المسلمين بجراحة، فحول رسول الله ﷺ أصحابه

وعسكر حيث لا يصيبهم رمي أهل الطائف، وثار المسلمون إلى الحصن، فقتل يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب، فظفر أخوه يعقوب بن زمعة بهذيل بن أبي الصلت أخي أمية بن أبي الصلت، وقال: هذا قاتل أخي، فقتله.

وأقام رسول الله ﷺ على حصار الطائف ثمانية عشر يوماً وقيل تسعة عشر وقيل خمسة عشر، والله تعالى أعلم بمدة إقامته في حصار الطائف، وكان في إقامته تلك يصلي ركعتين بين قبتين ضربتا لزوجتيه رضي الله عنهما، قال المقريزي: فلما أسلمت ثقيف بَنى أميةُ بن عمرو بن وهب بن معتب بن مالكٍ على مصلَّى النبي ﷺ مسجداً.

ونصب رسول الله ﷺ المنجنيق على حصن الطائف وقد أشار به سلمانُ الفارسي رضي الله عنه، وقد عمله بيده، وقيل قدم به يزيد بن زمعة ومعه دبابتان، وقيل قدم به الطفيل بن عمرو، وقيل قدم به وبدبَّابتين خالد بن سعيد من جرش. ونثر ﷺ الحسك حول الحصن، ودخل المسلمون تحت الدبابتين ثم زحفوا إلى جدار الحصن ليحفروه فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فحرَّقت الدبابتين، وكانتا من جلود البقر، فأصيب جماعة من المسلمين وخرج من بقي من تحتها فقتلوا بالنبل رضي الله عنهم. فأمر عليه الصلاة والسلام بقطع أعنابهم وتحريقها، فنادى سفيان بن عبدالله الثقفي: يا محمدُ لم تقطع أموالنا؟ إما أن تأخذها إن ظهرت علينا وإما أن تدعها لله وللرحم كما زعمت، فقال: «**إني أدعها لله وللرحم**»، وكفّ عنها.

ونادى منادٍ من قبل رسول الله ﷺ: أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، فخرج بضعة عشر رجلاً منهم: أبو بكرة، والمنبعث، والأزرق، ووردان، ويحنّس النبال، وإبراهيم بن جابر، ويسار، ونافع، وأبو السائب، ومرزوق وغيرهم فأعتقهم رسول الله ﷺ ودفع كل رجلٍ منهم إلى رجل من المسلمين يمونه ويحمله وأمرهم بتعليمهم القرآن والسنن، فشق ذلك على أهل الطائف. وذكر المقريزي أنه كان مع رسول الله ﷺ مولى لخالته فاختة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم يقال له ماتع وآخر يقال له

هيت، وكان ماتع يدخل بيوت رسول الله ﷺ ويُرى أنه لا يفطن لشيء من أمر النساء وأنه لا إربة له، فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد، ويقال: لعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة: إن افتتح رسول الله ﷺ الطائف غداً فلا تفلتنَّ منك بادية بنت غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمانٍ، وإذا جلست تثنت وإذا تكلمت تغنت وإذا ضجعت تمنت، وبين رجليها مثل الإناء المكفإ مع ثغر كأنه الأقحوان، فقال عليه الصلاة والسلام: **«ألا أرى هذا الخبيث يفطن لما أسمع، لا يدخلنَّ على أحد من نسائكم»** وغربهما إلى الحمى، فتشكيا الحاجة فأذن لهما في النزول كل جمعة يسألان ثم يرجعان إلى مكانهما، فلما توفي رسول الله ﷺ دخلا مع الناس فأخرجهما أبو بكر، فلما توفي دخلا مع الناس، فأخرجهما عمر، فلما توفي دخلا مع الناس. اهـ. إمتاع الإسماع بتصرف. وقالت امرأة عثمان بن مظعون خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص السلمية، لرسول الله ﷺ: أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلي الفراعة بنت الخزاعيّ أو بادية بنت غيلان، فقال لها: **«وإن كان لم يؤذن لنا في ثقيف يا خولة»**، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ما حديث حدثتني خولة أنك قلته؟ قال: **«قد قلته»**، قال: ولم يؤذن لك فيهم؟ قال: **«لا»**، قال: أفلا أؤذن في الناس بالرحيل؟ قال: بلى، فأذّن عمر بالرحيل فشق ذلك على الناس أن يرحلوا بغير فتح، فأمرهم عليه الصلاة والسلام أن يقولوا: **«لا إله إلاَّ الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»** فلما استقلوا بالمسير قال: **«قولوا: آئبون إن شاء الله تائبون عابدون لربنا حامدون»**. وقيل له لما ظعن: يا رسول الله ادعُ الله على ثقيف، فقال: **«اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم»**.

وكان من استشهد بالطائف اثنا عشر رجلاً: سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية، وعُرفطة بن حُباب، ويزيد بن زمعة بن الأسود، وعبدالله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما رمي بسهم فلم يزل جريحاً حتى مات بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي، وعبدالله بن عامر بن ربيعة، والسائب بن الحارث بن قيس السهمي، وأخوه عبدالله بن الحارث بن

قيس، وجُليحة بن عبدالله، وثابت بن الجَذع السَّلمي بفتح السين واللام، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة، والمنذر بن عبدالله بن نوفل.

وخرج عليه الصلاة والسلام إلى الجعرانة، فبينما هو يسير وأبو رهم الغفاري إلى جنبه على ناقته، وفي رجله نعلان غليظتان، إذ زحمت ناقته ناقة رسول الله ﷺ فوقع حرف نعله على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه، فقال: «أوجعتني، أخّر رجلك»، وقرع رجله بالسوط. قال أبو رهم: فأخذني ما تقدم من أمري وما تأخر، وخشيت أن ينزل فِيَّ قرآن لعظم ما صنعت، فلما أصبحنا بالجعرانة خرجت أرعى الظَّهْرَ، وليس بيومي، ولكن فَرَقاً من أن يأتي رسول من عند رسول الله ﷺ يطلبني، فلما روحت الركاب سألت، فقالوا: طلبك النبي ﷺ، فجئته وأنا أترقب فقال: «إنك أوجعتني برجلك فقرعتك بالسوط فخذ هذه الغنم عوضاً من ضربي»، قال أبو رهم: فرضاه عني كان أحب إليَّ من الدنيا وما فيها.

وعبدالله بن أبي حدرد الأسلمي في مسيره لصقت ناقته بناقة النبي ﷺ فأصاب رجله فقال: «**أخ!! أوجعتني**» ودفع رجله بمحجن في يده عليه الصلاة والسلام، فلما نزل دعاه وقال له: «**أوجعتك بمحجني البارحة خذ هذه القطعة من الغنم، فوجدها ثمانين شاة من الضأن**».

ولما أراد أن يركب من قَرْنٍ، وطىء له أبو روعة الجهني على يد ناقته ثم ناوله زمامها بعدما ركب، فضرب عليه السلام الناقة بالسوط فأصاب سوطه أبا روعة فالتفت إليه وقال: «**أصابك السوط؟**» قال: نعم، بأبي وأمّي، فلما نزل الجعرانة قال: «**أين أبو روعة؟**» قال: ها أنا ذا، قال: «**خذ هذه الغنم بالذي أصابك من السوط أمس**». فوجدها عشرين ومائة شاة.

ولقيه سراقة بن مالك بن جعشم وهو في طريقه إلى الجعرانة، فجعل الكتاب الذي كتب له أبو بكر رضي الله عنه بين إصبعيه، ونادى: أنا سراقة، وهذا كتابي، فقال عليه الصلاة والسلام: «**هذا يوم وفاءٍ وبرٍّ، ادنوه**»، فأدنوه منه فأسلم وساق إليه الصدقة، وسأله عن الضالة من الإبل تغشى حياضه وقد ملأها لإبله فهل له من أجر إن سقاها؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**نعم**»، في كل ذات كبد حرّى أجر.

واعترض له رجل من أسلَم معه غنم فقال يا رسول الله هذه هدية قد أهديتها إليك، وكان قد أسلم وساق صدقته إلى بريدة بن الحصيب لما خرج مُصَدِّقاً، فقال عليه الصلاة والسلام: نحن على ظهر كما ترى فالحقنا بالجعرانة فخرج يعدو عراض ناقته ﷺ وهو يقول: أسوق الغنم معي إلى الجعرانة؟ قال: **«لا تسقها ولكن تَقْدُم علينا الجعرانة فنعطيك غنماً أخرى إن شاء الله»**، فقال: يا رسول الله تدركني الصلاة وأنا في عطن الإبل، أفأصلي فيه؟ فقال: **«لا»**، قال: فتدركني وأنا في مُراح الغنم أفأصلي فيه؟ قال: **«نعم»**، قال: يا رسول الله ربما تباعد بنا الماء ومع الرجل زوجته فيدنو منها؟ قال: **«نعم، ويتيمم»**، قال: يا رسول الله وتكون فينا الحائض؟ قال: **«تتيمم»**، فلحقه عليه الصلاة والسلام بالجعرانة فأعطاه مائة شاة.

وجعل الأعراب في طريقه يسألونه أن يقسم عليهم الفيء من الإبل والغنم وكثروا عليه حتى اضطروه إلى سمرة خطفت رداءه فنزعته، فوقف وهو يقول: أعطوني ردائي، لو كان هذا العضاه نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدونني بخيلاً ولا جَبَاناً ولا كذَّاباً.

وانتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس خلون من ذي القعدة والسبي والغنائم بها محبوسة، وقد اتخذ للسبي حظائر يستظلون بها من الشمس، وكانوا ستة آلاف، وكانت الإبل أربعة وعشرين ألف بعير، منها اثنا عشر ألف ناقة، وكانت الغنم أربعين ألف شاة وقيل: أكثر من ذلك، فأمر بُسْر بن سفيان الخزاعي أن يقدم مكة فيشري للسبي ثياباً يكسوهم، وكساهم كلهم وتأنَّى بالسبي وأقام يتربص أن يقدم وفدهم، وكان قد أعطى منه وهو بحُنين امرأة لعبدالرحمن بن عوف، وأعطى صفوان بن أمية، وعليًا، وعثمان وعمر، وجبير بن مطعم، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأبا عبيدة بن الجراح، والزبير بن العوام رضي الله عنهم. فلما قدم الجعرانة بدأ بالأموال فقسمها، فأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس، وكان في الغنيمة أربعة آلاف أوقية فضة، فجاء أبو سفيان بن حرب والفضة بين يديه فقال يا رسول الله أصبحت أكثر قريش مالاً، فتبسم عليه الصلاة والسلام، فقال أبو سفيان: أعطني من هذا يا رسول الله، قال: **«يا بلال زن لأبي سفيان أربعين**

أوقية وأعطوه مائة من الإبل»، قال: وابني يزيد؟ قال: زنوا ليزيد أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل، قال: وابني معاوية يا رسول الله؟ قال زنوا له أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل. قال أبو سفيان: إنك لكريم فداك أبي وأمي، والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت، وسالمتك فنعم المسالم أنت، جزاك الله خيراً.

وسأل حكيم بن حزام مائة من الإبل فأعطاه ثم سأل مائة أخرى فأعطاه، ثم سأل مائة فأعطاه وقال: **«يا حكيم بن حزام إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذ بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول»**، فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما بعدها.

وأعطى النضير بن الحارث بن كلدة، وهو أخو النضر بن الحارث، أعطاه مائة من الإبل، وأعطى أسيد بن جارية حليف بني زهرة مائة من الإبل، وأعطى العلاء بن جارية خمسين بعيراً، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل وأعطى سعيد بن يربوع خمسين بعيراً، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل. وفي صحيح مسلم أنه أعطى صفوان بن أمية يومئذ ثلاثمائة من الإبل، ويقال: إنه طاف مع رسول الله ﷺ وهو يتصفح الغنائم إذ مر بشعب مما أفاء الله عليه فيه غنم وإبل ورعاؤها مملوءاً فأعجب به صفوان وجعل ينظر إليه، فقال: أعجبك يا أبا وهب هذا الشعب؟ قال نعم، قال هو لك بما فيه، فقال: أشهد ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نبي وأشهد أنك رسول الله.

وأعطى قيس بن عدي مائة من الإبل، وأعطى عثمان بن وهين خمسين بعيراً وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل وأعطى حويطب بن عبدالعزى مائة من الإبل وأعطى هشام بن عمرو خمسين بعيراً، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة من الإبل وأعطى عيينة بن حصن الفزاري مائة من الإبل، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة، فأنشأ يقول:

كانت نهاباً تلافيتها ... بكَريْ على المهر في الأجرع
وإيقاظي القوم أن يرقدوا ... إذا أهجع الناس لم أهجع

فأصبح نهبي ونهب العبيـ ... دِ بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تُدْرَإٍ ... فلم أعط شيئاً ولم أمنع
وإلا أفائل أعطيتُها ... عديد قوائمه الأربع
وما كان حصنٌ ولا حابس ... يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرىء منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

فلما بلغ رسول الله ﷺ أمره دعاه فقال: **«أنت القائل فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟»** فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر وما ينبغي لك وما أنت براوية، قال: فكيف قال؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه، فقال: **«اقطعوا عني لسانه»**، ففزع منها ناس وقالوا: أمر أن يقطع لسان العباس بن مرداس، وإنما أراد رسول الله ﷺ أنهم يعطوه حتى يرضى، فأعطاه مائة من الإبل، وقال سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله أعطيت عيينة والأقرع بن حابس مائة مائة وتركت جُعيل بن سراقة الضمري؟ فقال: **«أما والذي نفسي بيده لجُعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلها من مثل عيينة والأقرع ولكني أتألفهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه»**.

وجلس يومئذ في ثوب بلال فضة يقبضها للناس على ما أراه الله، فأتى ذو الخويصرة التميمي، واسمه حرقوص، وقال: اعدل يا رسول الله، فقال: **«ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل؟ خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل»**، قال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنقه، قال: **«دعه إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافة فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه»** وهو قدحه **«فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون حين فرقة من الناس»**.

وذكر المقريزي أن معتب بن قشير العَمْري قال يومئذ ورسول الله ﷺ

يعطي تلك العطايا: إنها لعطايا ما يراد بها وجه الله، فأخبر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه رسول الله ﷺ بذلك فتغير لونه ثم قال: **«يرحم الله أخي موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»**. ثم أمر رسول الله زيد بن ثابت رضي الله عنه بإحصاء الناس والغنائم ثم فضها على الناس، وكانت سهمانهم لكل رجل أربع من الإبل أو أربعون شاة، وإن كان فارساً أخذ ثنتي عشرة من الإبل أو عشرين ومائة شاة، وإن كان معه أكثر من فرس واحد لم يسهم له.

وقدم وفد هوازن أربعة عشر رجلاً يرأسهم أبو صُرد زهير بن صُرد الجشمي السّعدي، قد أسلموا وأخبروا بإسلام من وراءهم من قومهم فقال أبو صُرد: يا رسول الله، إنا أصلٌ وعشيرةٌ وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك فامنن علينا منَّ الله عليك، إنما في هذه الحظائر عمّاتك وخالاتك وحواضنك اللائي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل منا أحدهما مثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وجائزته، وأنت خير المكفولين.

امْنُنْ علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وندَّخرُ
امنن على نسوة قد كنت تَرضِعها ... إذْ فوك يَمْلأه من مخضها الدّرر
امنن على نسوة إعتاقها قَدَرٌ ... مُمَزّقٌ شملها في دهرها غِيَرُ
أبقت لنا الدهر هتافاً على حَزَن ... على قلوبهم الغماء والْغَمَرُ
اللأتِ إذ كنت طفلاً كنت ترضعها ... وإيزينك ما تأتي وما تذرُ
إلاَّ تداركها نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلماً حين يختبَرُ
فألبِسْ العفو من قد كنت ترضِعهُ ... من أمهاتك إن العفو مشتهر
يا خير من مَرِحَتْ كُمْتُ الجياد به ... عند الهياج إذا ما استوقد الشُّررُ
إنا نُؤمّل عفواً منك تُلْبِسُه ... هذي البرية إذْ تعفو وتنتصِرُ
فَاعْفُ عَفَا الله عما أنت واهبه ... يوم القيامة إذ يهدي لك الظفرُ
لا تجعلنَّا كمن شالت نعامته ... واستبْقِ منَّا فإنَّا مَعْشَرٌ زُهُرُ
إنا لنشكر آلاءَ وإن قَدُمتْ ... وعندنا بَعد هذا اليوم مُدَّخَرُ... اهـ

فقال رسول الله ﷺ: **«إن أحسن الحديث أصدقه»**، وعندي من ترون

من المسلمين، **فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟»** فقالوا: يا رسول الله، خيَّرتنا بين أحسابنا وأموالنا، وما كنا نعدل بالأحساب شيئاً، فرد علينا أبناءنا ونساءنا، فقال: **«أمَّا ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم، وأسأل لكم الناس، فإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله، فإني سأقول لكم: ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم وسأطلب لكم إلى الناس»**، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر بالناس، قاموا فتكلموا بما أمرهم به، فأجابهم بما تقدم، فقال المهاجرون: فما كان لنا فهو لرسول الله، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وفزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله، فقال عباس: وهنتموني. ثم قام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: **«إن هؤلاء القوم جاؤوا مسلمين، وقد كنت استأنيت بهم فخيرتهم بين النساء والأبناء والأموال، فلم يعدلوا بالنساء والأبناء، فمن كان عنده منهن شيء فطابت نفسه أن يَردَّهُ فسبيل ذلك، ومن أبى منكم ويُمَسِّكُ بحقه فليرُدَّ عليهم، وليكن قرْضاً علينا ست فرائض من أول ما يفيىء الله علينا»** فقالوا: يا رسول الله رضينا وسلمنا، قال: **«فمروا عُرفاءكم أن يرفعوا ذلك إلينا حتى نعلم»**، فكان زيد بن ثابت على الأنصار يسألهم: هل سلموا ورضوا؟ فخبروه أنهم سلموا ورضوا ولم يتخلف منهم رجل واحد، وبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المهاجرين يسألهم، فلم يتخلف منهم أحد، وكان أبو رهم الغفاري يطوف في قبائل العرب، ثم جمعوا العرفاء، واجتمع الأمناء الذين أرسلهم عليه الصلاة والسلام فاتفقوا على قول واحد أنهم سلموا ورضوا، ودفع عند ذلك السبي إليهم، وتمسكت بنو تميم مع الأقرع بن حابس بالسبي، فجعل رسول الله ﷺ الفداء ست فرائض: ثلاث حقاق وثلاث جذاعٍ، وقال يومئذ: «لو كان ثابتاً على أحدٍ من العرب ولاءٌ أو رقٌّ لثبت اليوم، ولكن إنما هو إسارٌ أو فدية»، وجعل أبو حذيفة العَدَويَّ على مقاسم المغنم، وقال عليه الصلاة والسلام للوفد: **«ما فعل مالك بن**

عوف؟» قالوا: هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف، فقال: **«إنه إن يأت مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل»**، وكان قد حبس أهل مالك بمكة عند عمتهم أم عبدالله بهمة ابنة أبي أمية، ووقف ماله فلم تجر فيه السهام، فلما بلغ ذلك مالكاً فرّ من ثقيف ليلاً وقدم الجعرانة وأسلم وأخذ أهله وماله ومائة من الإبل. وقيل: إنه قدم على رسول الله ﷺ بمكة واستعمله على قومه وعقد له لواءً فقاتل أهل الشرك وأغار على ثقيف وقاتلهم وقتل وغنم كثيراً وبعث إلى رسول الله ﷺ بالخمس مما يغير عليه، فبعث مرة مائة بعير ومرة ألف شاة، ذكر ذلك المقريزي والله تعالى أعلم.

ولما أعطى رسول الله ﷺ عطاياه وجَدَ الأنصار في أنفسهم، إذ لم يكن فيهم منها شيء، وكثر القيل، فقال واحد منهم: لقي رسول الله قومه، أما حين القتال فنحن أصحابه وأما حين القسم فقومه وعشيرته، ووددنا أنا نعلم ممن كان هذا؟ إن كان هذا من الله صبرنا وإن كان هذا من رأي رسول الله استعتبناه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فغضب غضباً شديداً ودخل عليه سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال له: **«ما يقول قومك؟»** قال: وما يقولون يا رسول الله؟ فذكر له ما بلغه وقال: **«وأين أنت من ذلك يا سعد؟»** فقال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، ما أنا إلا كأحدهم وإنا لنحب أن نعلم من أين هذا، قال: **«فأجمع من كان هاهنا من الأنصار»**، فلما اجتمعوا حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: **«يا معشر الأنصار، ما مقالةٌ بلغتني عنكم وجِدَةٌ وجدتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلاّلاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟»** قالوا: بلى، الله ورسولُه أَمَنُّ وأفضل، قال: **«ألا تجيبونني؟»** قالوا: وماذا نجيبك يا رسول الله؟ قال: **«أما والله لو شئتم قلتم فصدقتم: أتيتنا مُكذَّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، وخائفاً فأمّناك، وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في شيء من الدنيا تألفت به قوماً أسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن تذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم؟ والذي نفسي بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولولا سلك الناس شعباً وسلكت**

الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار. أكتب لكم كتاباً بالبحرين تكون لكم من بعدي خاصة دون الناس»، قالوا: وما حاجتنا بعدك يا رسول الله؟ قال: **«إمَّا لا، فسترون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإن موعدكم الحوض، وهو كما بين صنعاء وعُمان آنيته من عدد النجوم، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار»** فبكوا حتى اخضلت لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله حظا وقسماً، وانصرفوا.

وأقام عليه الصلاة والسلام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة، وخرج منها ليلة الأربعاء لثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة فأحرم ولبَّى حتى استلم الركن، وقيل: لما نظر إلى البيت قطع التلبية وأناخ راحلته على باب بني شيبة وطاف فرمل في الأشواط الثلاثة، ولما أكمل طوافه سعى بين الصفا والمروة على راحلته ثم حلق رأسه عند المروة، حلقه أبو هند، عبد بني بياضة، وقيل: خراش بن أمية، ولم يسق فيها هدياً ثم عاد إلى الجعرانة من ليلته فكان كبائتٍ بها، وخرج يوم الخميس على سرف إلى مر الظهران واستعمل على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس وخلف معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري يعلمان الناس القرآن والتفقه في الدين، وقال لعتاب: **«أتدري على من استعملتك؟»** قال: الله ورسوله أعلم، قال: **«استعملتك على أهل الله، بلغ عني أربعاً: لا يصلح شرطان في بيع، ولا بيع وسلف، ولا بيع ما لم يضمن، ولا تأكل ربح ما ليس عندك»**.

وكان أول من قدم المدينة بفتح حنين رجلان من بني عبدالأشهل هما: الحارث بن أوس، ومعاذ بن أوس بن عبيد بن عامر، وقدم عليه الصلاة والسلام المدينة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ثمان، انتهى ملخصاً: بعض من زاد المعاد وبعض من سبل الهدى والرشاد وبعض من إمتاع الأسماع للمقريزي والكل بتصرف والله الموفق.

قلت: ولقد خص العلامة الشيخ أحمد البدوي غزوة الطائف بأربعة أبيات من رجزه فقال:

فلثقيف وهي في حُصُون ... بطائف أقبل من حُنين
فسألوه الكف عن قطع الكرم ... بالله والرحم فارتاد الكَرَمْ

فَهَابَهُ والْمُنجَنِيقَ ضَرَبَا وسُيْلَ الدُّعَا عليهم فَأَبَى
ونَوْفَلُ استشاره في أمره فقال هُمْ كثعلب في حجره... اهـ

بعث الطفيل بن عمرو الدوسي
إلى هدم ذي الكفين

وكان هذا البعث في شوال سنة ثمان، قال ابن سعد: لما أراد رسول الله ﷺ المسير إلى الطائف بعد هزيمة هوازن، أرسل الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين صنم من خشب كان لعمرو بن حممة الدوسي يهدمه، وقد تقدم ذكر عمرو بن حممة الدوسي وأنه كان من حكام العرب وقد ملك دوساً ثلاثمائة عام. وقد أمر رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف، فخرج سريعاً إلى قرية فهدم ذا الكفين وجعل يوقد النار في وجهه يحرقه بها وهو يقول:

يا ذا الكفين لَسْتُ من عُبَّادكا ميلادُنا أَقْدَمُ من ميلادكا
إنـي حَشَوْتُ النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعاً فوافوا رسول الله ﷺ بالطائف بعد أن قدم على الطائف بأربعة أيام، وقدم عليه ﷺ بدبَّابةٍ ومنجنيق وقال: «**يا معشر الأزد من يحمل رايتكم؟**» فقال الطفيل: من كان يحملها في الجاهلية: النعمان بن الرازية اللهَبِي، قال: «**أصبتم**».

قلت: وقد ذكر الشيخ غالي بن المختار فال في بعوثه هذا البعث فقال:

ثم لذي الكفين رب دوس سليل عمرو الطفيل الدَّوْسي
وقال حين حَرَقه في ذلكا يا ذا الكفين لستُ من عبادكا
ميلادنا أقدم من ميلادكا إني حشوت النار في فؤادكا

بعث قيس بن سعد بن عبادة إلى صُداء بناحية اليمن

قال ابن إسحاق: لما رجع رسول الله ﷺ من الجعرانة سنة ثمان بعث قيس بن سعد بن عبادة إلى ناحية اليمن وأمره أن يطأ صُداءً، فعسكر بناحية قناة في أربعمائة من المسلمين، فقدم رجل من صُداء فسأل عن ذلك البعث فأخبر به، فجاء رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله جئتك وافداً على من ورائي فاردد الجيش فأنا لك بقومي، فردهم من قناة وخرج الصُّدائي إلى قومه فقدم منهم بعد ذلك خمسة عشر رجلاً فأسلموا، فقال رسول الله ﷺ: **«إنك مطاع في قومك يا أخا صُداء»**، فقال: بل الله هداهم، ثم وافاه في حجة الوداع بمائة منهم. وأخو صُداء هذا هو أياد بن الحارث الذي أمره رسول الله ﷺ في سفر أن يؤذن ثم جاء بلال ليقيم فقال له رسول الله ﷺ: **«إنَّ أخا صُداء هذا أَذَّنَ، ومن أذن فهو يقيم»**.

قلت: وذكر الشيخ غالي بن المختار فال هذا البعث فقال:

وبعدُ ذا قيساً إلى صُداء ... فرجعوا لما أتى الصُّدَائي
زيادُ بن حارثٍ فالْتَزَمَا ... إذا أتى لقومه أن يسلما
جميعهم وبعد خمسة عشر ... أتى بهم فأسلموا خَيْرَ البشر... اهـ

قال المقريزي: وفي هذه السنة يعني سنة ثمان بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابْني الجُلُندي بعُمان مصدّقاً، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم، وأخذ الجزية من المجوس. وقيل: كان ذلك سنة سبع.

وفيها ولد إبراهيم بن رسول الله ﷺ في ذي الحجة منها، وفيها تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضحاك الكلابية وطلقها، وفيها حجَّ عتاب بن أَسِيد بالنَّاس على ما كانت العرب تحج به البيت.

وفي هلال محرم سنة تسع بعث رسول الله ﷺ بريدة بن الحُصيب بن

عبدالله الأسلمي مصدقاً إلى أسلم وغفار، وقيل: بل بعث إلى هؤلاء كعب بن مالك الأنصاري.

وبعث عباد بن بشر الأشهلي إلى سليم ومزينة مصدقاً، وبعث عمرو بن العاص مصدقاً إلى فزارة، وبعث بسر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب، وبعث ابن اللتبية الأزدي إلى بني ذبيان.

ولما خرج بسر بن سفيان إلى صدقات بني كعب، وقيل: خرج ساعياً عليهم نعيم بن عبدالله النحام العدوي رضي الله عنه، جاءهم الساعي وقد حل بنواحيهم بنو عمرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم يشربون من غدير لهم بذات الأشظاظ، وقيل: على عسفان، ثم أمر بجمع مواشي خزاعة ليأخذ منها الصدقات، فلما جمعها استكثرتها بنو تميم ومنعوا المصدق من أخذها وشهروا عليه السلاح، ففر إلى المدينة وأخبر رسول الله ﷺ.

فلما فعل بنو تميم ما فعلوا مع مصدق رسول الله ﷺ أخرجتهم خزاعة من أرضها إلى بلادهم، وندب النبي ﷺ الناس لحربهم فبعث إليهم رسول الله ﷺ عيينة بن حصن الفزاري في خمسين فارساً ليس فيهم أنصاري ولا مهاجر، فسار إلى العرج وخرج في آثارهم حتى وجدهم قد عدلوا من السقيا أرض بني سليم، فلما رأوا الجمع ولّوا، وأخذ منهم أحد عشر رجلاً وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيًا، فجلبهم إلى المدينة، فأمر النبي ﷺ بهم فحبسوا في دار رملة بنت الحارث.

فقدم وفد بني تميم على رسول الله ﷺ وهم عشرة من رؤسائهم: عطارد بن حاجب بن زرارة في سبعين، والزبرقان بن بدر بن امرىء القيس، وقيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري، وقيس بن سعد، ونعيم بن سعد، وعمرو بن الأهتم بن سنان، والأقرع بن حابس، والحُتات بن يزيد المجاشعي ورياح بن الحارث بن مجاشع، وكان الوفد برئاسة الأعور بن بشامة العَنْبَري، فدخلوا المسجد قبل الظهر، ورسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها، وقد أذن بلال والناس في انتظار الصلاة، فنادوا: يا محمد

اخرج إلينا، ورفعوا أصواتهم، فخرج عليه الصلاة والسلام وأقام بلال الصلاة، فتعلقوا به عليه الصلاة والسلام فتوقف معهم يكلمونه، ثم تقدم فصلى بالناس الظهر ثم انصرف إلى بيته فركع ركعتين ثم جلس لهم، فقدموا عطارد بن حاجب يخطب فقال: الحمد لله الذي له الفضل علينا، والذي جعلنا ملوكاً، وأعطانا الأموال نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثرهم مالاً وأكثرهم عدداً، فمن مثلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وذوي فضلهم؟ فمن يفاخر فليعدد مثل ما عددنا، ولو شئنا لأكثرنا من الكلام ولكنَّا نستحي من الإكثار فيما أعطانا الله، أقول قولي هذا لأن أوتى بقول هو أفضل من قولنا.

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس: «**قم فأجِبْ خطيبهم**» فقام وكان جهير الصوت، فقال على البديهة:

الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه فقضى فيهن أمره، ووسع كل شيء علمه، فلم يكن شيء إلا من فضله، ثم كان مما قدَّر أن جعلنا ملوكاً اصطفى لنا من خلقه رسولاً، أكرمهم نسباً، وأحسنهم زيًّا، وأصدقهم حديثاً، أنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه، وكان خيرته من عباده، فدعا إلى الإيمان فآمن المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أصبح النَّاسِ وجْهاً وأفضل الناس فعالاً، ثم كنا أول إجابة حين دعا رسول الله، فنحن أنصار الله ورسوله، نقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في ذلك وكان قتله علينا يسيراً، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين والمؤمنات. ثم جلس.

وقالوا: يا رسول الله، إيذن لشاعرنا، فأذن له فأقاموا الزبرقان بن بدر فقال:

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا	فينا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم	عند النهاب وفضل الخير يتبع
ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا	ـ من السَّديف إذا لم يؤيس القزعُ

بما ترى الناس تأتينا سراتهم ... من كل أرض هويّاً ثم نصطنع
وننحر الكوم عَبطاً في أرومتنا ... للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا إلى حين نفاخرهم ... إلاّ استقادوا فكاد الرأس يقتطِع
فمن يفاخرنا في ذاك نعرفه ... فيرجع القَوْمُ والأخبار تستمع
إنا أبينا ولا يأبى لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفِعُ
تلك المكارمُ حزناها مقارعة ... إذا الكرامُ على أمثالنا اقترعوا

فقال رسول الله ﷺ: «يا حسان أجبهم» فقام فقال:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الَّذي شرَعُوا
قومٌ إذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوهُمْ ... أوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ في أشْيَاعِهم نفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنهُمْ غَيْرَ مُحدَثَةٍ ... إنَّ الخَلائِقَ فاعْلَم شَرُّهَا البِدَعُ
لاَ يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أوْهَتْ أكفُّهُمُ ... عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلاَ يُوهُونَ مَا رَفَعوا
وَلاَ يَضِنُّونَ عَنْ جَار بِفَضْلِهِمُ ... وَلاَ يَنَالُهُمْ مِنْ مَطْعَمٍ طَبَعُ
إنْ كَانَ في النَّاس سَبَّاقُونَ بعَدهُمُ ... فَكلُّ سَبْقٍ لِأدْنَى سَبْقِهِم تَبَعُ
أكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شِيعَتُهُمْ ... إذَا تَفَرَّقَتِ الأهْوَاءُ والشِّيَعُ
أعِفَّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحْي عِفَّتهُمْ ... لاَ يَطْمَعُونَ ولا يُرْدِيهُمُ طَمَعُ
كأنَّهُمْ في الوَغَى وَالمَوْتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسْدٌ بِبِيشَةَ في أرْسَاغِها فَدَعُ
لاَ فَخرَ إنْ هُمُ أصَابُوا مِنْ عَدُوهمُ ... وَإنْ أُصِيبُوا فَلاَ خَورٌ وَلاَ جَزَعُ
إذَا نَصَبْنَا لحيٍّ لم نَدِبَّ لَهُمْ ... كما يَدِبُّ إلى الوَحْشِيَةِ الذُّرُعُ
نَسْمُو إلى الحَرْبِ نَالَتْنَا مَخالِبُها ... إذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أظْفَارِهَا خَشَعُوا
خُذْ مِنْهُم مَّا أتَوْا عَفْواً إذَا غَضِبُوا ... وَلاَ يَكُنْ هَمُّكَ الأمْرَ الَّذِي مَنَعُوا
فإنَّ في حَرْبِهِمْ فاتْركْ عَدَاوَتَهُمْ ... سَمّاً عَرِيضاً عَلَيْهِ الصَّابُ وَالسَّلَعُ
أهْدَى لَهُمْ مَدْحَهُ قلبٌ يُؤازِرُه ... فيما أحَبَّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ
فإنَّهُمْ أفْضَلُ الأحْيَاءِ كُلِّهِمُ ... إنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ القَوْلِ أو شَمَعُوا

فَسُرَّ رسول الله ﷺ والمسلمون بمقام ثابت، وحسان، وخلا الوفد فقالوا: إن هذا الرجل مؤيد مصنوع له، واللهِ لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولهو أحلم منا، فأسلموا، ومعلوم أن الأقرع كان أسلم قبل ذلك. وفيهم نزل قوله تعالى في الحجرات ٢ ـ ٥: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾﴾ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ رسول الله ﷺ الأسرى والسبي، وقبل حكْم سَبِرة بن عمرو في سبيهم فحكم برد شطره إليهم وأن يفدوا الشطر الآخر والله أعلم، وأمر ﷺ بلالاً أن يجيزهم فأجاز كل واحد منهم اثنتا عشرة أوقية ونشا ولغلام معهم خمس أواق، والله تعالى أعلم.

قلت: ولم يهمل الشيخ غالي بعث عيينة هذا فقال:

ثُـمَّ عـيـيـنـة الـفـزاريَّ إلـى	بـنـي تـمـيـم فـي الـمـحـرم عـلـي
خـمـسـيـن فـارسـاً جـرًا أن مَـنَـعُـوا	زَكَـاتَـهُـمْ وبـئْـسَ مَـا قَـدْ صَـنَـعُـوا
أصـابَ قـتـلـى مـنـهـمُ ونَـهَـبَـا	وفَـوْق سِـتّـيـنَ بِـواحِـدٍ سَـبَـا
فَـبَـعَـثَـتْ إلـى الـنَّـبِـيّ قـومُـهُـم	وَفـداً وَفِـيـه الـزِّبْـرِقـانُ قَـرْمُـهُـمْ
وفِـيـهـمُ نُـعـيـمُ وَابْـنُ الأهْـتَـم	وَفـيـهـمُ الْـحَـارِثُ وابْـنُ الْـعـاصِـم
قَـيْـسٌ وَنـادَوْا مِـنْ وَراءِ الْـحُـجُـراتْ	وَفَاخَرَتْ وَأَسْلَمَتْ تِلْكَ الْحُمَاةْ... اهـ

بعث قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم

بناحية بيشه قريباً من ترَبَة في صفر أو ربيع الأول سنة تسع. ذكر الصالحي في سبل الهدى والرشاد أن رسول الله ﷺ بعث قطبة بن عامر بن

حديدة في عشرين رجلاً إلى حيٍّ من خثعم. قال محمد بن عمر: بناحية تبالة، وقال ابن سعد بناحية بيشة، وأمرهم أن يَشِنُّوا الغارة عليهم، فخرجوا على عشرة أبْعِرَة يعتقبونها، فأخذوا رجلاً فسألوه فاستعجم عليهم وجعل يصيح بالحاضر ويحذرهم فضربوا عنقه، ثم أمهلوا حتى نام الحي فشنوا عليهم الغارة فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجراح في الفريقين، وقتل قطبة من قتل منهم وساقوا النعم والشاء والنساء إلى المدينة، وجاء سيل أتيٌّ فحال بينهم وبينه، فما وجدوا إليه سبيلاً، فكانت سهمانهم أربعة أبعر والبعير يعدل بعشر من الغنم وذلك بعد أن أخرج الخمس.

قلت: وذكر الشيخ غالي بن المختار فال هذا البعث فقال:

فَبَعْدَهُ بيشةٍ لخَشْعَمِ قطبة بن عَامِرٍ ذا الكرم
في صفر سنة تسعةٍ وما أكثر من سَبَا وساق النَّعما... اهـ

بعث علقمة بن مُجَزِّز إلى الشعيبة

قال المقريزي: ثم كانت سرية علقمة بن مجزز المدلجي في ربيع الآخر، يعني سنة تسع، في ثلاثمائة رجل إلى ساحل بناحية مكة، ورأى أهل الشعيبة ناساً من الحبشة في مراكب، فانتهى علقمة وأصحابه إلى جزيرة في البحر وقد خاض البحر إليهم ففروا منه، فرجع، واستأذن بعض جيشه في الانصراف فأذن لهم وأمر عليهم عبدالله بن حذافة السهمي، وكانت فيه دعابة، فأمر أصحابه أن يتوافدوا في النار، فلما أرادوا ذلك قال: إنما كنت أضحك معكم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**من أمركم بمعصية فلا تطيعوه**».

قلت: وقال الشيخ غالي ذاكراً هذا البعث:

فبعده نجل مجزز النبيهْ علقمة لثأر وقاص أخيه
ثم مضى وبالرجوع أمرا لنفر من قومه وأمَّرا

عـلـيـهـمُ نـجـل حُـذافـة الـعـلـم — فــأجَّ نــاراً وبــحــقــه عَــزَمْ
عــلــيــهــمُ أن يــثــبــوا فــردهــم — لــمــا رأى تــشــمــيــرهــم وجِــدَّهــم
وقــال إذ أُخْــبِــرَ سَــيِّــدُ الــبَــشَــرْ — لا تسمعوا لمن بعصيان أمَرْ. . . اهـ

بعث عليّ بن أبي طالب إلى صنم طيىء ليهدمه

ثم كان بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفلس صنم طيىء ليهدمه، وكان ذلك في ربيع الآخر في خمسين ومائة رجل من وجوه الأنصار عليهم رضوان الله على مائة بعير وخمسين فرساً، فغاروا على أحياء من العرب، وشنوا الغارة مع الفجر على محلة آل حاتم، فسبوا حتى ملؤوا أيدهم من السبي والنعم والشاء، وهدم عليٌّ رضي الله عنه الفلس وخرَّبه ثم عاد، وكانت رايته سوداء وكان لواءه أبيض، يحمل الراية سهل بن حُنَيْف ويحمل اللواء جبار بن صخر السُّلمي، وكان دليله حُرَيْثٌ من بني أسد، وكانت سفَّانة بنت حاتم بن عبدالله الجواد في السبايا، ووجدوا في بيت الفلس ثلاثة أسياف هي: رسوب، ومخذم، واليماني ووجد معها ثلاثة أدراع، واستعمل عليٌّ رضي الله عنه على السبي أبا قتادة، واستعمل على الماشية والمتاع عبدالله بن عتيك، وقسم السبي والغنائم إلاَّ آل حاتم فإنه قدم بهم إلى المدينة وبالخمس مما غنموا وبالثلاثة الأسياف صفياً لرسول الله ﷺ.

فنزلت سفَّانة بدار رملة بنت الحارث، وكان عديُّ بن حاتم لما سمع بحركة عليّ رضي الله عنه فرَّ إلى الشام، فكانت سفانة كلما مر رسول الله ﷺ تقول: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد، فامنن علينا منَّ الله عليك، فسألها: **«من وافدك؟»** قالت: عديُّ بن حاتم، قال: الفار من الله ورسوله، فتكرر ذلك حتى كان اليوم الرابع وأنست أشار إليها عليّ رضي الله عنه أن كلميه فكلمته فخلى عنها ووصلها، فأتت أخاها عديَّ بن حاتم فحسنت له

الإسلام وأشارت عليه أن يأتي رسول الله ﷺ ففعل فقدم المدينة وأسلم وحسن إسلامه.

قلت: وقال الشيخ غالي بن المختار فال ذاكراً هذا البعث:

ثمَّ الأصيلعَ السميذَع العلي ... حيدرةً بَابَ المدينة علي

لطيِّىء فهدَّ فلسَهُمْ وفَرْ ... منه عديُّ بْنُ حاتم الأبَرْ

للشَام كي يَبْعُدَ من خير مَعَدْ ... وكانَ قبْلُ لفرارة استعد

فجاءَ بالثلاثة الثَّمَانِ ... المِخْذَم الرَّسُوبِ والْيَمَاني

وجاء بالسبي وكانت فيه ... أخت عديٍّ ذي النَّدى الوجيه

سفَّانة فآمنت بالمصطفى ... واستعطفت خير الورى فعطفا

وخصَّها بالعرف عن سواها ... حَمَلَها زَوَّدَهَا كَسَاهَا

وصحبت ركب بني بليٍّ ... حتى أتوا بها إلى عديٍّ

فأنَبَتْه إذ أتته فاغترفْ ... بعدم العُذْرِ ولومها صَرفْ

سألها فأرشدَتْهُ للهدى ... فبادر النَّدْبُ النبيَّ فاهتدى

وأخذوا إباحة التَّسرِّي ... على بنات المصطفى المبرّي

من وطنه كما روى ذو البحث ... جارية من سبي هذا البعث... اهـ

قال المقريزي: وفي رجب من سنة تسع نعى رسول الله ﷺ النجاشي للمسلمين وصلَّى عليه بمن معه في اليوم الذي توفي فيه، قال: على بُعْد ما بين الحجاز والحبشة، فكان ذلك علماً من أعلام النبوة.



غزوة تبوك

كانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع من الهجرة. قال ابن إسحاق: وكانت في زمن عسرة في الظَّهر والزَّاد والماء وجدب في الأرض وحين

طابت الثمار واسْتَلَذَّ الناسُ الظلال والمقام فيها، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا ورّى بغيرها إلا ما كان من غزوة تبوك لبعد الشقة وشدة الحال فإنه جلّى للناس وجهتهم ليتأهبوا، وقال للجد بن قيس أحد بني سلمة: «**يا جَدُّ هل لك العامَ في جلاد بني الأصفر لعلك تحتقب من بنات بني الأصفر؟**» أو كما قال ﷺ، قال: أوتأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي ما أحد أشد عجباً بالنساء مني، وإني لأخشى إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، فقال: «**قد أذنت لك**»، فجعل الجد هذا يُثَبِّطُ قومه ويقول: يا بني سلمة لا تنفروا في الحر، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ٨١ ـ ٨٢ التوبة، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ التوبة ٤٩.

سببها: أن الأنباط الذين يوردون إلى المدينة من الشام أنواع الطعام ذكروا أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجلبت معه لخم وجذام وغسّان وعاملة وزحفوا، وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها وتخلف هرقل بحمص، ولم يكن ذلك، وإنما ذلك شيء قيل لهم فقالوه.

وكان رسول الله ﷺ لا يغزو غزوة إلاَّ ورّى بغيرها لئلا تذهب الأخبار بالوجهة التي يريد، حتى كانت غزوة تبوك، فقد غزاها في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً وعدداً كثيراً، فجلّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا له أهبته وأخبرهم بالوجهة التي يريد، وبعث إلى القبائل وإلى مكة يستنفر الناس إلى عدوهم. فبعث بريدة بن الحُصيب يستنفر الناس وأمره أن يبلغ الفُرع، وبعث أبا رهم الغفاري إلى قومه، وأبا واقد الليثي إلى قومه، وأبا جعدة الضمري إلى قومه بالساحل، وبعث رافع بن مكيث بن جندب بن جنادة إلى جهينة، وبعث نعيم بن مسعود إلى أشجع، وبعث إلى بني كعب كلاً من بديل بن ورقاء وعمرو بن سالم وبُسْر بن سفيان، وبعث العباس بن مرداس

إلى بني سُليم وحثَّ على الجهاد ورغَّبَ فيه وأمر بالصدقة، فتصدق أبو بكر الصديق بماله كله فجاء بأربعة آلاف درهم فسأله رسول الله ﷺ: **«هل أبقيت شيئاً لأهلك؟»** قال: أبقيت لهم الله ورسوله، وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله، فسأله رسول الله ﷺ: **«هل أبقيت لأهلك شيئاً؟»** قال: نعم أبقيت مثله، ولما بلغ عمر ما قال أبو بكر قال: ما استبقنا إلى خير إلاّ سبقني إليه. وقيل: إن العباس بن عبدالمطلب تصدق بتسعين ألف درهم، وتصدق عبدالرحمن بن عوف بمائتي أوقية ذهباً وتصدق طلحة بن عبيد الله بمال كثير، وحمل سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة مالاً كثيراً إلى رسول الله ﷺ، وتصدق عاصم بن عديّ بتسعين وسقاً من التمر، وجهَّز عثمان بن عفان ثلث ذلك الجيش فكفاه مؤونته وفرّق ألف دينار في حجرات رسول الله ﷺ فصار عليه الصلاة والسلام يقلبها ويقول: **«ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم»** قالها مراراً.

ورَغَّب ﷺ أهل الخير والغنى في الخير والمعروف فبادر المسلمون إلى ذلك حتى كان الرجل يجيىء بالبعير إلى الرجل وإلى الرجلين فيقول: هذا البعير بينكما تعتقبانه، ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها لمن يخرج في سبيل الله، وأتت النساء بما قدرن عليه فكن يلقين في ثوب مبسوط بين يدي رسول الله ﷺ المَسَكَ والمعاضدَ والخلاخل والأقرطة والخواتيم وغير ذلك.

وعسكر رسول الله ﷺ بثنية الوداع، وجاء البكّاؤون يستحملون رسول الله ﷺ فقال: **«لا أجد ما أحملكم عليه»** فتولوا يبكون، فالتقى اثنان منهم مع يامين بن عمير بن كعب، وهو ابن عم عمرو بن جحّاش النضري، فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا إلى رسول الله ﷺ ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج، ونكره أن تفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ، فأعطاهما ناضحاً له فأرحلاه وزودهما كل واحد منهما صاعين من تمر، وحمل العباس بن عبدالمطلب رجلين منهم وحمل عثمان بن عفان الثلاثة الباقين.

واختلف في البكائين من هم؟ فقيل هم بَنُو مُقَرّن السبعة من مزينة، وقيل هم: أبو ليلى المازني، وسلمة بن صخر الزرقيّ، وثعلبة بن غنمة

السُّلمي، وعُلبة بن زيد الحارثي، والعرباض بن سارية السُّلمي، وهَرَميُّ ابن عمرو المُزَني، وسالمَ بن عمير، وقيل فيهم عبدالله بن مغفَّلَ ومعقل بن يسار.

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله في التخلف من غير عذر فأذن لهم وهم بضعة وثمانون رجلاً، وجاء المعذرون من الأعراب فاعتذروا، وهم قوم من غفار فيهم خفاف بن أيماء بن رحضة: اثنان وثمانون رجلاً فلم يعذرهم الله.

وعسكر عبدالله بن أبي بن سلول وحلفاؤه من اليهود والمنافقين بثنية الوداع أيضاً فكان يقال: ليس عسكر ابن أبيّ بأقل العسكرين. فلما أجمع عليه الصلاة والسلام على المسير استخلف على المدينة سباع بن عُرفطة الغفاري، وقيل محمد بن مسلمة، وخلَّف عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه على أهله ﷺ، فأرجف المنافقون في بقاء علي رضي الله عنه فأخذ سلاحه ولحق به في الجرف وأخبره بقيل المنافقين فقال: «**كذبوا، إنما خلَّفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟**» فرجع رضي الله عنه. وأوصى عليه الصلاة والسلام أصحابه أن يستكثروا من النعال وقال: «**إن الرجل لا يزال راكباً ما دام متنعلاً**».

وتخلف ابن أبي بن سلول فيمن معه من المنافقين، وقال: يغزو محمدٌ بني الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد والبعيد، إلى ما لا قبل له به، يظن محمد أن قتال بني الأصفر اللَّعب، والله لكأني أنظر إلى أصحابه غداً مقرنين في الحبال، ونافق بمن معه ممن هو على مثل رأيه.

فلما ارتحل عليه الصلاة والسلام من ثنية الوداع عقد الألوية والرايات فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ودفع رايته العظمى إلى الزبير بن العوام، ودفع راية الأوس إلى أسيد بن حضير، ودفع لواء الخزرج إلى أبي دجانة، وقيل إلى الحُباب بن المنذر بن الجموح، وأمر كل بطن من الأنصار ومن قبائل العرب أن يتخذ لواء أو راية. وسار عليه الصلاة والسلام بثلاثين ألف مقاتل وعشرة آلاف فارس، واثني عشر ألف بعير.

وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب، منهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وأبو خيثمة السالميُّ، وأبو ذر؛ ثم إن أبا خيمة رجع إلى أهله بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً، وكان في يوم شديد الحر فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه، قد رشت كل منهما عريشها، وبردت فيه ماء وهيأت له فيه طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضَّحِّ والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء؟ ما هذا بالنصف، ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله، فهيّئا لي زاداً، ففعلتا، ثم قدم ناضحه فأرحله ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسولَ الله، فترافقا حتى إذا دنيا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير: إن لي ذنباً فلا عليك أن تتخلف حتى آتي رسول الله، ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل تبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله ﷺ: «**كن أبا خيثمة**» قالوا: يا رسول الله هو والله أبو خيثمة، فلما أناخ أقبل على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله: «**أولى لك أبا خيثمة**» فأخبر رسول الله ﷺ خبره، فقال له رسول الله: «**أولى لك خيراً ودعا له بخير**» وأما أبو ذرٌّ فقد تلوم عليه بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً، وبينما رسول الله ﷺ في بعض منازله، نظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، هذا رجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله ﷺ: «**كن أبا ذر**» فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: «**رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده**».

قال ابن القيم في وفاة أبي ذر: ذكر أبو حاتم في صحيحه وغيره عن مجاهد عن إبراهيم بن الأشتر عن أبيه عن أم ذر قالت: لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: وما لي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض وليس عندي ثوب يسعك كفناً، ولا يدان لي في تغييبك، قال:

أبشري ولا تبكي، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: «**ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المسلمين**»، وليس أحد من أولئك النفر إلاّ وقد مات في قرية وجماعة، فأنا ذلك الرجل، فوالله ما كَذَبت ولا كُذبت، فأبصري الطريق، فقالت: أنّى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطرق؟ فقال: اذهبي وتبصري، قالت: فكنت أشتد إلى الكثيب أتبصر، ثم أرجع فأُمَرِّضه، فبينا أنا وهو كذلك إذا برجال على رحالهم كأنهم الرخم تخب بهم رحالهم، فأشرت إليهم فأسرعوا إليّ حتى وقفوا عليّ فقالوا: يا أمة الله، ما لك؟ قلت: امرؤ من المسلمين يموت، تكفنوه، قالوا: مَنْ هو؟ قلت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله؟ قلت: نعم، ففدّوه بآبائهم وأمهاتهم وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه، فقال لهم: أبشروا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: «**ليموتنّ رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين**» وليس من أولئك النفر أحد إلاّ وقد مات في جماعة، والله ما كَذَبت ولا كُذبت، وإنه لو كان عندي ثوب يسعني كفناً، لي أو لامرأتي، لم أكفن إلا في ثوب هو لي أو لها، وإني أنشدكم الله أن لا يكفنني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً، وليس من أولئك النفر إلا وقد قارف بعض ما قال إلاّ فتى من الأنصار قال: أنا أكفنك يا عم في ردائي هذا وفي ثوبين من عيبتي من غزل أمّي، قال: فأنت تكفنني، فكفنه الأنصاري، وقاموا عليه وكفنوه ودفنوه في نفر كلهم يمان. انتهى من زاد المعاد.

قال المقريزي: وكان دليل رسول الله ﷺ إلى تبوك علقمةُ بن الْفَغْوَاءِ، قال: وجمع من يوم نزل ذا خُشُب بين الظهر والعصر في منزله: يؤخر الظهر حتى يُبْرِدَ ويعجل العصر ثم يجمع بينهما، فكان ذلك فعله حتى رجع من تبوك. قال: ولما مضى من ثنية الوداع، جعل يتخلف عنه قوم فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: «**دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه**». وخرج معه ناس من المنافقين كثير، ولم يخرجوا إلا رغبة في الغنيمة، فكان رهط منهم يسرون، منهم: وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف، والجلاّسُ بن

سويد بن الصامت، ومَخْشي بن حُمَيِّر من أشجع حليف بني سلمة، وثعلبة بن حاطب، فقال ثعلبة: تحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم؟ والله لكأني بكم غداً مقرنين في الحبال، وقال وديعة: ما لي أرى قرّاءنا هؤلاء أرغبَنا بطوناً وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء؟ وقال الجلاَّس بن سويد، وهو زوج أم عمير بن سعد الأنصاري: هؤلاء سادتنا وأشرافنا وأهل الفضل منا، والله لئن كان محمد صادقاً لنحن شر من الحمير، فقال له عمير، وكان يتيماً في حجره: فأنت شر من الحمير، ورسول الله الصادق وأنت الكاذب، وقال مخشيُّ بن حمير: والله وددت أني أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا ننفلت من أن ينزل فينا قرآن بمقالتكم، فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر رضي الله عنه: «أدرك القوم فإنهم قد اخْترقوا». كذا صوبه الأستاذ محمود محمد شاكر، وقال: معناه: كذبوا، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية. قال: «**فسلهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل بلى، قد قلتم كذا وكذا**» فذهب إليهم فقال لهم، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت وهو آخذ بحَقَب ناقة رسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ التوبة ٦٥ ـ ٦٦.

قال المقريزي: فكان مخشي بن حمير يقول: قعد بي اسمي واسم أبي، قال: وكان الذي عفى عنه في هذه الآية. فغير اسمه فتسمى بعبدالرحمن، وسأل الموت شهيداً وألاَّ يُعلم بمكانه إذا مات، فقتل شهيداً يوم اليمامة ولم يوقف عليه ميتاً.

قال: وجاء الجلاس فحلف ما قال من ذلك شيئاً، فأنزل الله فيه: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ التوبة ٧٤.

قال: وكان الجلاس له دية في الجاهلية على بعض قومه، وكان محتاجاً، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذها له فاستغنَى بها. ولما نزل رسول الله ﷺ بالحجر قال: «**إنه ستهب الليلة ريح شديدة، فلا يقومنَّ منكم أحد إلاَّ مع صاحبه، ومن كان له بعير فليوثق عقاله**»، فهاجت الريح الشديدة، ولم يقم أحد إلاَّ مع صاحبه، إلا رجلين من بني سعادة، خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعيره، فأما الذي خرج لحاجته فإنه خنق على مذهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فإن الريح احتملته فطرحته بجبلَيْ طيِّىء، فأخبر عليه الصلاة والسلام خبرهما فقال: «**ألم أنهكم أن يخرج رجل إلاَّ مع صاحبه؟**» ثم دعا للذي أصيبت على مذهبه فشفى، وأما الآخر فإن طيئاً قدمت به المدينة.

وأهدى بنو عُريض من اليهود هريساً لرسول الله ﷺ فأكله ورزقهم أربعين وسقاً فلم تزل جارية عليهم.

ولما نزلوا بالحجر واستسقوا من بئره وعجنوا، نادى منادي النبي ﷺ: «**لا تشربوا من ماء بئر الحجر ولا توضؤوا منه للصلاة، وما كان من عجين فأعلفوه الإبل**»، فجعل الناس يهرقون ما في أسقيتهم وتحولوا إلى بئر صالح عليه السلام فارتووا منها، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تسألوا نبيكم الآيات، فهؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم آية فكانت الناقة ترد عليهم من هذا الفج وتصدر من هذا الفج، تسقيهم من لبنها يوم وردها ما شربت من مائهم فعقروها فأوعدوا ثلاثاً وكان وعد الله غير مكذوب فأخذتهم الصيحة**». وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلاَّ أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم فيصيبكم ما أصابهم**».

وارتحل عليه الصلاة والسلام من وادي القرى فأصبح ولا ماء معهم، فشكوا ذلك إليه ﷺ فدعا، ولا يرى في السماء سحاب، فما برح يدعو حتى تألف السحاب من كل ناحية فسَحَّتْ عليهم السماء بالرواء ثم كشف الله السماء من ساعتها والأرض غدُرٌ فسقى الناس وارتووا من تلك الغُدُر، فكبّر رسول الله ﷺ وقال: «**أشهد أن لا إلّه إلاَّ الله وأشهد أني رسول الله**»، فقال عبدالله بن أبي حدرد لأوس بن قيظي، وقيل: لزيد بن اللصيت أحد بني

قينقاع وكان منافقاً، قال له: ويحك أبعد هذا شيء؟ قال: إنها سحابة مارَّة. وضلت ناقة رسول الله ﷺ القصواء فخرج المسلمون في طلبها، وكان زيد بن اللصيت القينقاعي المنافق فيه خبث اليهود وغشهم، وكان مظاهراً لأهل النفاق، وقد نزل في رحل عمارة بن حزم، وقيل: في رحل عبدالله بن الجد بن قيس، فقال زيد بن اللصيت، وعمارة عند رسول الله ﷺ، أو عبدالله، يعني الذي هو في رحله، قال: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم بخبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ منافقاً يقول: إن محمداً يزعم أنه نبي وهو يخبركم بأمر السماء، ولا يدري أين ناقته، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني عليها، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا حبستها شجرة بزمامها، انطلقوا حتى تأتوا بها**»، فذهبوا فجاؤوا وقد وجَدَها الحارث بن خزمة الأشهلي، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال: العجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه قال كذا وكذا ـ للذي قال زيد ـ فقال أخو عمارة عمرو بن حزم: إن زيداً هو قائل ذلك قبل أن تطلع علينا، فأقبل عمارة بن حزم على زيد بن اللصيت يجأُهُ في عنقه ويقول: إن في رحلي لداهية وما أدري؟ اخرج يا عدو الله من رحلي، فقال زيد: لكأني لم أسلم قبل اليوم، قد كنت شاكًا في محمد وقد أصبحت وأنا فيه ذو بصيرة، أشهد أنه رسول الله. قيل: إنه تاب، وقيل: لم يزل خبيثاً حتى مات.

ولما كان رسول الله ﷺ بين الحجر وتبوك ذهب لحاجته، وكان إذا ذهب أبعد، فتبعه المغيرة بن شعبة بماء في إداوة بعد الفجر فأسفر الناس بصلاتهم حتى خافوا الشمس فقدموا عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم، فلما فرغ ﷺ من حاجته، صب عليه المغيرة من الإداوة، فغسل وجهه ثم أراد أن يغسل ذراعيه فضاق كم الجبة، وكان عليه جبة رومية، فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما ومسح خفيه، وانتهى إلى عبدالرحمن وقد ركع بالناس ركعة فسبَّح الناس حين رأوا رسول الله ﷺ حتى كادوا يفتتنوا، فجعل عبدالرحمن يريد أن ينكُص وراءه فأشار إليه عليه الصلاة والسلام: أن اثبُتْ، فصلى رسول الله ﷺ خلف عبدالرحمن بن

عوف ركعة فلما جلس عبدالرحمن تواثب الناس، وقام ﷺ للركعة الباقية ثم سلم بعد فراغه منها، وقال: **«أحسنتم، إنه لم يتوفَّ نبيٌّ حتى يؤمه رجل صالح من أمته»**.

وأتاه يومئذ يَعْلى بن مُنَبِّه بأجير له قد نازع رجلاً من العسكر، فعضه الرجل، فانتزع الأجير يده من فم العاضّ فانتزعَ ثنيته، فلزمه المجروح وبلغ به النبي ﷺ، فقال: **«يعمد أحدكم فيعَض أخاهُ كما يعض الفحل»** فأبطل ﷺ ما أصاب من ثنيته.

وذكر ابن عائذ في مغازيه أن رسول الله ﷺ نزل تبوك في زمان قل ماؤها فيه، فاغترف عليه الصلاة والسلام غُرفة بيده فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت فهي كذلك حتى الساعة. قال ابن القيم بعد أن ذكر ما تقدم عن ابن عائذ: وفي صحيح مسلم أنه قال قبل وصوله إلى تبوك: **«إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي»**. قال: فجئناها، وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبضُّ بشيء من مائها، فسألهما رسول الله ﷺ: **«هل مَسَسْتُما من مائها شيئاً؟»** قالا: نعم، فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء، ثم غسل فيه رسول الله ﷺ وجهه ويديه ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء كثير، فاستقى الناس ثم قال ﷺ: **«يوشك يا معاذ، إن طالت بك حياة، أن ترى ما ههنا قد ملىء جناناً»**.

خطبته ﷺ بتبوك

ذكر المقريزي أنه ﷺ لما أصبح بتبوك جمع الناس ثم قال: **«أيها الناس، أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخيرَ الملل ملة إبراهيم، وخيرَ السنن سنن محمد، وأشرفَ الحديث ذكرُ الله، وأحسنَ القصص هذا القرآن، وخيرَ الأمور عواقبُها، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وأحسنَ الهدي هدي الأنبياء، وأشرفَ القتل قتل الشهداء وأعمى الضَّلالة الضَّلالةُ**

بعد الْهُدى، وخيرَ الأعمال ما نفع، وخيرَ الهدى ما اتُّبع، وشرَّ العمى عمى القلبِ، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى، وما قلَّ وكفى خير مما كثُرَ وألهى، وشر المعذرة حين يحضُر الموت، وشر الندامة يومَ القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا نزراً، ومنهم من لا يذكر الله إلا هُجْراً، ومن أعظم الخطايا اللسانُ الكذُوبُ، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزّاد التقوى، ورأس الحكمة مخافةُ الله، وخيرُ ما أُلقيَ في القلب اليقينُ، والارتيابُ من الكفر، والنياحةُ من عمل الجاهلية، والغلول من جمر جهنَّم، والشكرُ كِنٌّ من النار، والشعرُ من إبليس، والخمرُ جماعُ الإثم، والنساءُ حبالةُ الشيطان، والشبابُ شعبةٌ من الجنون، وشر المكاسب كسبُ الرِّبا، وشر المال أكل مال اليتيم، والسعيدُ من وُعِظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى آخره، وملاك العمل خواتمه، وشر الرؤيا رؤيا الكذب، وكل ما هو آتٍ قريبٌ وسبابُ المسلم فسوقٌ، وقتلُ المؤمن كفرٌ، وأكل لحمه من معصية الله وحرمةُ ماله كحرمة دمه، ومن يتأل على الله يكذِّبْهُ، ومن يعفُ يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجُرْهُ الله، ومن يصبرْ على الرَّزية يعوضه اللّهُ، ومن يتَّبع السُّمعة يُسَمِّع اللّهُ به، ومن يصبرْ يضاعفِ اللّهُ له، ومن يغص الله يعذِّبْهُ، اللهم اغفر لي ولأمتي، اللهم اغفر لي ولأمتي، أستغفر اللّهَ لي ولكم».

وطاف بناقته على الناس وهو يقول: «يا أيها الناس، يد الله فوق يد المُعْطِي ويدُ المعطي الوُسْطى ويدُ المُعْطَى السُّفلى. أيها الناس، فَتَغَنَّوْا ولو بِحِزَمِ الحَطَبِ، اللهم هل بَلَّغْتُ؟» ثلاثاً، فقال له رجل من بني عذرة يقال له عَديٌّ: يا رسول الله، إن لي امرأتين اقتتلتا، فرميت فأصبت إحداهما في رميتي (يعني فماتت) قال: «تعقلُها ولا ترثُها».

وبعث هرقل عظيم الروم رجلاً من غسّان إلى رسول الله ﷺ ينظر إلى صفته وإلى علاماته، فوعى أشياء من حاله وعادَ إليه فذكر له ذلك، فدعا هرقلُ الرومَ إلى التصديق به فأبوا حتى خافهم على ملكه وهو في موضعه لم يتحرك منه، فكان الخبر عنه وعن تعبئته لأصحابه ودنوه إلى أدنى الشام خبراً باطلاً، فإنه لم يُرِدْ ذلك ولم يفكر فيه.

وشاور رسول الله ﷺ أصحابه في التقدم، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن كنت أُمرت بالمسير فسر، فقال: «**لو أُمرتُ به ما استشرتكم فيه**» قالوا: يا رسول الله، إن للروم جموعاً كثيرة، وليس بها أحد من أهل الإسلام، وقد دنوت منهم حيث ترى، وقد أفزعهم دنوك، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى، أو يحدثُ الله لك في ذلك أمراً.

وأتاه بتبوك صاحب إيلة فصالحه وأعطاهُ الجزية، وأتاهُ أهل جَرْبا وأذْرَح فأعطوهُ الجزية وكتب لهم كتاباً فهو عندهم. ونص ما كتبه لصاحب إيلة: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا بن ذوبة وأهل إيلة لسفنهم ولسيارتهم ولبحرهم ولبرهم ذمة الله وذمة محمد النبي ولمن كان معهم من كل مار من الناس من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يردونها من بر أو بحر، هذا كتاب جهيم بن الصلت» ولعل جهيم بن الصلت هو الكاتب. انتهى من زاد المعاد.

وبعث خالد بن الوليد إلى أكيدر بدومة الجندل، وسيأتي إن شاء الله ذكر ذلك.

وقال ابن إسحاق: أقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ثم انصرف قافلاً إلى المدينة، وكان في الطريق ماء يخرج من وشل ما يروي الراكب والراكبين بواد يقال له وادي المشقق، فقال رسول الله: «**من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه**»، فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا فلم ير فيه شيئاً، فقال: «**من سبقنا إلى هذا الماء؟**» فقيل له: يا رسول الله فلان وفلان، فقال: «**أَولم أنههم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيه؟**» ثم لعنهم رسول الله ودعا عليهم، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيديه ودعا رسول الله بما شاء الله أن يدعو به فانخرق من الماء ما إنّ له حسًّا كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه، فقال رسول الله ﷺ:

«من بقي منكم ليسمعنّ بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه».

ومات بتبوك عبدالله ذو البجادين فحفروا له، ونزل رسول الله ﷺ في حفرته ودلاه له فيها كل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. قال ابن مسعود: سمعته ﷺ يقول: «أدليا أخاكما» فدلياه إليه، فلما هيأه لشقه قال: «اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه» فقال ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة.

وقال رسول الله ﷺ مرجعَه من غزوة تبوك: **«إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم»** قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: **«نعم، حبسهم العذر»**.

رجوعه ﷺ إلى المدينة وما هم المنافقون من الكيد به

قال ابن القيم: ذكر أبو الأسود في مغازيه عن عروة قال: ورجع رسول الله ﷺ قافلاً من تبوك إلى المدينة، حتى إذا كان ببعض الطريق مكر برسول الله ﷺ ناس من المنافقين فتآمروا أن يطرحوه من عقبة في الطريق، فلما بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه، فلما غشيهم رسول الله ﷺ أُخْبر بخبرهم، فقال: **«من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم»**، وأخذ رسول الله ﷺ العقبة وأخذ النّاس ببطن الوادي إلا النفر الذين هموا بالمكر برسول الله لما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا وقد هموا بأمر عظيم، وأمر رسول الله ﷺ عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فمشيا معه، وأمر عماراً أن يأخذَ بزِمام الناقة وأمر حذيفة أن يسوقها، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوهم، فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردهم، وأبصر حذيفة غضب رسول الله فرجع ومعه محجن واستقبل وجوه رواحلهم فضربها ضرباً بالمحجن، وأبصر القوم وهم ملثمون

ولا يشعر إلاَّ أن ذلك فعل المسافر، فأرعبهم الله تعالى حين أبصروا حذيفة وظنوا أن مكرهم قد ظهر عليه، فأسرعوا حتى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ، فلما أدركه قال: **«اضرب الراحلة يا حذيفة وامش أنت يا عمار»** فأسرعوا حتى استووا بأعلاها فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس، فقال النبي ﷺ لحذيفة: **«هل عرفت مِنْ هؤلاء الرهط أحداً؟»** قال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان. قال: وكانت ظلمة الليل وغشيتهم وهم ملثمون، فقال رسول الله ﷺ: **«هل علمتم ما كان شأن الركب وما أرادوا؟»** قالوا: لا والله يا رسول الله، قال: **«فإنهم مكروا ليسيروا معي حتى إذا طلعت في العقبة طرحوني منها»** قالوا: أَولا تأمر بهم يا رسول الله إذاً فنضرب أعناقهم؟ قال: **«أكره أن يتحدث الناس ويقولوا: إن محمداً قد وضع يده في أصحابه»** فسماهم لهما وقال: **«اكتماهم»**.

قلت: وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ استدعاهم، وقال: هم اثنا عشر، وسماهم بأسمائهم. إلا أن ابن القيم في زاد المعاد قال: إن ذلك من الوهم بمكان، وقد ذكره ابن إسحاق من أربعة وجوه ظاهرة، فليراجعه من شاء.



المسجد الضرار

كان أصحاب المسجد الضرار أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز للسفر إلى تبوك فقالوا: إنا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، قال: **«إني على جناح سفر وحال شغل، ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه»** فلما نزل بذي أوان ـ وبينها وبين المدينة ساعة ـ جاءه خبر المسجد من السماء، فدعا مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي العجلاني فقال: **«انطلقا إلى هذا المسجد الظالِم أهلُه فاهدماه وحرّقاه»** فخرجا مسرعَيْن حتى أتيا بني سالم بن

عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: انتظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي، ودخل إلى أهله فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله فحرقاه وهدماه، فتفرقوا عنه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾... ١٠٧ ـ ١١٠ من سورة التوبة. وأصحاب المسجد الضرار اثنا عشر رجلاً.

نسب ابن القيم للدارمي: حدثنا عبدالله صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ قال: هم أناس من الأنصار ابتنوا مسجداً، قال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم واستمدوا ما استطعتم من قوة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا: إنا قد فرغنا من ابتناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعو بالبركة، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ ـ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾... الآية؟ من التوبة.

ولما دنا رسول الله ﷺ من المدينة خرج الناس منها لتلقيه، وخرج النساء والولائد والصبيان يقولون:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

قال ابن القيم: وبعض الناس يهم في هذا ويقول: إنما كان ذلك عند مَقْدَمه المدينة قادماً من مكة. قال: وهو وهم، لأن ثنيات الوداع هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة.

قلت: ولا مانع من أن يكون للوداع ثنيات للذاهب إلى مكة كما هي موجودة للذاهب إلى الشام، وقد تكرر هذا الرجز ترحيباً به قادماً من مكة ومن وقعة بدر، كما وقع رجوعه من تبوك وبالله تعالى التوفيق.

ولما دخل المدينة بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس للناس، وجاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم علانيتهم ووكل سرائرهم إلى الله، وجاء كعب بن مالك، فلما سلم عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال له: «**تعال**» قال: فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: «**ما خلَّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟**» فقلت: بلى يا رسول الله، والله إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيتُ جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك حديثاً كذباً ترضى به عني ليوشكنَّ الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: «**أما هذا فقد صدق، قم حتى يقضي الله فيك**» فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني يؤنبونني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك. قال: فوالله ما زالوا بي حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان، قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل الذي قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدراً فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي. ونهى رسول الله المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبتنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أَشَبَّ القوم وأَجْلَدَهم، فكنت أخرج وأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرّك شفتيه برد السلام عليَّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ وإذا الْتفتُّ نحوه أعرض عنّي حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى

تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليَّ، فسلمت عليه، فوالله ما رد عليَّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الحائط. فبينما أنا أمشي بالسوق إذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتاباً من ملك غسّان، فإذا فيه: أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحَقْ بنا نواسك. فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيَمَّمْتُ بها التنور فسجرتها. حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني يقول: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا ولكن اعتزلها ولا تقربها، فقلت لها: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربك» قالت: والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

قال كعب: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله في امرأتك كما أذن لامرأة هلال ابن أمية أن تخدمه؟ فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله، وما يدريني ما يقول رسول الله إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب؟ قال: فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحالة التي ذكر الله تعالى قد ضاقت عليَّ نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشِرْ، فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج من الله. وآذن رسولُ الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَلَ صاحبَيّ مبشرون، وركض إليَّ رجل فرساً وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على ذروة الجبل وكان الصوت

أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما، واستعرت ثوبين لبستهما فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت على رسول الله المسجد فإذا هو جالس حوله النّاس، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهُه من السرور: «**أبشِرْ بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك**» قال: قلت: أهو من عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «**لا، بل من عند الله**». وكان رسول الله إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله، فقال: «**أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك**»، فقلت: إني أمسك سهمي الذي بخيبر. وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجّاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أتحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا ما أبلاني، والله ما تعمدت بعد ذلك إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت. فأنزل تعالى على رسوله الآيات من التوبة: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ ١١٧ ـ ١١٩ فوالله ما أنعم الله عليَّ نعمة بعد أن هداني للإيمان أعظم في نفسي من صدقي رسول الله، أن لا أكون كذبته فأهلِك كما هلَك الذين كذَبوا، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، قال: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ـ إلى قوله تعالى ـ: فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾

[٩٥ ـ ٩٦] من سورة التوبة. قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايَعَهم واستغفر لهم، وأرجأ أمرنا حتى قضى الله فيه، فلذلك قال الله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه اهـ. رواه البخاري بهذا السياق في التفسير ورواه أحمد ومسلم.

قلت: وقد ذكر الشيخ أحمد البدوي في مغازيه غزوة تبوك فقال:

ثُمَّ لروم بتبوك استنفرا	لأمَ ألُوف عامَ عُسْر اغترى
ومعه لحربه ألب له	غسانُ لَخْمٌ وجُذامٌ عامِلَهْ
وحثَّ الأغنيَا على الحُملانِ	ونكصُوا دون مدى عُثمانِ
على بعير عَشْرَةٌ تَعْتَقِبُ	وعَزَّ مَطْعَم وعَزَّ مَشْرَبُ
تَقْتَسِمُ النَّفَرُ تَمْرةً ومِنْ	فَرْثِ الأباعر شَرَابٌ قَدْ يَعِنْ
وقَعَد الباكون والمعذِّرون	وعسكرت فرَبَّت المنافقون
وقَعَد الثلاثةُ الذينا	تاب عليهم ربُّنَا يقينا
كعب بن مالك مرارة الربيع	وابنُ أميَّة هلالٌ الرَّفيعْ
وأبُوَا خيثمةٍ وذَرْ	قد لحقا وجاء أرضَ الحِجْر
فذبَّ عن مياهه وأمَرَا	أن لا يَمُرْ أحَدٌ كما يَرى
فعقَّه المخنوق فوق مذهبَهْ	ومَنْ وفُودُ طيِّىء أتَتْهُ بِهْ
فأصبح الناس ولا ماء لهم	فأرسل الله سحابة تَؤُمْ
على تخلف بطيبة عليْ	خُصَّ بسهمين: بسهمه العليْ
وسَهْم جبريل وكان حضرا	وبذله به النبي أمرا
وقال إذْ أضلَّ راحلته	مُجْرمهم ما قال فأبْتَهتَه
ونزلت يومئذ في مَخْشِن	وصحبه كنا نَخُوضُ فَاعْتَنِ... اهـ

بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبدالملك

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد من تبوك في أربعمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبدالملك بدومة الجندل في رجب سنة تسع وكان أكيدر ملك كندة وكان نصرانيًا، فقال خالد: يا رسول الله، كيف لي به في وسط كلب، وإنما أنا في أناس يسير؟ قال: «**ستجده يصيد البقر فتأخذه**» قال: «**فلا تقتله وائت به إليّ، فإن أبى فاقتله**». فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، في ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له في الحر، ومعه امرأته الربابُ بنت أنيف بن عامر، ومعه قينة تغنيه، وقد شرب، فأقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن، فأشرفت امرأته فرأت البقر فقالت: ما رأيت كالليلة في اللحم! هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا، قالت: من يترك هذا؟ قال: لا أحد.

قال أكيدر: والله ما رأيت جاءتنا بقر إلاّ تلك الليلة، ولقد كنت أضَمِّرُ الخيل لها إذا أردت أخذها، أضمرها شهراً أو أزيد، ثم أركب بالرجال وبالآلة. قال محمود محمد شاكر: قال أكيدر هذا القول عند رسول الله لما أقدم عليه.

فلما كان ذلك نزل أكيدر فأمر بفرسه فأسرج، وبخيل فأسرجت وركب معه نفر من أهل بيته ومعه أخوه حسان ومملوكان له، فخرجوا من الحصن بسلاحهم لمطاردة البقر، وخيل خالد تنتظرهم لا يصهل منها فرس ولا يتحرك، وعندما فصل من الحصن أخذته الخيل وقاتل حسان حتى قتل عند باب الحصن وهرب المملوكان ومن كان معهما، واستلب خالد من حسان قباءَ ديباج مُخَوَّصاً بذهب، فبعث به مع عمرو بن أمية الضمري إلى رسول الله ﷺ، فجعل المسلمون يتعجبون منه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**تعجبون من هذا، والذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا**» وأسلم حريث بن عبدالملك أخو أكيدر على ما في يده فسُلِّم له.

وقال خالد لأكيدر: هل لك أن أجيرك من القتل حتى آتي بك

رسول الله وعلى أن تفتح لي دومة الجندل؟ فانطلق به في وثاق حتى أدناه من الحصن، فنادى أهله: افتحوا باب الحصن، فأرادوا ذلك فأبى عليهم مصادٌ أخوه، فقال أكيدر لخالد: لا يفتحون لي ما رأوني في وثاقك، فَحُلَّ عني ولك اللَّهُ والأمانة أن أفتح لك الحصن إن أنت صالحتني على أهله، قال: إني أصالحك على أهل الحصن، قال أُكيدر: إن شئت حكَّمتُك وإن شئت حكَّمتني، قال خالد: بل نقبل منك ما أعطيت، فصالحه على ألفي بعير وثمانمائة رأس، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح، وعلى أن ينطلق به وبأخيه إلى رسول الله ﷺ فيحكم فيهما حكمه، فخلّى سبيله ففتح الحصن فدخله خالد فأوثق مصاداً أخا أكيدر، وأخذ ما صالح عليه من الإبل والرقيق والسلاح.

ثم خرج إلى المدينة ومعه أكيدرُ ومصادُ، وعلى أُكيْدر صليبٌ من ذهب، وعليه الديباج ظاهر، ومع خالد الخمس مما غنموا وصفيٌّ خالصٌ لرسول الله ﷺ، وكانت السهمان خمس فرائض لكل رجل معه سلاح ورماح، فلما قدم بأكيدر صالحه رسول الله ﷺ على الجزية وخلّى سبيله وسبيل أخيه وكتب لهم أماناً وختمه بظفره، لأنه لم يكن بيده خاتم، وأهدى أكيدرُ إلى رسول الله ﷺ ثوب حرير فأعطاه عليًا وقال: «**شققه خُمُراً بين الفواطم**» ونصُّ ما كتبه رسول الله ﷺ هو: «**بسم الله الرحمن الرحيم،**

هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكنافها: أن له الضاحية من الضَّحْلِ والبورَ والمعاميَ وأغفَالَ الأرض والحلْقةَ والسلاحَ والحافرَ والحصنَ، ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور بعد الخُمس، ولا تُعْدَلُ سارحتُكم، ولا تُعَدُّ فارِدتكُمْ، ولا يحظر عليكم النبات، ولا يؤخذ منكم إلا عشر الثبات، تقيمونَ الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها، عليكم بذلك العهد والميثاق ولكم بذلك الصدقُ والوفَاءُ، شهدَ الله ومن حضر من المسلمين».

قال أبو عبيد: الضاحية: كل أرض بارزة من نواحي الأرض وأطرافها، والضَّحْلُ: قليل من الماء، والبور: الأرض الّتي لم تحرث، والمعامي:

البلاد المجهولة، والأغفال: الأرض التي لا آثار فيها، والحلقة: الدروع، وقيل: السلاح كله، والحافر: الخيل وغيرها من ذوات الحافر، والضامنة من النخل: التي معهم في المصر، والمعين: الماء الدائم الظاهر، مثل ماء العيون، والمعمور: بلادهم التي يسكنونها، والفاردة: الزائدة على فريضة الصدقة. هكذا فسر محمود محمد شاكر مفردات اللغة التي جاءت في هذه الوثيقة التاريخية.

واختلف في إسلام أُكيدر، قيل: أسلم وارتد عن الإسلام فقتله خالد في حرب الردة، وقيل: منع من أبي بكر رضي الله عنه ما كان يؤدي إلى رسول الله ﷺ، فأُخرج من جزيرة العرب إلى ما بين دجلة والفرات وابتنى هناك قصراً قرب عين التمر سماه دومة، والله أعلم. انتهى نقلاً من إمتاع الأسماع للمقريزي.

قلت: وذكر العلامة غالي بن المختار فال هذا البعث بقوله:

ثُمتَ سيفَ الله خالد الزّكي ... إلى أُكَيْدِرَ بْنِ عبدالملكِ
صاحبِ دومةَ وجَاءَ البَقَرُ ... يحتَكُّ بالقصر ولاح القمرُ
ثُمَّ دعا بفرسٍ فأُسرِجا ... ومعه في نفر قد خرجا
للصيد بالخيل وبالمطارد ... أخوهُ حسانُ قتيل خالد
فأخذتهم خيل خالد الأبي ... وذاك تصديقٌ لمخبر النبي
فاصطلحا على دروع ورماخ ... مع رقيق وجمال فالسلاخ
عدته تاءٌ لكل منهما ... وللجمال عد شين انتمى
مكررٌ وللرقيق تُنتَسَبُ ... عدة ما به الرماح تُحسَبُ
فبعثوا قباءة إلى النبي ... وكان ذا زخارفٍ مِن ذهب
وإذ رأى الأصحاب يعجبونا ... من الذي من حسنه يَرَوْنَا
أقسم بالله لعند سعْدِ ... نجل معاذٍ في جنان الخُلْدِ
مناديلٌ أحْسَنَ فيه وهو مَنْ ... عرشُ الإلّه اهتزَّ ليلة دُفن
وإذْ أتى به النبي سجدا ... فكرر الإيماء أن لا تسجدا
لم يرضه وبلغت في سنته ... من الدنانير ثلاثمائته... اهـ

هذا، وخاف أهل أيلة وتيماء، فقدم يُحنَّةُ بن رؤبة ومعه أهل جرباء وأذْرُح وعليه صليب من ذهب، وقد عقد ناصيته، فلما رأى النبي ﷺ كفَّر وأومأ برأسه، فأومأ رسول الله ﷺ أن ارفع رأسك، يقال: كفَّر العَلج والذميُّ لدهقانه وسيِّده إذا وضع يديه على صدره ثم انحنى يطأطىء برأسه. ثم إن رسول الله ﷺ كساه برداً وأنزله عند بلال، فصالحهم عليه الصلاة والسلام ووضع عليهم الجزية، فكان على أهل أيلة ثلاثمائة دينار وكانوا ثلاثمائة رجل وكتب لهم كتاباً هذا نصه: **«بسم الله الرحمن الرحيم: هذه أمنة من الله ومحمد النبيّ رسول الله ليُحنَّة بن رؤبة وأهل أيلة: سفنهم وسيارتهم في البرّ والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبيّ، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيبٌ لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يُمنعوا ماءً يردونه، ولا طريقاً يريدونه من برٍّ أو بحر. هذا كتاب جهيم بن الصلت وشُرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله»** يوجد نص هذا الكتاب في سيرة ابن إسحاق ج ٢ ص ٩٠٢ وفي ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٢٧ وفي الأموال لأبي عبيد ص ٢٠٠ اهـ. تعليق محمود محمد شاكر على إمتاع الأسماع.

وكتب عليه الصلاة والسلام لأهل جرباء كتاباً نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل جرباء: إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم».

ونسخة كتابه ﷺ لأذروح هي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله لأهل أذروح: إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا من المسلمين، وهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه».

خاتمة نسأله جلَّ وعلا حسن الخاتمة نذكر فيها إشكالاً وقع في بعض الغزوات، من ذلك غزوة ذات الرقاع:

ذكر أهل السيرة أن هذه الغزوة وقعت في جمادى الأولى من السنة الرابعة، وأنه عليه الصلاة والسلام صلى بهم يومئذ صلاة الخوف. هكذا ذكر أهل السيرة وهكذا تلقاه الناس عنهم، غير أنه مشكل من حيث إن في الصحيح: أن المشركين حبسوا رسول الله ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى غابت الشمس، وفي السنن وغيرها: أن المشركين حبسوه ﷺ عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فصلاهن جمعاً، وذلك قبل نزول صلاة الخوف، والخندق بعد غزوة ذات الرقاع، لأن بعضهم يقول: هي سنة خمس، وبعضهم يقول: سنة ست، فكيف الجمع بين ذلك؟

إن الذي يؤيده الدليل أن أول صلاة خوف صلاها رسول الله ﷺ كانت بعُسفان، فقد روى أحمد والنسائي والترمذي وقال: حسن صحيح، أن أبا هريرة قال: كان رسول الله ﷺ نازلاً بضُجنان وعُسفان محاصراً للمشركين، فقال المشركون: إن لهؤلاء صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأموالهم، اجمعوا أمركم ثم ميلوا عليهم ميلة واحدة، فجاء جبريل فأمره أن يقسم أصحابه نصفين. . . وذكر الحديث.

ولا خلاف بين أهل السيرة أن غزوة عُسفان كانت بعد الخندق.

ولما صح الخبر عنه ﷺ أنه صلى صلاة الخوف بغزوة ذات الرقاع تعين أن تكون ذات الرقاع بعد الخندق وبعد عُسفان.

أضف إلى ذلك أن أبا هريرة وأبا موسى الأشعري شهدا ذات الرقاع كما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى: أنه شهد غزوة ذات الرقاع، وأنهم كانوا يلفون على أرجلهم الخرق لما نقبت، فسميت ذات الرقاع لأجل ذلك. وأما أبو هريرة فقد ثبت في المسند والسنن أن مروان بن الحكم سأله: هل صليت مع رسول الله صلاة الخوف؟ قال: نعم، قال: متى؟ قال: عام غزوة نجد. وغزوة نجد هي غزوة ذات الرقاع. وإذاً يتعين بموجبه أن غزوة ذات الرقاع بعد غزوة خيبر، لأن أبا هريرة أول مشهد له مع رسول الله ﷺ كان قدومه مع قومه على رسول الله بعد فتح خيبر بخيبر، فمن يجعل ذات الرقاع قبل الخندق يَهِمُ وهماً عظيماً ظاهراً لكل ذي

عين. قال ابن القيم في الزاد: وقد فَطِنَ بعضهم لهذا فادعى أن غزوة ذات الرقاع كانت مرتين، إحداهما قبل الخندق والأخرى بعده. قال ابن القيم: فالصواب تحويل غزوة ذات الرقاع إلى ما بعد الخندق بل إلى ما بعد خيبر، وإنما ذكرناها في المحل الذي ذكرناها فيه تقليداً لأهل المغازي والسير، ثم تبين لنا وهمهم، والله الموفق.

وهناك مشكلة أخرى في حديث الإفك، هي أن النبي ﷺ قال: **«من يعذرني في رجل بلغني أذاهُ في أهلي؟»** فقال سعدُ بن معاذ أخو بني عبدالأشهل: أنا أعذرك منه يا رسول الله: إن هذا مشكل جدًا على من يقول إن المريسيع بعد الخندق، لأنه لا خلاف بين أهل العلم أن سعد بن معاذ استشهد عقب حكمه في بني قريظة عقب الخندق، وذلك سنة خمس على الصحيح، وحديث الإفك لا شك في أنه كان في غزوة بني المصطلق وهي المريسيع، وهي عند الجمهور كانت بعد الخندق سنة ست. وحديث الإفك نفسه يشتمل على ما يشهد أن المريسيع بعد سنة خمس، فقد قالت عائشة إن القضية كانت بعدما شرع الحجاب، ومعلوم أن آية الحجاب إنما نزلت في شأن زينب بنت جحش رضي الله عنها، وهي كانت عند رسول الله ﷺ أيام أزمة الإفك، بدليل أن رسول الله ﷺ سألها عن عائشة فقالت: أحمي سمعي وبصري، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من زوجات رسول الله ﷺ. وأهل التاريخ على أنه تزوج زينب بنت جحش في ذي القعدة سنة خمس، وعليه فإن ما حكاه موسى بن عقبة وأخرجه البخاري عنه أن المريسيع كانت سنة أربع قبل الخندق، وَهْمٌ لا نصيب له من الصحة وأن الصحيح هو ما ذكره ابن إسحاق أن غزوة المريسيع كانت سنة ست بعد الخندق، وقد ذكر حديث الإفك فيها إلا أنه قال عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن عائشة... فذكر الحديث. وفيه: قال: فقام أسيد بن حُضير فقال أنا أعذرك منه، فرد عليه سعد بن عبادة. ولم يذكر سعد بن معاذ. قال أبو محمدُ بن حزم: وهذا هو الصحيح الذي لا شك فيه، وذكرُ سعد بن معاذ وهْمٌ، لأن سعداً مات إثر فتح بني قريظة بلا شك وكانت في آخر ذي القعدة من السنة الرابعة، وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة

السادسة بعد سنة وثمانية أشهر من موت سعد. وكان الكلام الذي وقع بين الرجلين بعد الرجوع من غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين يوماً.

قلت: انظر هذا مع ما قدمناه من بحث في تاريخ غزوة المريسيع في ابتداء الكلام عليها في الجزء الأول ورجح ما أمكنك ترجيحه من القولين ولا يفوتك أن ذلك أخرجه البخاري في صحيحه، تأمل! وبالله تعالى التوفيق.



بعث علي بن أبي طالب إلى اليمن

كانت هذه السرية في رمضان، عقد له لواء وأخذ عمامة فلفها مثنية مربَّعة وجعلها في رأس الرمح ثم دفعها إليه، وعممه عمامة ثلاثة أكوار وجعل ذراعاً بين يديه وشبراً من ورائه، ثم قال: «**هكذا العمَّةُ**»، وقال له: «**امض ولا تلتفت**» قال عليّ: يا رسول الله، كيف أصنع؟ قال: «**إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منك قتيلاً، فإن قتلوا منكم قتيلاً فلا تقاتلهم، تلوّمهم حتى تريهم أناة ثم تقول لهم: هل لكم أن تقولوا لا إله إلا الله؟ فإن قالوا: نعم، فقل: هل لكم أن تصلوا؟ فإن قالوا: نعم، فقل لهم: هل لكم إلى أن تخرجوا من أموالكم صدقة تردونها إلى فقرائكم؟ فإن قالوا: نعم، فلا تبغ منهم غير ذلك، والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت**». فخرج في ثلاثمائة فارس حتى انتهى إلى أرض مذحج ففرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونَعَم وشاء وغير ذلك، فكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد، فجعل على الغنائم بريدة بن الحُصَيْب، ثم لقي جمعاً فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة ساعةً، فصف أصحابه ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان السُلَمي وحمل عليهم بمن معه فقتل منهم عشرين رجلاً فانهزموا ولم يتبعهم، ودعاهم إلى الإسلام

فأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام وقالوا: نحن على من وَراءَنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله.

فجمع عليّ الغنائم وجزّأها خمسة أجزاء وأقرع عليها وكتب في سهم منها لله، فخرج أول السهام سهم الخمس، ولم ينفل منه أحداً من الناس شيئاً، وكان من قبله من الأمراء يعطون أصحابهم الحاضرين معهم من الخمس ثم يخبر بذلك رسول الله ﷺ فلا يردُّه عليهم، فطلبوا ذلك من عليّ فأبى وقال الخمس أحمله إلى رسول الله ﷺ يرى فيه رأيه، وهذا رسول الله ﷺ يوافي الموسم، فلقاه به فيصنع ما أراه الله.

وكان عليّ رضي الله عنه بعث إلى رسول الله ﷺ مع عبدالله بن عمرو بن عوف المُزَني بما كان من لقائه القوم وإسلامهم، فأمر أن يوافيه في الموسم فعاد إليه عبدالله، وقدم عليّ من اليمن فوجد فاطمة ممَّن حلَّ ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت، فأنكر ذلك عليها فقالت: بهذا أمرني أبي، فذهب إلى رسول الله ﷺ مُحَرِّشاً عليها مستفتياً في الذي ذكرت، فقال: **«صدقت، ماذا قلت حين فرضت الحج؟»** فقال: قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك، قال: **«فإنّ معي الهدى فلا تحل»**. وكان جميع هديه ﷺ ـ ما ساق منه من المدينة وما أتى عليّ معه ـ مائة بدنة، فأشرك عليه الصلاة والسلام عليّاً في هديه. انتهى من إمتاع الأسماع بتصرف.

قلت: وقد ذكر الشيخ غالي هذا البعث فقال:

ثُمَّ عليًّا بعْدَ ذا إلى اليمن	وهي بلاد مذحج وما كمن
بل شنها مبتدراً وحرَّقا	لهيبها عليهمُ وفرَّقا
أصحابه فأخذوا نساءَا	وصبيةً ونعماً وشاءَا
ثم دعاهم فأبَوْا فاقتتلوا	ونحو رمز كافٍ منهم قتلوا
فانهزموا فكفَّ ثُمت دعا	ثانية أجاب بعضٌ مُسْرِعَا
فأسلموا وبايعوهمُ على	قومهم أن يعتدُوا الله علا
ولهمُ في شأن بشرهم قضى	بما أجازه نبيُّنا الرِّضى... اهـ

وقول الشيخ غالي رحمه الله: (قضى بما أجازه)... إلخ، يشير به أن هؤلاء القوم أصبحوا وقد سقط في بئرهم أسد، فنظروا إليه فسقط إنسان في البئر فتعلق بآخر وتعلق الآخر بآخر هكذا حتى كانوا في البئر أربعة قتلهم الأسد، فتحاكموا إلى عليّ رضي الله عنه، فقال: ربع دية، وثلث دية، ونصف دية، ودية كاملة: للأسفل ربع دية من أجل أنه هلك فوقه ثلاثة، وللثاني ثلث دية من أجل أنه هلك فوقه اثنان، وللثالث نصف دية من أجل أنه هلك فوقه واحد، وللأعلى الدية كاملة، فإن رضيتم فهو بينكم قضاءً وإلا فلا حق لكم حتى تأتوا رسول الله ﷺ فيقضي بينكم، فوافوه بمكة حاجًّا فقصوا عليه القصة فقال: **«أنا أقضي بينكم إن شاء الله»** فقال بعضهم: إن عليًّا قضى بيننا، قال فبِمَ؟ فأخبروه، فقال: **«هو كما قضى به»**... اهـ. من شرح غالي لبعوثه.

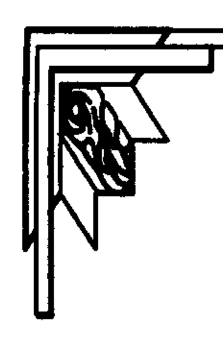
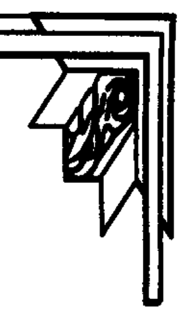
هنا انتهى بحمد الله ما رمت جمعه من المغازي والبعوث مختصراً بحسب الإمكان ملخصاً ذلك من زاد المعاد وإمتاع الأسماع وسبل الهدي والرشاد، تارة من هذا وتارة من ذاك وتارة من ذلك، ومستشهداً في الغزوات بنظم الشيخ أحمد البدوي، وفي البعوث بنظم العلامة غالي بن المختار فال البساتي بالسين أو بالصاد. واللهَ نرجو أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى وأن يجعله من عملي الذي يجري عليَّ بعد موتي إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

حُرِّرَ بمدينة رسول الله ﷺ انتهاء في ست بقيت من شعبان عام تسعة عشر وأربعمائة وألف من هجرته ﷺ.

كتبه جامعه احمد بن محمد
الأمين بن أحمد المختار الجكني



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

